

عبر التاريخ البشري

الحضارات القديمة . العبرانيون . الفراعنة
الشرق الأقصى . البوذيون . الصينيون . اليونانيون
روما القديمة . المسيحيون . الجاهليون . الإسلام







المـــــرأة
عبر التّاريخ البشري

الحضارات القديمة

العبرانيُّون - التَّوراة - الفراعنة

الشَّرق الأقصى - البُوذيُّون - الصَّينيُّون - اليُونانيُّون

رُوما القديمة - المسيحيُّون - الجاهليُّون - المُسلمون

نحو فكر
حضاري متجدد



القدس
عاصمة الثقافة العربية
2009 م

الكتاب: المرأة عبر التاريخ البشري
المؤلف: د.عبد المنعم جبري

الإصدار الثاني 2009 م
عدد الصفحات: 272
الإشراف العام: يزن يعقوب/جوال 00963 933 418 181

سورية - دمشق - ص.ب: 3397
هاتف: 095 13 22 11 00963
تلفاكس: 013 33 22 11 00963
www.darsafahat.com
info@darsafahat.com

الترقيم الدولي ISBN
978-9933-402-14-3

الدُكتُور: عبد المُنعم عبد اللّه جبري

المـــــرأة

عبر التّاريخ البشري

الحضارات القديمة

العبرانيُّون - التَّوراة - الفراعنة - الشّرق الأقصى

البُوذيُّون - الصِّينيُّون - اليُونانيُّون

رُوما القديمة - المسيحيُّون - الجاهليُّون - المُسلمون



لا أبدع من التاريخ إلا التأريخ في تاريخ أعز من في الدنيا، المرأة الأم، صاحبة الدفء، دفء الحنان، وبلسم الحب، وغرام الحياة، وجنة الخلد.

الفهرس

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين المرسل رحمة للعالمين.

أما بعد:

وددت لو أن هذا المؤلف نبت منذ زمن، وعرض قضية أم الأمم على النحو الواسع بذكر كل عظيمات التاريخ الغابر وسيداته مثل:

أم موسى النبي صاحبة الجرأة والصبر وامتثال أمر الله،

وأخت موسى النبي وحسن تدبيرها.

وفتاة مدين وقوة فراستها وحيائها،

وامرأة فرعون آسية المؤمنة.

وامرأة عمران البارة بنذرها بما في بطنها.

وملكة سبأ بلقيس وعبقريتها.

ومريم ابنة عمران

ونساء الغدر وسوء السلوك مثل:

امرأة لوط النبي

وحمالة الحطب وغيرهما من نساء السوء، حتى نرسم المعالم في حدائق التاريخ من تقاليد الحضارة الزائفة لتجنب الحضارة الحديثة من الحضارة الغابرة التي تمكنت من الاستبداد والظلم والقهر والإذلال والرق والعبودية للمخلوق الأنثوي الجبار في صبره وعطائه الدافع لما شاطره الشعراء والكتاب في ذكر غرامهم لجمالهن حتى ملؤوا الدواوين،

ورفعوا وعظّموا الرجال، وأشغلوهم وأشعلوهم حماسة كالخنساء وأمثالها، وفتحوا البلاد وخانوا الرجال والبلاد، ودمروا الصروح وقاتلوا وقتلوا، فالمرأة هي كل شيء، بها الإدراك، ومنها غرس نواة المجتمع وبناء الأوطان، وهي سر من أسرار الكون، ومن لم يدرِ كينونتها يقع في غيابات الجب مغامراً، حتى يعلم الحق كعزيز يوسف الصدق..

ويا للأنثى ما لها من عناية في الكون من وصايا العظماء والحكماء وأولي الأبصار والمرسلين الأنبياء من ملك الملكوت.

وحاولت في هذا الكتاب التأريخي تتبع ما استطعت تتبعه من بحث وتنقيب في واقع تاريخ المرأة، غرام الأنس في غرام الثقافة والمعرفة.

ولما كانت الثقافة هي التي تحدد معالم شخصية الفرد خلال معرفته في مراحل حياته والتي يكتسبها بالتعليم الأول من المرأة الأم بتدريب في سلوك سامٍ عالٍ في حب الخير، أو استبدادي جائر شرير متحلل من كل قيود العفة والكمال مستنشق هواء التعدي والجبروت، فالناس يولدون على الفطرة والآباء يلقنون السلوك، بزرع ما جبلوا عليه من عادات وتقاليد تاركين حق السماء العادل في إحقاق الحق لكل من الذكر والأنثى.

والطفل يولد من دون شخصية، وفي مراحل نموه تتكون فيه الشخصية بتفاعل فطرته مع محيطه الأسروي والخارجي في مجتمع معيشته، ولما كان الطفل عضواً في المجتمع، فإن بيئته كلها تتألف من التعبيرات الظاهرية لثقافة ذلك المجتمع وللشخصيات التي سبق أن كونتها الثقافة والتربية والتعليم.

ولما كانت الثقافة هي التي توجه الفرد، وتحدد معالم الطريق لشخصيته، فالعلم والمعرفة هما متعة الفكر النابه في التشوق إلى حقائق النفس وما تهوى من مكنون في الذات الذاتية ومعانيها، لمن أراد خوض

التاريخ لتاريخ حياة أدب السلوك بظاهريه: الخلاق السامي، وخواطر السوء، لما تحقق من عناية التربية الحاصلة من الأم مدرسة الأمم.

فالأم المرأة عالم في عالم، وهي ينبوع الأمم في الحب والهوى والعفة والطهارة، والحقارة والانحطاط.

ولما كان التحقق في المرأة، بحر الهوى وبلوغ غاية المعرفة في مكنون سلوك الرجال، وحياة المرأة عبر العصور الزمنية وسمو القدر فاق لدى النفوس تاريخ الدرة الثمينة كتاب المرأة عبر التاريخ البشري الذي نفلت طبعته الأولى لدى الطابع الناشر السيد يزن يعقوب صاحب دار صفحات لكمال إخراجه المشكور، فعوّل علي لإعادة طبعة ثانية لزيادة المعرفة للسادة القراء والباحثين في معرفة تاريخ من هز الأمم وكون العظماء والحكماء وفلاسفة العقل والأصفياء، ولزيادة المعرفة سوف أبين بعض ما جاء في تحرير المرأة عصر الرسالة، وكما في أحكام أهلية الزواج عند الطوائف الإسلامية الثلاث: السنية والشيعية الجعفرية والموحدية الدروز.

المرأة درة غالية لصبرها على ما مر بها من جبروت الرجال واستعبادهم وانحطاط فكرهم العقلي في سلوكهم بجعل المرأة الأم، والمرأة عبدة رقيقة منحطة تساق وتباع في سوق النخاسة، مع أنها غنوة النفوس وراحة الاستمتاع على ما أحبوه منها، ولحرصهم على ما لحظوه من كوكبها المشوق بغرام الفؤاد.

هذا وفي أوائل القرن العشرين كتب رئيس تحرير مجلة (لا ليون ريبلكان)، وهو أشهر رجال الصحافة في عصره (أنه انتشرت في الغرب الحركة الإباحية التي تنادي بالتحرر والتحلل من كل قيود العفة والطهارة، وكان لهذه الحركة كغيرها من الحركات وروادها الذين أخذوا في تزيين فكرهم ومحاولة إقناع الناس به، فنادوا بالحرية الجنسية، على أن يمارس الإنسان الجنس أينما شاء وكيفما شاء بلا حدود أو قيود)[1].

---

1. ولا تقربوا الزنا ص 46 محمد عبد العزيز الهلادي.

إلا أن الحب عواطف وأحاسيس كسائر رغبات الجسد والنفس، وهو الشوق والنزوع إلى العلاقة بين نفسين اثنتين، وهذا شيء عظيم القدر غالي القيمة في الأخلاق وسمو نواميس الفطرة.

ووصايا الأديان حفظ الماء من الزنا المحظر على كل فرد بشري، للوصول إلى الغاية المنشودة المتحررة بعقل وفكر خالٍ وصافٍ من الرواسب المتزمتة والمتعنتة، وتخطي العوائق من التقاليد العفنة بعزم وحزم وقوة منطق في إنصاف الجنسين بعدالة من دون الاستبداد والظلم والتعنت الذكوري واستئصال الظلم من الجنسين إلى الجنسين.

قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [1]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [2]. وقال: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾ [3] وقال: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [4] .

---

1. سورة النور الآية (30 – 31).
2. سورة النساء الآية (19).
3. سورة التكوير الآية (8 – 9): أي أيها الوائد الظالم المستبد القاتل سوف تسأل وتحاسب عن هذا الوأد للأنثى الخارجة عن قوة ما فوق الطبيعة الخلاقة لهذا المخلوق: خشية العار والفقر المرتكبة لسوء ظنك وقلة إيمانك لضعف فكرك الجاهل الحقائق بالمكون العظيم الله الفاعل ما شاء كيفما شاء بالخلق والتكوين من ذكر أو أنثى أو كل زوجين اثنين اثنين.
4. سورة النساء الآية (32).

وقال: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [1].

وفي مقابل ما تقدم من بعض عدالة السماء بتحرير المرأة عصر آخر الرسالات الجامعة السماوية إذ جاء في قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [2]. وكما في الحقوق الزوجية والواجبات قال الرحمن: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [3].

وفي أحكام الأهلية للذكر والأنثى، حيث جاء أن الأهلية لمن بلغ بلوغ الوعي والإدراك، وحدد أهل العلم والفقه والحكم في الطوائف الإسلامية الثلاث في أهلية تأسيس نواة المجتمع يبدأ الزواج فكان:

عند الطائفة السنية: يشترط أن يكون الخاطب حائزاً أهلية الزواج عند إتمام الثامنة عشرة، والمخطوبة عند تمام السابعة عشرة من عمرها، (مادة 4 من قانون حقوق العائلة).

عند الطائفة الشيعية الإمامية: يشترط في كل من الخاطب والمخطوبة، البلوغ والرشد كلاهما، والرشد صفة ملازمة للبلوغ، وسن البلوغ هي خمس عشرة سنة للصبي وتسع سنوات للبنت.

عند الطائفة الموحدية الدرزية: يحوز الخاطب أهلية الزواج بإتمامه الثامنة عشرة، والمخطوبة بإتمامها السابعة عشرة من العمر)، (المادة الأولى من قانون الأحوال الشخصية الدرزية).

---

1. سورة الروم الآية (21).
2. سورة النحل الآية (97).
3. سورة البقرة الآية (228).

إلا أن سن المراهق إتمام الثامنة عشرة من العمر، والمراهقة السابعة عشرة من العمر عند الطائفتين السنية والموحدية الدروز.

أما عند الطائفة الشيعية الإمامية فسن المراهقة للصغير الخامسة عشرة من العمر، وإتمام سن التاسعة من العمر للصغيرة)[1] .

ومعنى الزواج في شرع الموحدين الدروز ليس الزواج مجرد تمتع واتباع رغبة وهوى، وإنما هو ناموس من نواميس الكون، فرضه الله تعالى، لاستمرار بقاء النوع الإنساني، وهو حلال في ما وافق الشرع، وحرام لمجاراته الطبع فيما خالف الشرع[2] .

(أما مكانة المرأة عند عشائر النور داخل خيمتها أو خريوشها وبين أفراد أسرتها فتكاد تكون مهيضة الجناح، وهي مقيدة في جميع حركاتها، ولا تكون حرة إلا في خارج خيمتها والنزل الذي تعيش فيه، فهي حرة ما دامت بعيدة عن أنظار أفراد جماعتها، وهذه الظاهرة الاجتماعية هي عامة لدى كل الشعوب النورية.

وأما النساء من جماعة الحجيات التي يمارس نساؤها الغناء والرقص، حيث المرأة عندهن تتمتع في خيمتها بحرية أكثر من بقية نساء الجماعات الأخرى من النور بسبب طبيعة مهنتها، ولإدخال النشوة في قلوب الزبائن الذين جاؤوا للسمر والترفيه، لكن المرأة منهن تسمح للزبائن بالتحدث والمغازلة إلى حد معين، فإذا ما تجاوزها الزبون، فإنها تنقلب إلى امرأة حادة الطبع لتدفع الأذى عن كرامتها.[3]

والمرأة تفقد إشعاعها وجوهرها البناء في المجتمع بخلل سلوكها، لطبيعة بيئتها وأحوال الزمان والمكان، وكل فعل من أفعال المكلفين تستدعي تضافر جهود العلماء والمفكرين في تحرير العقل المعاصر، وإن

---

1. الأحوال الشخصية عند الدروز / حليم تقي الدين / رئيس محكمة استئنافية ص 32 – 33.
2. الأحوال الشخصية عند الدروز ص 35 حليم تقي الدين.
3. عشائر النور ص 74 – 75 / الأستاذ الدكتور علي جباوي.

تحرير العقل هو السبيل الوحيد إلى التحرير الكامل والأصيل للمرأة والرجل معها.

وفي هذا الكتاب حاولت استقصاء الظواهر الاجتماعية المؤثرة في نشاط المرأة وعلاقتها، سواء في خيمتها وأسرتها وفي المجال الديني الكيفي والمهني والاجتماعي والسياسي عبر العصور، والهدف من هذا الهدف جلاء كيف عبرت المرأة في سلوكها وحياتها، والدين الإسلامي هو الدين الوحيد الذي أنصف المرأة وحررها من قيود الظلم والاسترقاق والاستعباد الجاهلي، ورفع من شأنها وساواها بالرجل في قوله تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ ﴾[1]، وهدم بذلك (عادات وتقاليد جاهلية، سواء من جاهلية العرب أم من جاهليات الشعوب الأخرى التي دخلت في الإسلام، وجلبت معها قليلاً أو كثيراً مما رسخ في عقولها وقلوبها وسلوكها مدى قرون)[2].

والكتاب هذا سفر خالد لعشاق تاريخ المرأة وحياتها وصرامة الرجال من دون رأفة العدالة والمنطق الفكري، وحقيقة المرأة الأم والأخت والزوجة والبنت والخليلة، وهن بلسم الروح والنفس والجسد، وإبداع للأدباء والشعراء والمؤلفين والباحثين أهل الفكر السامي.

وفي الختام لا ختام لموضوع المرأة أم الدنيا في كل المجتمعات، ففي المجتمع الغربي تجربة معاصرة في القانون الروسي السوفيتي لا ينظر إلى درجة تحرير المرأة مقياساً للحكم على المستوى الاجتماعي والسياسي للمجتمع، لقد وضعت الدولة السوفيتية حداً للتمييز ضد المرأة الذي كان سائداً في روسيا القيصرية بتصميم ومن دون مساومة، وكسبت المرأة مكانة اجتماعية يضمنها القانون، وتتساوى مع مكانة

---

1. سورة البقرة الآية 228.
2. تحرير المرأة ص 43 ج 1 عبد الحليم محمد أبو شقة.

الرجل في العمل كالرجل، والأجر المتساوي للعمل المتساوي والضمان الاجتماعي، وأتيحت للمرأة كل فرصة للحصول على التعليم، ولبناء مستقبلها وللمشاركة في النشاط الاجتماعي والسياسي ومن بدون إسهام المرأة وعملها المتفاني ما كان بمقدورنا أن نبني مجتمعاً جديداً أو نكسب الحرب ضد الفاشية.

ولكن طوال سنوات تاريخنا البطولي والشاق عجزنا أن نولي اهتماماً لحقوق المرأة الخاصة، وحاجاتها الناشئة عن دورها أماً وربة منزل ووظيفتها التعليمية التي لا غنى عنها للأطفال، إن المرأة إذ تعمل في مجال البحث العلمي، وفي مواقع البناء، وفي الإنتاج والخدمات، وتشارك في النشاط الإبداعي (ماري كوري)، لم يعد لها وقت للقيام بواجباتها اليومية في المنزل، لقد اكتشفنا أن كثيراً من مشكلاتنا في سلوك الأطفال والشباب وفي معنوياتنا وثقافتنا وفي الإنتاج تعود جزئياً إلى تدهور العلاقات الأسرية، والموقف المتراخي من المسؤوليات الأسرية، وهذه نتيجة متناقضة لرغبتنا المخلصة والمسوغة سياسياً لمساواة المرأة بالرجل في كل شيء، والآن في مجرى البيريسترويكا بدأنا نتغلب على هذا الوضع، ولهذا السبب فإننا نجري الآن مناقشات جادة في الصحافة، وفي المنظمات العامة، وفي العمل والمنزل، بخصوص مسألة ما يجب أن نفعله لنسهل على المرأة العودة إلى رسالتها النسائية البحتة.[1]

وهذا يعني العمل والبحث والتحقق لتوفير التوازن بين العمل المهني، والنشاط الأسروي، وما أعدل النظم الإسلامية في تعزيز مكانة المرأة الأم والزوجة والأخت والبنت وتقديرها ورفعها والحفاظ عليها وعلى مشاعرها ومشاركتها في كل الكل بنفس رضية.

---

1 كتاب البيريسترويكا لميخائيل غورباتشوف ص 138 وكما جاء في كتاب تحرير المرأة في عصر الرسالة ص 455 – 456 ج 2 تأليف عبد الحليم محمد أبو شقة.

والنفس هي النفس الطاغية والحاكمة على تسليك الروح بما تهوى، والهوى هو هوى النفس في كينونة المحبوب الشهوانية بحفظ الهيكل وتكريمه أو ظلمه وقهره في استعباده بالأمر والسلطة، إذ يقول السهروردي: (إن النفس في مقامات الصوفية سوانح من القوى النزوعية داعية إلى محركات شهوانية وغضبية، وعند أكثرهم هي مجرد القوة النزوعية، غير أن القوة النزوعية لها خواص عجيبة، وهي أكثر القوى الحساسة متخيلات وأعجبها أفعالاً، وتخيلها بعد غيبة المحسوسات عن مشاهدة الحواس لها، إلا أنها تتفاوت بدرجات عند الناس بتفاوت النزعة النفسية فيما يدور بالخلد على ما ترعرعت عليه من خير أو شرا من توجيه المرأة الأم، وهذه هي غنوة الغرام لقول ابن الرومي:

ريما كان في المدام شفاء   للمحبين من جوى وغرام

يعجز العقل من ذوي العقل عما   يتأتى لغيرهم بالكلام

قد سقتني من عينها كأس وجد   فعلت في فعل كأس المدام

جله بارد فما كان لي مـ   ـذ كنت فيه بما يحل غرام

فحلال الهوى نبيذ مدار   وحرام الهوى شمول مدام[1]

في 2009/2/2م

المؤلف الدكتور

عبد المنعم جبري

1. ديوان ابن الرومي ج 6 شرح أسامة حيدر.

فتياتنـــا هُـــنَّ الـــدُّرُوع إذا جيشُ الجهالـة والأذى هَجَمَـا

هُـنَّ الأساس لمجدنـا ، فـإذا وَهنَ الأساسُ ، فمجدنا هُدِمَا

الإهداء

- إلى المرأة التي ربّتني، فَأَحْسَنَتْ تربيتي، ورعتني استقامة استقامةً، وتهذيباً، بغَرْس الفضيلة والمُثُل العُليا، وتحمَّلت مشاقَّ الحَمْل والوَضْع كرهاً، ثُمَّ حُبّاً وتفانياً. السَّيِّده الغالية أميرة مُحمَّد عبد الغفور، التي هي مثل كثير من أُمّهات الجيل الماضي سُلُوكاً وأخلاقاً وأدباً وحشمة وإخلاصاً للزَّوج الصّالح التّقي.

- وإلى رُوح والدي الرّجل التّقي النّقي الصّالح الورع الوَليّ المستور المُحافظ على الأدب المُحمَّدي بتربية دينيَّة بيتيَّة سامية الحاجّ عبد الله شُكري جبري.

- وإلى أُخوتي وأخواتي الطَّيِّبين طيب التّربية والتّعليم الأدب المُحمَّدي، الدّاعين للمحبَّة والوئام.

- وإلى صهري الأخ العزيز الفاضل العالم المُستقلّ الخطيب المُفوَّه صاحب النُّكتة برُوح دمثة أدبيَّة الأُستاذ عبد الله ياسين العدوي.

- وإلى امرأتي السَّيِّدة مُنى صالح البرام، وأولادي آيات وأميرال المميَّزين في السُّمُوِّ والتُّقى والصّلاح والعلم، إنْ شاء الله.

ـ وإلى كُلِّ امرأة سامية سُمُوّ الأُدباء أميرة جمال الجلال، سُلطانة الجُود والكرم، العالية بكمالها النّبيل إذا روت النّظر إذا نظر، وهتف لها القلب، وتناغت لها النّفس، وعشقت لها الرّوح، وهامت بطلعتها صاحبة الشّأن.

ـ وإلى الأفاضل الأجلاَّء أبناء العمِّ صالح البرام الرّجال ونسائهم، والفاضلات النّساء ورجالهنَّ جميعاً، وأبنائهم الأعزَّاء.

ـ وإلى كُلِّ مَنْ كان دافعاً ومُساعداً على غرس الضّياء والتّحضير العالي، الذين منُّوا عليَّ بالنُّور في سوريا، دمشق الأُمّ، ورفاق النّضال والعمل الأوفياء.

ـ وإلى الأُستاذ الفاضل المُربِّي العلاَّمة الشّيخ الدُّكتُور أبي الطَّيِّب مُحمَّد توفيق، ابن العلاَّمة تيسير المخزومي صاحب الوُدِّ والمحبَّة والإخلاص والكَرَم والجُود والسُّمُو النَّفْسي.

ـ وإلى شريف خاطر دُرر الياقوت العاطر السّامي، صاحبة السّيادة، أهل العُلُوِّ في سُمُوِّ المثاليَّة غرام يُونُس.

ـ وإلى العزيز المُعزَّز أهل الفكر والكمال والنّضال والعطاء، المُعلِّم المُجاهد المثالي الأمين عصام بك القاضي رمز رجال التّحرير.

ـ وإلى المثاليِّين الأساتذة العظام المُربِّين حنَّا بك ميشيل النّصراوي، والجنرال جورج نجيم.

المُؤلِّف

هذا الكتاب

عندما قابلتُ للمرَّة الأولى الصّديق عبد المُنعم جبري، حينما جاءني لاستشارة طبِّيَّة، لَفَتَ نظري بثقافته العالية، ورُوحه المُرهفة، وخفَّة دمه، ولباقته، وبقُدرته على شدِّ الانتباه عندما يتحدَّث، وقد أمتَعَني كثيراً بكلامه، لكنَّه لم يُرْضِ مُساعدتي، التي فعلت كُلَّ ما بوُسعها لإشعارنا بأنَّ مَنْ في غُرفة الانتظار بدؤوا يتذمَّرون. وتعدَّدت اللِّقاءات من بعدها، ودار الحديث عن بحثه، وعن المرأة التي يُكنُّ لها احتراماً وحُبّاً كبيرَيْن. وتمنَّيتُ له التّوفيق في الغوص في بحارها، التي لها بداية، وليس لها نهاية.

وجاء البحث كما توقَّعْتُهُ حَجَرَ أساس في بناء يُعيد الاحترام لدور المرأة الأمّ، الزّوجة، الأخت، الابنة، والصّديقة. يُظهر دورها في حضارة البشريَّة، في خلال عطاءاتها وتضحياتها التي لا تعرف حُدُوداً، وليس لها نهاية، مثلها مثل البحر. وجاء الكتاب شاملاً؛ إذْ تعرَّض لشُعُوب كثيرة، ومراحل تاريخية مُتعدِّدة، ولديانات وأوضاع سياسيَّة واقتصاديَّة واجتماعيَّة مُختلفة، تطرَّق فيها لأوضاع المرأة، ولسُلُوكها، ولحالتها النَّفْسيَّة في مُختلف طبقات المُجتمع البَدَوي والحَضَري، فجاء ليُغني - بكُلِّ ما للكلمة من معنى - المكتبةَ العَرَبيَّة، التي مازالت تحتاج الكثير من الأبحاث في هذا الموضوع السَّامي.

وقد خطَّ الدُّكتُور جبري بحثه بقلم جريء ، نابع من قلب مُفعم بحُبِّ المرأة ، يُقدِّر جمال روحها ، ومن عقل نَيِّر على حُرِّيَّة العلـم والأدب ، مُشبع بالإيمان العميق ، وإنَّه ليُشرِّفني أنَّه طَلَبَ منِّـي أنْ أعبِّر عمَّا شعرتُ به لـدى قراءة بحثه .

الدُّكتُور بشار اسكندر لُوقا
عُضو الهيئة التَّدريسيَّة
في كُلِّيَّة الطِّبِّ ، جامعة دمشق
عُضو الجمعيَّة الفرنسيَّة لأطباء العيُون
طبيب في مشافي جامعة باريس

بسم الله الرحمن الرحيم

والصّلاة والسّلام على سيِّد المُرسلين وخاتم النّبيِّين، سيِّدنا ونبينا وحبيب نُفُوسنا مُحمَّد صلوات الله عليه وعلى آله الطّيِّبين الطّاهرين وأصحابه الغُرِّ الميامين المُنتجين، ومَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين، والحمد لله ربِّ العالمين.

أمّا بعد:

ليس من كتاب في التّاريخ القديم والمُعاصر تطرَّق إلى موْضُوع المرأة وتاريخها ونشأتها وحياتها وتطوُّرها مُستوفياً الشُّرُوط الكاملة والمُستفيضة والإنسانيَّة وحقّها تجاهها كأُنثى وزوجة ومُربِّية ومُرشدة اجتماعيَّة، سواء في الحياة الخاصَّة أو العامَّة؛ إذْ لديها الصّدارة والدَّور الرّئيس والرّائد في تولِّي مقاليد الحُكْم وفلسفة الوُجُود في المنزل وفي المُجتمع، مع ما لديها من عطف الأُمُومة وتدارك العقبات ورغد العيش، وقد قيل [الجنَّة تحت أقدام الأُمَّهات، والأُمُّ مدرسة إذا أعددْتَهَا.. أعددتَ شعباً طيِّب الأعراق].

ليس اليوم لأُعَرِّف عن ما كَتَبَهُ الأُستاذ الدُّكتُور عبد المنعم جبري حفظه الله عن الشّرح الوافي والكافي؛ إذْ كان له القدح المعلّى في شتَّى مواضيع المرأة، وفي خُصُوصيَّة وشُمُوليَّة ما احتوى في كتابه من آراء ونظريَّات مُطابقة

للواقع والحقيقة لهذا المخلوق الأنثوي مُنذُ فجر التّاريخ إلى يومنا هذا، والذي لم يعطَ إنسانيَّته كما ينبغي لدى كثير من هذه المُجتمعات، أو تلك، القديمة منها والمُعاصرة؛ إذْ لم يكن للمُجتمع المُتخلِّف خلفيَّات عن نُبْل المرأة وذكائها وقُدرتها ونجدتها وحقّها في هذا المُجتمع، أو ذاك.

ولصاحب هذا الكتاب الدُّكتُور جبري اليد الطُّولى في البحث والتّنقيب والتّمحيص والتّدقيق وعُمق التّفكير وحُسْن الأداء، وقد مكث سنين طوال في استحقاق ما كَتَبَهُ ويكتبه في كافة ميادين البحوث الاجتماعيَّة والدِّينيَّة والفقهيَّة والدُّنيويَّة، حتَّى استنفد كلّ المعطيات التي وصل إليها، وما إلى ذلك من المُتطلّبات والتّحصيل العالي والمثابرة دُون ملل على غرس الضّياء والحقّ والتّحقيق بالأدلّة التّاريخيَّة الدّامغة والعمل الدّؤوب. أدامه الله للبشريَّة ذخراً وعوناً، والله وَليّ التَّوفيق.

هذا الكتاب - في النّهاية - قد استفاض في شرحه عن مكنون المرأة ماضياً وحاضراً ومُستقبلاً، في شتَّى المواضيع الإنسانيَّة والمعيشيَّة، وما لديها من تأثير في خير هذه البشريَّة وحقّها في تقرير المصير، بأُسلُوب شيّق سهل، يسهل على جميع الطّبقات فَهْمه، لما فيه من فَهْم عميق عن واقع المرأة وحقائقها، وهذا ما قد تحتاجه البشريَّة اليوم بكافَّة مراحلها وتطوُّرها.

خُوستُو مُوسى

كلمة تعريف

المرأة شُغل العالم الشّاغل لكلّ آدمي ارتقى عقلاً وأدباً وفكراً وسلُوكاً.

والمرأة حضارة في كلّ بيت وأُسرة ومُجتمع.

والمرأة سرّ الكون في مكنون الحياة.

وكتاب (المرأة عبر التّاريخ البشري) قد فاق رونقاً تاريخيّاً وترتيباً وأُسلُوباً من عبارة سلسلة عالية للكاتب والأديب والفلسفي التّاريخي، وعاديّة مفهومة مرنة للمتُعلّم والقارئ لمآثر المرأة في هذا الكتاب التّاريخي لحياة المرأة لدى الشُّعُوب، وكيف عانت تحت نير الاستعباد والاستبداد والاسترقاق، وبقيت بقلبها الكبير تتلقّى كافّة أنواع وألوان الإهانة والعذاب عبر العُصُور، وهي تُقدّم ـ رغم كلّ ذلك ـ الخدمات والرّعاية والعناية، حتّى جابت في أخاديد الدّيانات من انحطاط واستعباد واسترقاق ونبذ وإبعاد، إلا في بعض العُصُور والإمبراطُوريّات التي تملّكتْ، وحكمتْ، وسَمَتْ، وسُمّيَ باسمها ما سُمّيَ، وأُخذ منها القداسة. حتّى جاء الإسلام، فرفع عنها المظالم والقتل والوأد، وأعطاها حقّ ما أخذته في عصر من العُصُور الغابرة.

فالأُستاذ الأديب المُنقّب الباحث العالم بدقائق الآثار والتّراث التّاريخي والسّياسي والاجتماعي النّضالي والدّيني كما عهدته الدُّكتُور عبد المُنعم جبري قد أشبع كتابه هذا كلّ دقّة في جميع محافل المرأة وتُراثها الأكاديمي المعطاء، مُنذُ بدء الخليقة حتّى عهد الإسلام.

فالكتاب ـ حقاً ـ يستحقّ كلَّ تقدير لما جمع بين دفّتَيْه من بُحُوث لم يتطرّق لها أيّ كاتب، وعليه؛ يستحقُّ ويُعطى مُؤلّفه أعلى ما يُعطى الأكاديمي من مراتب شهاديَّة ومركزيَّة، لتعلو بِمَنْ هُو أهله، لسُمُوِّ فكره وعقله وحُضُور لفتاته الحيَّة في أيّ مجلس ومحفل.

والدُّكتُور عبد المُنعم جبري ما ترك نافذة من نوافذ تاريخ المرأة عبر العُصُور والقُرُون إلاَّ وأتى على ذكره، وبيَّن ـ أيضاً ـ مراحل أطوار المرأة النّفسيَّة والفسيُولُوجيَّة في سوائها وانحرافها وفلسفتها، طبقاً لأُسُس علم النَّفْس، وكما بيَّن فكرها العلمي وعظمة أُمُومتها وإدارة بيتها في تأسيس الأُسرة.

فالدُّكتُور جبري غنيّ عن التّعريف في فكره وعقله وحُضُوره ونضاله الوطني وخدماته الاجتماعيَّة أينما حلَّ، هذا؛ ويفيئه علينا وعلى كلّ فكر بهذا الكتاب القيّم في جميع موادّه الأكاديميَّة، وليكن هذا الإعطاء ناقوساً يُدقُّ في عالم الأُنُوثة والرّقَّة؛ لأنَّ المرأة هي الأُمُّ والأديب والطّبيب والقائد.

وإنَّ الدُّكتُور الأخ العزيز عبد المُنعم جبري إنَّما هُو السّبَّاق دائماً كما عهدناه، وقد قام بالخُطوة المُثلى النّادرة بتطرُّقه إلى المرأة، وأثرها الجامع المُهمّ في المُجتمعات، وإنَّنا نتقدَّم إليه بفائق المحبَّة والمودَّة والوفاء، آملين له التَّوفيق، وأنْ يُتحفنا دائماً من ذخائر مكنونه مع الاحترام.

الدُّكتُور مُحمَّد عيتاني
عُضو وأمين عامّ المركز الثّقافي اللّبناني
رئيس تجمُّع شباب وشابات عائلات بيروت

كلمة في كتاب

هذا الكتاب القيِّم الشيِّق والمُشوِّق مُفيد ونبراس؛ لأنَّه حدائق أزهار لأزهار الدُّنيا، يزيد في مكتباتنا تُراثاً مُغذِّياً أفكارنا، ومُنعشاً نُفُوسنا بحقائق تاريخيَّة إنسانيَّة حضاريَّة زمنيَّة تقديريَّة في حقيقتنا النّسويَّة نحنُ بني حوّاء، والذي أرانا فيه قيمة المرأة الإنسان المعطاء، رغم التَّسلُّط، وأنَّها هي المدرسة البنَّاءة الأمينة على كمال الرّجال والأُسر، وهي المُجتمع كلّه.

والكتاب مُشوِّق بأُسلُوبه وموضُوعاته الزّاخرة المليئة حقائق اللّطف والأُنس والمُتعة والعطاء التّاريخي في كلّ العُصُور، وليعلم الرّجال أنَّ المرأة هي الأَولى في الخير والشَّرِّ من نَفْس الرّجال، ويكفيني أنْ أذكر قصَّة قابيل وهابيل.

وهُنا لا يسعني إلاَّ أنْ أشكر الأخ الدُّكتُور عبد المُنعم جبري على ما قدَّم بكتابه هذا (المرأة عبر التَّاريخ الشري) الجامع القيّم بأُسلُوب جذّاب يتفهَّمه كلّ قارئ ومُفكّر وباحث عن الحقيقة، التي أسهب بها الدُّكتُور المُؤلِّف، والتي يدفع المُتذوِّق لقراءته مرَّات؛ ليتمكَّن من جميل ما عرضه الدُّكتُور جبري المشكور على جهده وتُراثه الفكري، وليعلم كلّ الرّجال أنَّ المرأة هي الأُمّ.

ليزا دلاله
مُعلِّمة تأسيس

تمهيد
الكرامة

الإسلام أكَّد الكرامة القائمة على أساس من الإنسانيَّة، المُجرَّدة والشّاملة لكلٍّ من الرّجل والمرأة على السَّواء، عندما حصَّنها بحصن التّقوى والعمل الصّالح، وجعل منهما - دُون غيرهما - ميزان تفاوت النّاس في العُلُوِّ والمكانة عند الله، وذلك عندما قال الله - عزَّ وجلَّ - في فُرقانه الأزلي: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾[1]، وكرامة المرأة جُزء لا يُجتزأ من الكرامة التي أعلن الإسلام عنها لبني الإنسان أجمع، عندما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴾[2].

بهذا البيان دلالة صريحة نطق بها القُرآن الكريم؛ حيثُ فضَّل وكرَّم الذَّكَر والأنثى على السَّواء، والنّاس يتفاوتون في الكرامة التي متَّعهم الله بها بتفاوتهم في تعظيم حرمات الله، والأعمال الصّالحة المفيدة للإنسانيَّة، ويُعالجهم بالأحكام من خلال الواجبات تهذيباً وتقويماً وحماية وإسعاداً..

(1) سورة الحجرات، الآية: 13.

(2) سورة الإسراء، الآية: 70.

ومن مظاهر التّنسيق الإلهي بين الطّبائع التي قضى بها أنْ جعل الفطـرة لدى كلٍّ من الرّجل والمرأة متَّفقة في جوهرها مع مضمـون الأوامر في كُلِّيّات الحُقُوق الإنسانيَّة بحقّ الحياة والحُرِّيَّة والأهليَّة، وما يتبعه من الحُقُوق الاقتصاديَّة والسِّياسيَّة والاجتماعيَّة.

د. عبد المُنعم جبري

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله ربّ العالمين، الفتّاح الفتح المبين بنور الصّلاة والسّلام على مَنْ أرسل مُعلِّماً ورحمة للعالمين، سيِّدنا مُحمَّد بن عبد الله، وآله الكرام، وصحبه الغُرِّ الميامين، ومَنْ تبع هُداهم إلى يوم الدِّين.

أمَّا بعد:

لَمَّا كانت المرأة الشُّغل الشّاغل في عالم الرّجال، والكُلُّ لهم عالم في مكنون النّسوة لناسونيَّة شفافيَّة الانجذاب لهيكليَّة المرأة ووضعها الاجتماعي في العُصُور والحضارات لدى الشُّعُوب على مرّ الزّمان من حوّاء الأُمِّ الأُولى حتَّى البعثة المُحمَّديَّة، فكان التَّحقُّق بالتّنقيب في جوف الأسفار وسُطُور المُؤرِّخين حتَّى وافيت الأثر من الأثار باستعراضي لبعض الأبحاث استعراضاً عاجلاً ومُوجزاً، وأُخرى تعمُّقاً، حتَّى أجمع ما هُو واقع في أثر المرأة مُستدلاً على كلّ موضُوع من مواضيع البحث بالأدلَّة التّأريخيَّة السّماويَّة والوضعيَّة، وبالوقائع التي نشرت عن حال المرأة بأقوال المنصفين والمتعصِّبين والمستعمرين وأعداء المرأة، بدءاً من دراسة المُراهقة عند الفتيان، وأثرها في التّحصيل العلمي، حتَّى إعطاءها الحقَّ بالميزان العادل، وأَثْبَتُّ كلَّ ذلك بدقَّة الحدث

الواقع لدى أصحاب الرّأي من الكُتّاب المؤلّفين لشواهدهم بدراسة الشُّعُوب وأثرهم الاجتماعي والاقتصادي والسِّياسي والعسكري والزّراعي في عالم المرأة وحيازتها وكيانها الحُقُوقي والرُّوحي والفكري بالحُرِّيَّة والعُبُوديَّة، وفي كافَّة التَّطوُّرات الشُّعُوبيَّة والمبادئ والآراء المُتقدِّمة للعُصُور بذكْر ترداد المرأة على الألسن، هل لها أنْ تتعلَّم؟! وهل تُزاحم الرّجل؟!.. وهل لها أنْ تعمل بالتّجارة والطِّبِّ والمُحاماة والعطارة (الصّيدلة) والشّعوذة كالسّاحرات وغيرها من المهن، وأنْ تتقلَّد وظائف الحُكْم، وتضطلع بأعباء مراسم الأُمَّة؟!..

فأتت الرّسالة السّماويَّة الأخيرة بختم مُحمَّد النّبي صلوات الله عليه، وأنفذت لها التّشريع النّسائي والوصايا بالنّساء من آيات قُرآنيَّة وأحاديث نبويَّة شريفة تسترعي الانتباه صيانة للمرأة من جور العُرْف والمواضعات وتقلُّباتها في المُستقبل، وحفظاً لمقامها الاجتماعي عن الابتذال المحاط بالمجادلة والرِّياء على نحو ما نرى في المُجتمعات الغربيَّة، فهُناك احترام ظاهر مبتذل غير رحيم، ونسمع ونشاهد تلفزةً وواقعاً في هذه الأيام، كما نرى عوامل الانحلال والانحطاط الخُلقي في كيان الأسر عند بعض الأُمم، وخاصَّة الرّاقية المُتقدِّمة والفقيرة المُعدَمة للواقع الاقتصادي والاجتماعي والحروب. والإسلام جاد في كل وقت وحين بحماية المرأة؛ لتُعطي المُجتمع شعباً طيِّب الأعراق، سويَّ الفكر، عالياً رفيع المزايا؛ لينهض بأرض وشعب الوطن.

مُقدَّمة تأريخيَّة

المرأة

المرأة كائن حيٌ مُعقَّد، ولكنَّها دُرَّة غالية:

إنَّ قضيَّة المرأة هي قضيَّة كلّ مُجتمع في القديم والحديث، فالمرأة تُشكِّل نصف المُجتمع من حيثُ الأهمِّيَّة، وأجمل ما في المُجتمع من حيثُ العواطف، وأعقد ما في المُجتمع من حيثُ المُشكلات، ومن ثمَّ؛ كان من واجب المُفكِّرين أنْ يُفكِّروا في قضيَّتها دائماً على أنَّها قضيَّة المُجتمع أكثر ممَّا يُفكِّر أكثر الرّجال فيها على أنَّها قضيَّة جنس وتمتُّع أو مُبهج، والرّجل وَلوع بالمرأة، شَغوفٌ بجمالها، وكان يستهلُّ نثره أو شعره بوصفها، والحنين إليها، ثُمَّ ينتقل إلى الغرض الذي أنشأ نثره أو شعره من أجله.

تطوُّر حُقُوق المرأة عبر التّأريخ:

لابُدَّ لي أنْ أستعرض تأريخ أوضاع المرأة الاجتماعيَّة والقانونيَّة في المُجتمعات القديمة حتَّى ظهر الإسلام، ثُمَّ في أُورُوبا عبر القُرُون الوُسْطَى والعُصُور الحديثة، ومن الواضح لكُلِّ دارس مُنصف لهذه الأوضاع أنَّ المرأة برغم التّباين في موقف الأُمم والشّرائع من القسوة عليها أو الرّحمة بها فإنَّها قبل الإسلام لم تنلْ مكانتها الاجتماعيَّة وحُقُوقها القانونيَّة التي تستحقّها بما يتَّفق مع رسالتها العظيمة، التي خصَّصتْهَا لها الحياة الطّبيعيَّة فيها، ولا مع مكانتها التي ينبغي أنْ نعترف بها، وهاكم بعض النُّبذ عن ذلك.

ـ *عند الهُنُود:* لم يكن للمرأة في شريعة مانو حقّ في الاستقلال عن أبيها أو زوجها أو ولدها، فإذا مات هؤلاء جميعاً وجب أنْ تنتمي إلى رجل من أقارب زوجها وهي قاصرة، طيلة حياتها، ولم يكن لها حقّ في الحياة بعد وفاة زوجها، بل يجب أنْ تموت يوم موت زوجها، وأنْ تُحرَق معه وهي حيَّة على موقد واحد، واستمرَّت هذه العادة حتَّى القرن السّابع عشر؛ حيثُ أُبطلَتْ على كُره من رجال الدِّين الهُنُود.

وكانت المرأة تُقدَّم قرباناً للآلهة لترضى وتأمر بالمطر والرِّزق وما إلى هُنالك من مُعتقدات، وكذلك كان عُلماء الهُنُود يعتقدون أنَّ الإنسان لا يستطيع تحصيل العُلُوم حتَّى يتخلّى عن جميع روابط العائلة.

ـ *عند اليهُود:* اليهُود يعتبرون المرأة لعنة؛ لأنَّها أغوت آدم، وقد جاء في التَّوراة (المرأة أَمَرُّ من الموت، وإنَّ الصّالح أمام الله ينجو منها، رجلاً واحداً بين ألف وجدتُ، أمَّا امرأة؛ فبين كُلِّ أولئك لم أجد).

ففي الإصحاح الثّاني والأربعين من سفر أيُّوب: (ولم تُوجد نساء جميلات كنساء أيُّوب في كُلِّ الأرض، وأعطاهنَّ أبوهنَّ ميراثاً بين أخوتهنَّ).

بعض طوائف اليهُوديَّة تعتبر البنت من مرتبة الخدم، وكان لأبيها الحقّ في بيعها قاصرة، ولا ترث إلاَّ إذا لم يكن لأبيها ذرِّيَّة من البنين، وإلاَّ ما كان يتبرَّع به لها أبوها في حياته.

ـ *عند اليُونان:* أوَّل عهد اليُونان بالحضارة كانت المرأة عفيفة ومحصنة لا تغادر البيت، وتقوم بكُلِّ ما يحتاج من رعاية، وهي محرومة الثّقافة والتّعليم والإسهام في الحياة العامَّة، ومحتقرة، حتَّى سُمِّيَتْ رجساً، ومفروض الحجاب

عليها في البيوتات العالية، ومن النّاحية القانونيّة كانت تُباع وتُشترى في الأسواق، وهي مسلوبة الحُرِّيَّة والمكانة بكُلِّ الحُقُوق المَدَنيَّة، وليس لها حقّ ميراث، وجعلوها تحت سلطة الرّجل في الزَّواج والطّلاق، المفروضَيْن منه، والإشراف على مالها إنْ وُجد، وليس لها أيّ حقّ بعقد أو إبرام أيّ شيء حتَّى في طلاقها، إلاَّ في حالات استثنائيَّة. وفي أوج حضارة اليُونان تبذّلت المرأة، واختلطت بالرّجال، وأصبحت الرّزيلة مُباحة ومبتذلة، حتَّى اعترفت ديانتهم بالعلاقة الآثمة بين الرّجل والمرأة، إلى ما هُنالك من الإباحيَّة الإلهيَّة (الوثنيَّة)[1].

ـ عند الرُّومان: ربّ الأُسرة هُو المالك لأفراد العائلة، وما تملك، وله الحقّ بالبيع والشّراء والسّلطة على الزَّوجة والأبناء وزوجاتهم والبنات، وله الحقّ ببيعهم متى شاء، ويتصرَّف بهم، وله السّلطة على البنات حتَّى الممات، وعلى أموالهنَّ الموروثة من أُمّهاتهنَّ، وله الحقّ بالتَّصرُّف بثلث المال، إلى أنْ عُدِّل وضع الأب والرّجل بحماية المرأة بمُوجب قوانين الألواح الاثنَيْ عشر.[2]

في العصُور الوُسْطَى:

ـ عند الفرنسيِّين:

عُقد اجتماع في فرنسا سنة 586 م، يبحث شأنَّ المرأة، وما إذا كانت تُعَدُّ إنساناً؟ وبعد النّقاش؛ قرَّر المُجتمعون أنَّ المرأة إنسان، ولكنَّها مخلوقة لخدمة الرّجل[3].

---

(1) المرأة بين الفقه والقانون، د. السّباعي.

(2) المرجع السّابق.

(3) تاريخ العُصُور الوُسْطَى، د. أحمد شلبي.

هكذا أثبت الفرنسيُّون إنسانيَّة المرأة، تلك الإنسانيَّة التي كان مشكوكاً فيها من قبلُ، وحتَّى عندما أثبتوها لم يُثبتوها كاملة، وإنَّما جعلوا المرأة تابعاً وخادماً للرّجل، ومن أجل هذا مرّ الزّمن حتَّى عصرنا الحديث والمرأة الفرنسيَّة محرومة من أبسط الحُقُوق التي مُنحَتْهَا المرأة المسلمة مُنذُ مئات السّنين، وقد صدر قانون في شباط سنة 1938م، يُلغي القوانين التي كانت تمنع المرأة من بعض التَّصرُّفات الماليَّة[1].

ـ عند الإنكليز:

في إنكلترا حرَّم (هنري الثّامن) على المرأة الإنكليزيَّة قراءة الكتاب المُقدَّس، وظلَّت النّساء حتَّى سنة 1850م غير معدودات من المُواطنين، وظللنَ حتَّى سنة 1882م ليس لهنَّ حُقُوق شخصيَّة، ولا حقَّ لهنَّ في التَّملُّك الخالص، وإنَّما كانت المرأة ذائبة في أبيها أو زوجها.[2]

وذُكر أنَّ الزَّوجة الإنكليزيَّة كانت تُباع في إنكلترا فيما بين القرن الخامس والقرن الحادي عشر. وشرٌّ من ذلك؛ كان للشّريف النّبيل ـ رُوحانيًّاً كان أو زمنيًّاً ـ الحقّ في الاستمتاع بامرأة الفلاَّح إلى مدَّة أربع وعشرين ساعة من بَعْد عقد زواجها على الفلاَّح. وإلى الآن مايزال في بعض الأرياف الإنكليزيَّة مَنْ يبيعون نساءهم بثمن بخس جداًّ، وتُقدَّر بشلنات معدودات[3].

---

(1) تاريخ العُصُور الوُسْطَى، د. أحمد شلبي.
(2) تاريخ العُصُور الوُسْطَى، د. أحمد شلبي.
(3) وصف علم الاجتماع، هربرت سبنسر.

وقد نوَّه الأُستاذ مُحمَّد رشيد رضا بذلك؛ إذْ قال: من الغرائب التي نُقلت عن بعض صُحُف إنكلترا في هذه الأيَّام أنَّه مايزال يُوجد في بلاد الأرياف الإنكليزيَّة رجال يبيعون نساءهم بثمن بخس جداً كثلاثين شلناً، وقد ذكرت الصُّحُف الإنكليزيَّة أسماء بعضهم[1].

- عند العَرَب في الجاهليَّة:

كانت المرأة في العُصُور الوُسْطَى - بصُورة عامَّة - تُمْتَهَن، فالمرأة في العصر الجاهلي كانت تُعدُّ - أحياناً - عاراً وإثماً يجب التَّخلُّص منهما، وانتشرت عادةُ وأد البنات، حتَّى جاء الإسلام، وحرَّم هذه العادة الذّميمة، ولكنَّها كانت في بعض القبائل تحظى بمكانة عالية، وتتمتَّع بقسط من حُرِّيَّتها، وكانت - في بعض الأحيان - ترفض الزَّواج الذي أُريد لها، بل تدعو الخُطَّاب، فتسألهم عن مسائل فإنْ هم أجابوا اختارت مَنْ كان جوابه ملائماً لما في نفسها، ويُقال إنَّ إحدى بنات بني كنانة دعت ثلاث رجال، وسألتهم على انفراد، ثُمَّ زوَّجت نفسها واحداً منهم[2].

وبعض الرِّجال المشهورين كانوا يُدْعَون لأُمَّهاتهم كالمنذر بن ماء السّماء، وعَمرو بن هند، وشرحبيل بن حسنة، ومعاذ بن عفراء، وكانت بعض القبائل تُسمَّى بأسماء مُؤنَّثة مثل: جَديلة، ومُزَيْنة، وخندق، وعَفْراء، وجُهَيْنَة[3].

---

(1) من مقالات مجلَّة المنار، مُحمَّد رشيد رضا.

(2) مكانة المرأة، العميد الرُّكن محمود ضاهر وتر.

(3) الزَّواج عند العَرَب في الجاهليَّة والإسلام، د. عبد السّلام التّرمنيني.

ومن حيثُ العلاقات الاجتماعيَّة كان الـزَّواج هُـو الأصـل بـين الرّجـل والمرأة، ويُسمَّى عندهم زواج البعولة، وينشأ بالخُطبة والمهر والعقدة، ولكنَّ أنواعـاً أُخـرى مـن الأنكحـة وُجـدت في الجاهليَّـة إلـى جـانب الـزَّواج، وقـد عرَّفَتْ بها أُمُّ المؤمنين السيِّدة عائشة ـ رضي الله عنـها ـ بقولـها : (كـان النّكـاح في الجاهليَّة على أربعة أنحاء :

1 ـ *نكـاح النّـاس اليـوم* : يخطـب الرّجـل إلـى الرّجـل وليَّتـه أو ابنتـه، فيصدقها، ثُمَّ ينكحها .

2 ـ *نكـاح آخـر* : كـان الرّجـل يقـول لامرأتـه إذا طـهرت مـن طمثـها : أرسلي إلى فلان فاستبضعي منـه، ويعتزلـها زوجـها، ولا يمسّـها حتَّـى يتبيَّـن حملها، فإذا تبيَّن أصابها زوجها إذا أحبَّ، وإنَّما يفعـل ذلـك طمعـاً في نجابـة الولد، ويُسمَّى نكاح الاستبضاع .

3 ـ *نكاح آخر* : يجتمع الرّهط مـا دُون العشـرة، فيدخلـون علـى المـرأة كلّهم يصيبـها، فـإذا حملـت، ووضعـت، ومـرّ عليـها عـدَّة ليـال، أرسـلت إليهم، فلا يستطيع رجل منهم أنْ يمتنع، حتَّى يجتمعوا عندها، فتقول لهم : قد عرفتم ما كان من أمركم، وقد وَلَدْتُ، فهُو ابنُكَ، يـا فـلان؛ تُسـمِّي مَـنْ أحبَّتْ باسمه، فيلحق به ولدها، ولا يستطيع أنْ يمتنع من الرّجل .

4 ـ *نكـاح* : يجتمـع نـاس كثير، فيدخلـون علـى المـرأة لا تمتـنع ممَّـنْ جاءها، وهُنَّ البغايا، ينصبنَ على أبوابهنَّ رايات تكون عَلَمَاً، فَمَـنْ أرادهـنَّ دخل عليهنَّ، فإذا حملت إحداهنَّ، ووضعت، جمعـوا القافـةَ، ثُمَّ ألحقوا ولدها بالذي يرون، فالتاط به ـ أيْ التصق، ودُعي ابنه، لا يمتنـع من ذلـك .

فلمّا بُعث مُحمَّد ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ بالحقّ هدم نكاح الجاهليَّة كُلَّه إلاَّ نكاح النّاس اليوم[1].

ـ في الإسلام:

إذا ما عرضنا للمُجتمع العَرَبي قبل الإسلام وجدناه لا يقلّ قسوة في معاملة المرأة وامتهانها عند المُجتمعات الأُخرى إلاَّ في حالات قليلة. ومع بعض الحرائر من نساء سادات العَرَب. فالمُجتمع العَرَبي كان يقتل الطّفلة بوأدها وهي وليدة، وتلك جريمة من أبشع الجرائم الإنسانيَّة والخلقيَّة، وكان كثير من سادات العَرَب يفخرون بذلك، فهذا قيس بن عاصم المنقري، يعترف أمام الرّسول مُحمَّد بن عبد الله ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ أنَّه وأد بضعة عشر بنتاً من بناته في الجاهليَّة، فاستفظع الرّسول ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ هذا العمل، وفرض عليه كفَّارة مقدارها عتق نَفْس عن كُلّ موءودة، مع أنَّ الوأد تمَّ قبل إسلام قيس[2].

وقد استبشع القُرآن الكريم هذه الفعلة الوحشيَّة، فوصفها في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[3].

---

(1) الحديث رواية الإمام البخاري، ويُراجَع: الزَّواج عند العَرَب في الجاهليَّة والإسلام، د. عبد السّلام التّرمتيني. وكذا: مكانة المرأة، للعميد الركن محمد ضاهر وتر.

(2) إسلام بلا مذاهب، د. مصطفى الشّكعة.

(3) سورة النّحل، آية: 58 ـ 59.

في كتاب الله القرآن:

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[2].

وقال جلّ جلاله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[3].

وقال جلّ وعلا: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[4].

وإجلالاً لها ـ أيْ المرأة ـ سُمِّيَتْ سورة باسم النِّساء.

---

(1) سورة لقمان، الآية: 14.

(2) سورة الإسراء، الآية: 23 ـ 24.

(3) سورة النِّساء، الآية: 1.

(4) سورة المجادلة، الآية: 1.

في الحديث النّبوي:

قال الرّسول الكريم صلوات الله عليه وآله وسلّم:

- "ما أكرمَ النّساء إلاّ كريم، وما أهانهنّ إلاّ لئيم"[1].

- "أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلُقَاً، وخياركم خياركم لنسائهم"[2].

- وقال أيضاً: "مَنْ كان له ابنة فأدّبها، فأحسن تأديبها، وغذّاها، فأحسن غذاءها، وأسبغ عليها من النّعمة التي أسبغ الله عليه كانت ميمنة وميسرة من النّار إلى الجنّة"[3].

- وقال أيضاً: "الجنّة تحت أقدام الأُمّهات"، فقد أكرم المرأة في أمومتها.

- وقال: "مَنْ أحقُّ النّاس بحُسْن صُحبتي؟ قال: أُمُّك/ ثلاث، ثُمّ أبوك".

- وأخيراً؛ فالشّرعيّة القُرآنيّة الإسلاميّة أعطت المرأة أعظم الحُقُوق بالنُّصُوص القُرآنيّة والنّبويّة، ورفع عنها لعنة الخطيئة البدنيّة، ووصمة الجسد المبذول.

---

(1) رياض الصّالحين، الإمام التّرمذي.

(2) رياض الصّالحين.

(3) رياض الصّالحين.

الفصل الأوَّل:

المرأة ومصير العالم

هل تُحدِّد المرأة مصير العالم؟!.. نعم.

خُبراء دوليُّون كثيرون يقولون هذا الرَّأي، ويستشهدون بدراسات علميَّة تُحدِّد كم تلد المرأة في كُلِّ بلد، ويضيفون أنَّ التَّوازن بين السُّكَّان والموارد هُو الذي يُحدِّد - في النّهاية - إذا كان العالم مُقدماً على كارثة، أو أنَّه سيمرُّ بعنق زجاجة، وهي التي تُحدِّد أجلها بنهاية القرن الحادي والعشرين.

في ذلك الموعد المضروب يأمل العُلماء والخُبراء المشتغلون بقضايا السُّكَّان أنْ يتمَّ تثبيت عدد السُّكَّان في العالم، فلا يزيدون، ولا ينقصون، وإنَّما تتساوى الزِّيادة السّنويَّة مع حجم الوفيَّات، بينما تستمرُّ الموارد الاقتصاديَّة في التّزايد، فتنقلب نتائج المعادلة لصالح الإنسان.

وهُناك فرق بين النّهايتَيْن: نهاية القرن العشرين ونهاية القرن الحادي والعشرين، وبينما تذهب توقُّعات مُنظَّمة الأغذية والزّراعة لاحتمال وقوع خلل و جُوع في بعض البلدان في نهاية القرن الحالي، يأتي الأمل في موقف أفضل في القرن المقبل.

في آخر تقرير لصندوق الأُمم المتَّحدة للنّشاطات السُّكَّانيَّة خبر هامّ سوف يضعه الصّندوق أمام خُبراء المُؤتمر، الخبر يقول إنَّ معدَّل نُمُوّ السُّكَّان في البلدان النّامية، وبعد عشر سنوات على انعقاد مُؤتمرهم الأوَّل في بوخارست: قد انخفض بما يفتح الطّريق لتطوّر هامّ في مُستقبل العالم بالأرقام، يقول التّقرير: إنَّ معدل التّزايد السُّكَّاني في البلدان النّامية خلال الفترة (1965 ـ 1970) كان 24 في الألف، فأصبح عشرين في الألف[1] في الفترة التي تلت عام 1980 وحتَّى الآن.

التّطوّر هامّ؛ لأنَّه يوفِّر نصف المعركة التي يخوضها الإنسان من أجل موارد أكثر، توفّر له الغذاء والكساء والمسكن والحياة اللائقة، لكنَّ هذا التَّطوُّر، والذي بدأت تباشيره، مرهون بقرار تتَّخذه المرأة، فأيُّ نوعٍ من القرارات مازال ساري المفعول؟

رغم الانخفاض العامّ في معدَّل تزايد السُّكَّان بالدُّول النّامية، فإنَّ موقف المرأة من الإنجاب مازال محلّ مناقشة في كينيا، ووفق دراسة للأُمم المتَّحدة؛ بلغ حجم الأُسرة (من 3 ـ 8) فرداً في المُتوسِّط. ولكنْ؛ وفي بلد آخر من العالم الثّالث هُو سريلانكا فإنَّ عدد أفراد الأُسرة قد انخفض إلى 8 ـ 3 أفراد.. و.. بما يجعل مُتوسِّط عدد الأطفال طبقاً لتقديرات الأُمم المتّحدة عن فترة (1975 ـ 1980) مُرتفعاً، على أيّ حال؛ وبتحديد أكثر، وفي أواخر السّبعينات، بلغ عدد الأطفال الذين تنجبهم امرأة العالم الثّالث (4064) طفلاً في المُتوسِّط، بينما بلغ هذا المُتوسِّط لامرأة العالم المُتقدِّم طفلَيْن فقط.

---

(1) مقالة المراغي في مجلّة العَرَبي عام 1984، شهر آب.

و . . بحساب الوفرة الاقتصاديّة في العالم الأوّل والأزمة الشّديدة في العالم الثّالث مع هذه المتوسّطات المتفاوتة يبدو جليّاً كم يُصبح نصيب إنسان العالم الثّالث من الدّنيا .

ولكـــنْ . .

ورغم الانعكاسات الضّارّة لزيادة عدد السُّكّان مع ندرة الموارد ، فإنَّ عوامل كثيرة تدفع المرأة للإنجاب ، بل وإنَّ عوامل أُخرى تجعل خُبراء السُّكّان يؤثرون أنْ يتركوا للأبوَيْن "حُرِّيَّة اتِّخاذ القرار" في العدد الذي يرغبانه من الأبناء .

وعندما أُجريت دراسة أخيرة عن العدد الذي تُفضّل إنجابه كُلُّ أُمٍّ ، قالت المرأة الأُورُوبيّة والمرأة الكينيّة والعديد من نساء العالم الثّالث إنَّهن يُفضّلن إنجاب أكثر من ستَّة أطفال ، وزاد العدد عند بعضهنَّ إلى ثمانية وتسعة أطفال ، ولاحظت الدّراسة أنَّ الرّغبة - على عكس ما يتوقَّع البعض[1] - تفوق - أحياناً - العدد الفعلي الذي تُنجبه المرأة .

عند التّفسير نجد العديد من الأسباب التي تجعل المرأة - وربّما الأُسرة كُلُّها - تُفضّل الأولاد الأكثر ، فارتفاع نسبة الوفيَّات بين الأطفال الرُّضَّع يزيل الإحساس بالأمان عند الأُمِّ ، فتُنجب "على سبيل الاحتياط" أيضاً ، فإنَّ التّقاليد الاجتماعيَّة التي تجعل للذَّكَر مكاناً وللأُسرة الكبيرة مكانة تُساهم في إزكاء نفس الشّيء ، كذلك نضيف أنَّ للطّفل في الكثير من بلدان العالم الثّالث قيمة اقتصاديّة ، ويلعب دور القُوَّة العاملة ومصدر الدّخل ، فإنَّنا

---

(1) مقالة المراغي في مجلّة العَرَبي عام 1984 ، شهر آب .

ندرك لماذا تتمسّك المرأة بإنجاب عدد أكبر من الأطفال، يُعوِّضون مَنْ يحصدهم المرض، ويُضافون لمَنْ يجلبون الرِّزق، ويستكملون المكانة الاجتماعيَّة.

مع ذلك؛ فإنَّ المُؤشِّر لنُمُوِّ السُّكَّان يتَّجه - كما أشارت الأرقام - إلى التَّراجع، وهُو مؤشّر يحمل العديد من المعاني والدّلالات.

1 - فهُناك دلالة أُولى للرَّقْم، وهي أنَّ جُهُود تنظيم الأُسرة، والتي أصبحت تأخذ شكل الحملة الدّوليَّة، لم تذهب سدى، فقد ارتفع الوعي بأهمِّيَّة تحديد حجم الأُسرة، وإنجاب عدد مُناسب من الأطفال.

2 - الدّلالة الثّانية: أنَّ ظُرُوفاً موضُوعيَّة قد تغيَّرت، وجعلت قرار تخفيض الإنجاب موضع قبول في كثير من المناطق الحضريَّة والرِّيفيَّة بالعديد من البلدان، ومن هذه الظُّرُوف: انتشار التّعليم، وازدياد الانتقال من الرِّيف إلى الحضر، وتغيُّر طبيعة العمليَّة الاقتصاديَّة، ودور كلٍّ من الرّجل والمرأة والطّفل في الكثير من بقاع العالم. وهذا التّطوُّر الأخير يعني خُرُوج الطّفل من دائرة الإنسان المُنتج إلى الإنسان "تحت الإعداد" بالتّعليم والتّدريب، وبالتّالي؛ فهُو يخرج من دائرة أنَّه مصدر رزق للأُسرة إلى دائرة أنَّه عبء اقتصادي تتحمَّله الأُسرة.

3 - وترتبط الدّلالة الثّالثة بالدّلالة السّابقة، فالعُنصُر الاقتصادي وما يُخلِّفه من ردود فعل اجتماعيَّة حاسم في سنّ الزَّواج؛

حيث يتأخّر الآن سنّ الزّواج في كثير من البلدان بما يُقلّل فُرص الإنجاب[1].

4 ـ ثُمّ تأتي الدّلالة الرّابعة : وهي أنّ مُستويات الصّحّة العامّة تتقدّم ومُتوسّط الأعمار يتزايد، وممّا يجعل عُنصُر الأمن عند الأُسرة أكثر، وقلقها من المُستقبل أقلّ. . و. . بالتّالي؛ إقبالها على الإنجاب ليس بنفس الاندفاع السّابق.

كُلّ هذه الدّلالات يجملها الرّقْم الأساسي الذي يقول : إنّ معدّل نُمُوّ السُّكّان قد تراجع. . ومع ذلك؛ يبقى معدّل إنجاب الفقراء أكثر من ضعفَيْ إنجاب أغنياء العالم المُتقدّم، وتبقى نصيحة الخُبراء: لا إلزام في خطط السُّكّان، وإنّما الوعي وتغيير الظُّرُوف المَوْضُوعيّة هما الكفيلان بإحداث التّحوّل المنشود. . و. . هذا ما يعنونه بحُرّيّة اتّخاذ القرار، فإرادة المرأة والرّجل هي الحاسمة في النّهاية، وهي التي تسبق أيّ قرارات سياسيّة أو مُؤتمرات علميّة أو سياسات تضعها الأُمم المُتّحدة ومُنظّماتها المُعاونة، وإذا نجحت هذه الإرادة في وضع سُدُود أمام سيل الأطفال استطاع العالم أنْ يُواجه جُزءاً كبيراً من مُعضلته الاقتصاديّة[2].

---

(1) مقالة المراغي في مجلّة العَرَبي عام 1984، شهر آب.

(2) مقالة المراغي في مجلة العَرَبي عام 1984، شهر آب.

الفصل الثّاني:

المرأة في أُنُوثتها الأُولى

المُراهقة عند الفتيان، وأثرها في التّحصيل العلمي:

ـ تمهيد:

تُعدُّ فترة المُراهقة من أخطر مراحل عمر الإنسان، ففيها تُبنى شخصيَّته من النَّواحي الجسميَّة والنّفسيَّة والعقليَّة، وينتقل عبرها من الطّفولة إلى مرحلة الرّشد والنّضج والبناء والإنتاج.

والمُراهقة مرحلة مستقلّة لها بنيتها الخاصَّة، وإنْ كانت كأيَّة مرحلة نُمُوّ تتأثّر بما قبلها، وتُؤثّر بما بعدها، فعلى المُربِّية أنْ تفهم حقيقة هذه المرحلة، وحقيقة الشّخصيَّة التي تُوجِّهها مشاكلها وحاجاتها، ثُمَّ تسعى بتوجيهها وتعليمها؛ لترفد شخصيَّة المُراهقة بما يتوافق مع أهداف العمليَّة التّربويَّة، والدّراسة التّالية مُحاولة لفَهْم فتياتنا اللأّتي نُعايشهنَّ في حياتنا اليوميَّة.

ميدان المُراهقة:

الحُدُود الزّمنيّة للمُراهقة:

تبدأ المُراهقة مع البُلُوغ. فالبُلُوغ دليل على بداية النّضج الجنسي في الجسد، أمَّا المُراهقة؛ فهي الفترة التي تمتدُّ ما بين البُلُوغ إلى تحقيق النّضج التّناسلي الكامل.

البُلُوغ جزء من المُراهقة، وليس مرادفاً لها؛ إنَّه الجزء الأوَّل أو الخُطوة الأولى من جملة مراحل النّضج، وليس مُجرَّد نضج الجسم فحسب[1].

قد يقع الحيض عند مُعظم الفتيات قبل أنْ يُصبح المبيضان قادرَيْن على إنتاج بويضات اللّقاح، وقبل أنْ ينضج الرّحم ليطيق الحمل، وقد لا يستقرُّ انتظار الحيض الشّهري طوال السّنَتَيْن الأوَّلَيَيْن مُنذُ ظُهُوره، بل يكون منقطعاً لعدَّة أشهر[2]. وإذا كان البُلُوغ يمثِّل بداية لمرحلة المُراهقة، فإنَّ تحديد نهايتها يبدو أمراً صعباً؛ إذْ تمتدُّ المُراهقة حتَّى اكتمال النّضج.

لكنْ؛ هل يعني تحديد فترة المُراهقة بهذه الفترة الزّمنيَّة أنَّه تحديد دقيق وعمومي شامل؟ حتماً لا: فهذه الحدود الزّمنيَّة تتأثَّر بعوامل عدَّة؛ منها التّغذية والمناخ والمنطقة والحضارة والثّروة والوضع الاقتصادي والثّقافة. وسنقدِّم كُلَّ عاملٍ منها بملحوظة.

1 ـ التّغذية: لها دور كبير في النُّمُوِّ والإسراع بالبُلُوغ الجنسي، بينما سُوء التّغذية الشّديد يُؤثِّر على الحيض، وقد يمنعه[3].

2 ـ المناخ الحارّ: له دوره في إنضاج العلامات الجنسيَّة بالمُقارنة مع المناخ البارد.

البيان: نجد الباحثين الغربيِّين يحدّدون فترة المُراهقة ما بين الثّالثة عشرة إلى التّاسعة عشرة للعشرين عاماً، بينما تبدو الفتاة المُراهقة في عالمنا العَرَبي

---

(1) دسوقي، النُّمُوُّ التّربوي للطّفل والمُراهق.
(2) دسوقي، النُّمُوُّ التّربوي للطّفل والمُراهق، ص101.
(3) زهران، علم نفس النُّمُوِّ، ص 302.

أسرع نضجاً، وأبكر من هذا السّنّ، فيكون مُتوسِّط البُلُوغ من تسع سنوات إلى إحدى عشرة سنة قمريَّة، كما ذكر فقهاء المسلمين[1].

3 ـ تخلُّف الشُّعُوب: أسرع إنضاجاً للعلامات الجنسيَّة من الشُّعُوب المُتقدِّمة؛ بسبب سيطرة المشاغل الجنسيَّة والأنسال على سواها من المشاغل، وهذا ما يعلِّل تبكير بداية المُراهقة في الرِّيف عنها في المدينة[2].

4 ـ يُؤدِّي ازدياد تعقُّد الحياة وفعاليَّاتها إلى إطالة مرحلة المُراهقة، ويظهر هذا بياناً عبر مُقارنة بسيطة بين الفتاة العَرَبِيَّة مُنْذُ خمسين عاماً؛ حيثُ كانت مهيَّأة للزَّواج وهي بنت الخامسة عشرة أو أقلّ بسنة أو سنتَيْن، أمَّا فتاة اليوم؛ فتتأخّر ـ أحياناً ـ في دُخُولها معترك الحياة الزَّوجيَّة وتحمُّل مسؤوليَّات الزَّواج إلى ما بعد العشرين، تحت تأثير إطالة مدَّة مراحل التَّعليم.

الدُّكتُور فاخر عاقل يقول: إنَّ إطالة فترة المُراهقة تستجرُّ مُشكلات للمُراهقة خطيرة، لم تكن معروفة من قبلُ، فَمَنْ نُسمِّيهم مُراهقين ـ اليوم ـ هم الذين يسبِّبون العديد من المُشكلات والجنوح والانحرافات، غير أنَّهم كانوا في الغابر الماضي ينخرطون في المُجتمع بسرعة وسُهُولة، لا تسمحان لهم بالخُرُوج على المُجتمع وتسبيب المُشكلات[3].

نضيف إلى العوامل السَّابقة شروط الثَّروة والوضع الاقتصادي؛ حيثُ نلحظ ـ عبر المشاهدات الحياتيَّة ـ استمرار بنات البيئة الغنيَّة في فترة المُراهقة حتَّى الثَّانية والعشرين والثَّالثة والعشرين من أعمارهنَّ.

---

(1) يُراجَع الجزء الأوَّل، قسم العبادات، مذاهب أربعة، للجزيري، ص124 ـ 125.

(2) الحمصي، علم نفس طفولة ومُراهقة، 60.

(3) فاخر عاقل: علم النَّفس التَّربوي، ص116.

أمّا بنت البيئة الفقيرة؛ فإنَّها تستعجل نضج أبنائها؛ لتخفف من أعبائها المادِّيَّة، ولحاجتها إلى دعم أبنائها وبناتها المادِّي، وهكذا تصل بنات البيئات المتواضعة إلى النّضج العقلي والجسدي في السّابعة عشرة من أعمارهن[1].

الدِّين الإسلامي بمنهجه الرّبّاني يضع كافَّة الحُلُول لمشكلات الفرد وشخصيَّته من النّاحية الإنسانيَّة الأساسيَّة، ويقدِّم له التّصوُّر السّليم حول معنى وُجُوده بين الخليقة وعلاقته بالخالق والكون المخلوق، ويُوجد له القوى؛ ليتَّسع له كُلُّ ألوان النّشاط الإنساني، وإيجاد الشّخصيَّة المتوازنة، وإنضاجها بشكل مُبكِّر.

المُراهقة في نظر المُراهق:

المُراهقة: مرحلة انتقال من طَوْر نَفْسي طُفُولي إلى طَوْر الرُّشْد والتّأسيس النَّفْسي والشّخصي.

إنَّ بعض العاملين في حقل علم النّفس والتّحليل الشّخصي للنّفوس السَّويَّة الكاملة البنيان يُقسِّمون المُراهقة تقسيماً اصطناعيَّاً من واقع الذّات نحو التَّعلُّم والتّعليم.

فالدُّكتُور عاقل يقول: إنَّ مُعظم طالبات وطلاَّب المدرستَيْن الإعداديَّة والثّانويَّة مُراهقات ومُراهقون، ولكنَّ هذا يجب أنْ لا ينسينا أنَّ بعض طلاَّب وطالبات كُلٍّ من المدرسة الابتدائيَّة أو الجامعة قد يكونون مُراهقين أو مُراهقات. وبذا؛ يُؤخذ الاختلاف في الأعمار بعين الاعتبار[2].

---

(1) أنطوان حمصي، علم نفس طفولة ومُراهقة، ص61 ـ 62.

(2) د. فاضل عاقل، علم النّفس التّربوي.

على هذا الأساس؛ يتحدَّد الفصل إلى قسمَيْن؛ هما:

1 ـ المُراهقة في المرحلة الإعداديَّة المُتوسِّطة.

2 ـ المُراهقة في المرحلة الثّانويَّة.

آخذين بعين الاعتبار أنَّه لا يُوجد هُناك حدود فاصلة واضحة بين مراحل نُمُوّ الفرد المُختلفة، فكُلُّ مرحلة تتحرَّك بالتّدريج نحو المرحلة التي تليها، ولذا؛ لا نستطيع القول عن فتاة احتفلت بعيد ميلادها السّادس عشر أو السّابع عشر بأنَّها اليوم في المُراهقة الثّانية، ولكنَّها كانت بالأمس في المُراهقة الأولى، كما أنَّ هذه المراحل قد لا تصدق بالنّسبة لجميع البنات؛ إذْ قد تأتي مبكِّرة، أو مُتأخِّرة، وقد تدوم كثيراً، أو قليلاً.

مُراهقة المرحلة الإعداديَّة المُتوسِّطة:

ـ *البُلُوغ الجنسي نُمُوٌّ فسيُولُوجي:*

يعتبر البُلُوغ الجنسي سمة مميِّزة لهذه المرحلة؛ حيثُ تنشط الغدد النّخاميَّة، وتبدأ بإفراز هرمونات الجنس، وكذلك تفرز الغُدَّة فوق الكلية (الكظر) هرموناتها؛ ممَّا يُنشِّط عمليَّة النُّمُوّ[1].

والواقعة الهامَّة لدى الفتاة ظُهُور الدَّورة الشّهريَّة مع ما يصاحبها من مظاهر جنسيَّة ثانويَّة؛ حيثُ تُؤدِّي زيادة إفراز الغدَّة النّخاميَّة إلى بكور جنسي (نُمُوّ جنسي سريع)، بينما يحدث التّأخُّر الجنسي نتيجة لقصور إفراز

(1) أساسيَّات علم النّفس التّربوي، توق وعدس، ص91.

الغدد، وإنَّ لهذا البكور أو التّأخر آثارهما على الفتاة، فالبنات اللأّتي يبلغن مبكِّراً يملنَ إلى النّقاط التّالية:

1ـ الخجل مع الميل إلى الاستعراض.

2ـ الانعزال عن جماعة رفاق السّنّ، وسوء التّوافق الاجتماعي حتَّى تلحق المُتأخِّرات بهنَّ.

3ـ التّقدُّم من النّاحية الاجتماعيَّة عن البنات الأخريات عندما ينضجنَ جميعاً.

4ـ توافق شخصي وأُسري أفضل من المُتأخِّرات.

5ـ عدم استطاعة الحياة في مُستوى النّضج الذي يتوقّعه منهنَّ الكبار.

6ـ تكوين مفهوم أفضل للذّات[1].

البنات اللأّتي يبلغنَ مُتأخِّراً يملنَ إلى النّقاط التّالية:

1ـ الانعزال عن النّشاط الإجماعي، والشُّعُور بالوحدة، وحسد قريناتهنَّ.

2ـ الخجل والقلق بسبب تأخُّر البُلُوغ.

3ـ سيطرة الوالدَيْن عليهنَّ، ممَّا يؤخِّر انتقالهنَّ من الاتّكاليَّة إلى الاستقلال، وقد يصاحبها هذا ضعف العلاقة مع الوالدَيْن.

4ـ نُمُوُّ مفهوم الذّات بدرجة أقلّ كفاية.

5ـ الحاجة إلى الاعتراف والتّقدير.

6ـ الحاجة إلى خبرات النّجاح في أيّ ناحية يستطعنَ إنجاز النّجاح[2].

---

(1) علم نفس النُّمُوّ، حامد عبد السّلام زهران، ص300.

(2) علم نفس النُّمُوّ، حامد عبد السّلام زهران، ص300.

النُّمُوُّ الجسمي:

تتميّز هذه الفترة بطفرة النُّمُوِّ وازدياد سرعته، فيزداد الطُّول زيادة سريعة بازدياد النُّمُوِّ العظمي، والذي يبلغ أقصى سُرعته بين سنِّ العاشرة والنّصف والرّابعة عشرة[1]، ويصل إلى اكتماله حوالي سنِّ السّابعة عشر (وتتغيّر بنية العظام، فتتحوّل من طريّة غضروفيّة إلى صلبة، ويكون نُمُوُّ العظام أسرع من نُمُوّ العضلات، لذلك؛ نُلاحظ نحافة جسم المُراهق)[2]، (مع تراكم الدّهن في أماكن معيّنة، ممّا يمنحها مظهر الأنوثة، ويزداد نُمُوُّ النّشاط العضلي حتّى سنّ السّادسة عشرة عند البنات، كما تنمو عظام الحوض بشكل واضح تمهيداً لوظيفة الحمل والولادة)[3]، (ولا تقتصر سرعة النُّمُوِّ الجمسي في السّنوات الأولى للمُراهقة على الجهاز العظمي، بل تشمل القلب والرّئتَيْن والمعدة والحنجرة، وغيرها، و.. ينتج عن زيادة سعة المعدة رغبة المُراهقة الملحّة في الطّعام لحاجتها إلى كمّيّة غذاء كبيرة)[4].

ومن أهمِّ المُشكلات التي تُعاني منها المُراهقة:

الإصابة بأمراض النُّمُوِّ مثل:

أ ـ فقر الدّم.　　ب ـ تقوُّس الظّهر.　　ج ـ قصر النّظر.

وسبب فقر الدّم: النُّمُوُّ السّريع المتزايد، والذي يتطلّب تغذية كاملة.

---

(1) علم نفس النُّمُوِّ، حامد عبد السّلام زهران، ص 308.
(2) علم النّفس التّربوي، 63، عبد الرّحيم ـ فلُّوح ـ بلأَّن.
(3) علم نفس النّموّ، 309 ـ 310، حامد عبد السّلام زهران.
(4) علم النّفس التّربوي، 64، عبد الرّحيم ـ فلُّوح ـ بلأَّن.

وسبب تقوُّس الظّهر: فإنَّها تنتج من العادات السّيِّئة في ثني الظّهر والانحناء أثناء الكتابة والقراءة.

وسبب قصر النّظر: ينتج من اتِّباع عادات سيِّئة خاصَّة بالقراءة عن قُرب ونور خافت[1].

ممَّا تقدّم يجب تنبيه المُراهقة إلى أضرار هذه العادات، ومساعدتها على تجنُّبها.

كما (يجب التّنبيه إلى الطّريقة الصّحيحة في المشي والجلوس والوقوف أثناء العمل والرّاحة)[2].

وممَّا يقلق المُراهقة اختلافها عن قريناتها بمظهر من المظاهر الجسديَّة، وهي تعتقد في ذلك أنَّ هذا الاختلاف يكون عائقاً جدِّيّاً في سبيل تقبُّلها الاجتماعي (فتنزعج البنات من كونهنَّ مفرطات في:

1 - الطُّول.

2 - السّمنة.

3 - مقوّسات السّاقَيْن.

4 - ذات الشّعر في الوجه.

5 - مُتأخِّرات في النُّموّ)[3].

---

(1) سيكولوجيَّة النّموّ، 48، عيسوي.

(2) التّربية وطرق التّدريس، 123، عبد العزيز صالح، عبد المجيد عبد العزيز.

(3) علم النّفس التّربوي، 123، د. فاخر عاقل.

قد تتوهّم المُراهقة نفسها غير سويَّة بالنّسبة لصفة جسديَّة معيّنة، مع أنَّها في الواقع تقع ضمن المدى السَّوي.

مثال ذلك:

(إنَّ بعض الفتيات يقلقنَ لأنَّ دورة طمثهنَّ تختلف عن 28 يوماً، في حين دلَّت دراسة قامت بها بعض العالمات على 76 شابَّة تتراوح دورة طمثهنَّ بين 11 ـ 144 يوماً، أنَّ الأكثريَّة تتراوح دورتهنَّ بين 18 ـ 42، وأنَّ خمس نساء فقط من السّتَّة والسّبعين أظهرنَ دورة منتظمة تماماً)[1].

النُّمُوُّ العقلي:

تتميّز مرحلة المُراهقة بأنَّها فترة تميُّز ونضج في القدرات وفي النُّمُوِّ العقلي[2].

يمكن أنْ نلخِّص ما يجري في الميدان العقلي خلال المُراهقة في ثلاث نقاط:

1 ـ ظُهُور قابليَّات خاصَّة.

2 ـ المُراهقة سنّ الجدل.

3 ـ المُراهقة مرحلة اكتساب مدلول القانون[3].

هذه النّقاط سمة خاصَّة للفكر الشّخصي للمُراهقة موضّحة بنداً بنداً.

---

(1) علم النّفس التّربوي، 123، د. فاخر عاقل.

(2) علم نفس النّموّ، 312، حامد عبد السّلام زهران.

(3) مذكّرات منهجيَّة في علم نفس الطّفولة والمُراهقة، 85، أنطون حمصي.

البند الأوَّل: نُمُوّ القابليَّات:

تُعَرَّفُ القابليَّات أنَّها : استعدادات فرديَّة تُميِّز نفسيَّة فرد عن فرد آخر، وتجعله قادراً على إنجاز أفضل .

ويمكن اعتبار القابليَّات نوعَيْن :

1 ـ وظائف كُبْرَى كالكَمّ والانتباه والتّذكّر .

2 ـ استعدادات خاصَّة أعقد : كالقابليَّة الفنِّيَّة والقابليَّة الرِّياضيَّة[1] .

توضيحات النّقطتَيْن:

1 ـ الوظائف الكُبْرَى:

يطّرد نُمُوّ الذّكاء ، وتزداد سرعة التّحصيل وإمكانيَّاته ، وينمو الإدراك من المُستوى الحسّي المُباشر إلى المُستوى المعنوي ، وينمو الانتباه في مدَّته ومداه ومُستواه ، كما ينمو التّذكّر مُعتمداً على الفَهْم واستنتاج العلاقات والمُتعلّقات ، ويصل نُمُوُّ التَّذكُّر إلى ذروته في نهاية هذه المرحلة[2] .

أيضاً ؛ نُمُوّ القُدرة على التّعلّم والقُدرة على اكتساب المهارات والمعلومات ، ويلاحظ أنَّ التّعلّم يُصبح منطقيَّاً لا آليَّاً ، ويبعد عن طريق المُحاولة والخطأ[3] .

---

(1) مذكّرات منهجيَّة في علم نفس الطّفولة والمُراهقة ، 85 ، أنطون حمصي .

(2) علم نفس النّموّ ، 314 ـ 315 ، حامد عبد السّلام زهران .

(3) علم نفس النّموّ ، 315 ، حامد عبد السّلام زهران .

كما ينمو التّفكير المُجرّد لدى المُراهقة، وتزداد قُدرتها على التّفكير والاستنتاج والاستدلال والحُكم على الأشياء وحلّ المُشكلات، وتنمو قُدرتها على التّحليل والتّركيب، وعلى تكوين التّصميمات الدّقيقة.

وفي هذا ما يشير إلى تجاوز مرحلة التّعامل مع الأشياء المحسوسة، والتّفكير بخُطوات المسألة ذهنيّاً، حتّى الوُصُول إلى الحلّ[1].

وتدرك المُراهقة سلسلة أفعال تفكيرها، فهي تعيد رسم خُطواتها، وهي قادرة على وضع فرضيّتها، ومتابعتها بتسلسل منطقي، وفي هذا إدراك لمنطق العلم، وتمثُّل لمكتشفاته وقُدرته على رُؤية أفكار الآخرين، كما تتصاعد القُدرة على التّعامل مع المُجرّدات والرّموز. كُلُّ هذا ما يُمكّنها من صوغ مُعتقداتها وقناعاتها المُكوِّنة لنظرتها في الحياة[2].

2 ـ الاستعدادات الخاصّة:

كنُمُوّ القابليّة الفنّيّة والقابليّة الرّياضيّة: هذه الاستعدادات تهمّ إلى أبعد حدّ؛ لأنّه عليها يتوقّف التّوجيه المهني للمراهقات.

إنّ هُناك اتّفاقاً على أنّ القابليّات تتحدّد بسرعة مُنذُ البُلُوغ، والقابليّة الموسيقيّة هي أشدّ هذه القابليّات تبكيراً، فهي تظهر مبكّرة جداً، ولكنّها ليست موثّقة قبل سنّ العاشرة، ويمكن الكشف بعد ذلك بسنة عن القابليّة الميكانيكيّة، ثُمّ تأتي قابليّة الرّسم. والعُلماء أقلّ وُثُوقاً ممّا يأتي بعد ذلك، وربّما كانت القابليّة الرّياضيّة تظهر حوالي عُمر الرّابعة عشرة، ثُمّ تأتي

---

(1) علم النّفس التّربوي، 69، عبد الرّحيم ـ فلّوح ـ بلأن.
(2) علم النّفس التّربوي، 69 ـ 70، عبد الرّحيم ـ فلّوح ـ بلأن.

القابليَّة الأدبيَّة، وأخيراً؛ العلميَّة التي تظهر قبل عُمر السّادسة عشرة والسّابعة عشرة، ولكنْ؛ هل تبقى القابليَّة المبكِّرة في نفس قُوَّتها لدى الرّاشدة؟ يتردّد العُلماء في الإجابة عن هذا السّؤال بنعم؛ لأنَّ القابليَّة كاستعداد قد لا يكون أكثر من تعبير عن اهتمام مؤقّت يترك مكانه - بعد ذلك - لاهتمام آخر[1].

البند الثّاني: المُراهقة سنّ الجدل:

الجدل يظهر - بصُورة خاصَّة - في مرحلة المُراهقة، وإنْ كان حبُّ الفتيات للجدل أقلّ منه لدى الفتيان، فهنَّ يحببنَ الطّرائق العاطفيَّة، ومرونتهنَّ العقليَّة تميل بهنَّ إلى تمثيل المعارف المدرسيَّة أكثر ممَّا تميل بهنَّ إلى الجدل[2].

البند الثّالث: اكتساب مدلول القانون:

(بينما يكون تفكير الطّفل مقتصراً على الأشياء النَّوعيَّة، نجد الرّاشد قادراً على التّعميم، وبذلك يصل إلى اكتساب مفهوم القانون[3]، من هذا تَفْهَمُ المُراهقةُ (العالمَ الخارجيَّ بناءً عقليَّاً متماسكاً، يعبّر فيه القانون عن العلاقات العامَّة الضّروريَّة بين ظواهره)[4].

---

(1) مُذكّرات منهجيَّة في علم نفس الطُّفُولة والمُراهقة، 86، أنطون حمصي.
(2) مذكّرات منهجيَّة في علم نفس الطّفولة والمُراهقة، 87، أنطون حمصي.
(3) علم النّفس التّربوي، 69، عبد الرّحيم - فلّوح - بلأّن.
(4) علم النّفس التّربوي، 69، عبد الرّحيم - فلّوح - بلأّن.

ومع أنَّ اكتساب مدلول القانون يبدأ مُنذُ بداية البُلُوغ إلاَّ أنَّـه لا يتحقَّق فعلاً إلاَّ في النّصف الأخير من المُراهقة، عندما يملك العقلُ كُلَّ وسائله)[1].

هُنا لابُدَّ لنا من التّساؤل: هل بلغ فكـر المُراهقـة درجـة التّفتُّـح كاملـة؟ والجواب: لا.. (فالإفراط في العاطفـة وحدَّة الخيـال وحـبّ المناقشـة وعـدم كفاية التّجربـة العقليَّة)[2]. كُلُّ ذلـك يحـدُّ مـن سـعة أفق المُراهقـة، ويمنـح عقليَّتها طابعاً ذاتيَّاً فرديَّاً.

ممَّا سبق لاحظنا طفرة نُمُوِّ القابليَّات العقليَّة في مرحلة المُراهقـة، ورأينـا كيف تلعب المدرسة دوراً كبيراً في تطوير هذه القابليَّات.

فماذا عن المراهقات اللاَّتي يتركنَ المدرسـة في ختـام المرحلـة الابتدائيَّـة لعجزهنَّ عن متابعة التّعليم، أو لعـدم تشـجيع الأُسـرة، أو لعُسـر مـادّيٍّ، أو لظُرُوف اجتماعيَّـة أُخـرى تُحتِّـم الخُـرُوج إلـى العمـل، أو بسـبب التّـأخُّر المدرسي والفشل وتكراره؟!.

(تُؤكِّد بحـوث فرنـون عـام 1966 وتجاربـه أنَّ المراهقـين الذيـن يتركـون المدرسـة في نهايـة المرحلـة الابتدائيَّـة في سـنّ 12 وفي مسـتهلِّ مرحلـة المُراهقــة ومازال أمامهـم فُرصة النُّمُوِّ العقلي حتَّى حوالـي سـنّ الثّمـاني عشـرة لا تتـاح أمامهم فُرصة النُّمُوِّ العقلي إلى أقصاه، وتكـون نسـبة ذكائـهـم أقـلّ مـن نسـبة ذكاء مَنْ يُكملون تعليمهم)[3].

---

(1) مذكّرات منهجيَّة، 88، أنطون حمصي.

(2) مذكّرات منهجيَّة، 88، أنطون حمصي.

(3) علم نفس النُّمُوّ، 317، حامد عبد السّلام زهران.

هذه في ذاتها خسارة للأُمَّة بأجمعها ممَّا يُوجب :

أوّلاً : إلزاميَّة التّعليم ومجّانيَّته حتَّى نهاية المرحلة الثّانويَّة .

ثانياً : يجب أنْ لا يقتصر التّعليم في بلادنا على المدرسة وحدها ، بل يتعدَّاه إلى المذياع والرّائي (تلفزيون - سينما) ووسائل الإعلام كافَّة ، على أنْ يُنظَّم ذلك كُلّه تنظيماً مُتناسقاً مُتكاملاً ؛ بحيث يُؤدِّي إلى رفع مُستوى الطّلاَّب خاصَّة ، والجماهير عامَّة ، وبديهي أنْ يُضاف إلى هذا التّعليم الرّسمي النّظامي تعليم مسائي ، وتعليم في نهاية الأسبوع ، وفي الصّيف ، وبالمراسلة ، وغير ذلك من أشكال التّعليم[1] .

مُراهقة المرحلة الثّانويَّة:

إنَّ انتقال المُراهقة من المرحلة الإعداديَّة إلى المرحلة الثّانويَّة تزيد الذّات إحساساً بالنّضج والاستقلال ، وتستمرُّ لديها مظاهر النُّمُوِّ المُتعدِّد :

أ - الجسمي .　　ب - الفسيُولُوجي .　　ج - العقلي .

1 - النُّمُوّ الجسمي:

تتباطئ سرعة نُمُوِّه نسبيّاً عن المرحلة الإعداديَّة ، ولكنْ ؛ يزداد الطُّول ؛ إذْ تصل البنات لأقصى الطُّول في نهاية هذه المرحلة ، كما يزداد الوزن ، وتزداد الحواسُّ دقَّة ونعومة ورهافة ، وتتحسَّن الحالة الصّحِّيَّة للمُراهقة[2] .

---

(1) دراسات في التّربيَّة وعلم النّفس ، 122 ، د. فاخر عاقل .

(2) علم نفس النُّمُوّ ، 335 - 344 ، حامد عبد السّلام زهران .

2 ـ النُّمُوُّ الفسيُولُوجي:

تقلُّ فيه عدد ساعات النَّوم عن ذي قبل، ويثبت على حوالي ثماني ساعات ليلاً، وتزداد الشّهيَّة والإقبال على الأكل[1].

3 ـ النُّمُوُّ العقلي:

في هذا الحقل تهدأ سرعة نُمُوِّ الذّكاء، ويقرب هُنا من الوُصُول إلى اكتماله في الفترة من 15 ـ 18 سنة[2]، ويزداد نُمُوُّ القدرات العقليَّة، وخاصَّة القدرات اللّفظيَّة والميكانيكيَّة[3]، وتتفوّق البنات على البنين في اختبارات القُدرة اللُّغويَّة، بينما يتفوّق البنون على البنات في اختبارات القُدرة العدديَّة والقُدرة الميكانيكيَّة[4].

هذا؛ وتتَّسع المدارك، وتنمو المعارف، وبذا؛ لا تكتفي المُراهقة بمُجرَّد فَهْم الحقائق، بل تصل إلى ما ورائها، وتزداد قدرتها على التّحصيل، وعلى فَقْد ما تقرأ من معلومات، كما تميل المُراهقة إلى التّعبير عن نفسها، وتسجيل ذكرياتها في مذكّرات وخطابات وشعر وقَصَص قصيرة، تكتب كُلَّ ذلك وهي تعتقد ـ ضمنيّاً ـ أنَّ خبراتها ومشاعرها من الأهمِّيَّة؛ بحيثُ يجب المحافظة عليها.

والحقيقة أنَّ مثل هذه الكتابات تُعدُّ علامات للنُّمُوِّ العقلي والانفعالي والاجتماعي أكثر منها مؤشّراً حقيقيّاً على الموهبة.

---

(1) ن.م.

(2) ن.م.

(3) ن.م.

(4) ن.م.

وتظهر سمة الابتكار (في الوُصُول إلى النّتائج عن طريق مُختلف عن الطّريق المألوف المعتاد)[1]، وما يشمل من إبداع وجدّة وتنوُّع وغنى في الأفكار، ونظرة جديدة للأشياء.

هذه السّمة ترافق المراهقات الأكثر ذكاءً واستقلالاً وأصالة في التّفكير.

وممّا تقدّم يظهر أنّ آثار ونتائج النُّمُوّ العقلي "العقل السّليم في الجسم السّليم" التي ظهرت في عالم الواقع:

1 - نُمُوّ الميول بالولع للانفعاليّة الذّاتيّة للحوادث، والمواقف لها، ولنُطق النّفس بما تُزكّي شخصيّتها الاجتماعيّة والسُّلُوكيّة والحياتيّة على وفي جميع المراتب لجميع الاهتمامات من القراءة والكتابة والكُتّاب وكُتُبهم والرّتابة وجمع المعلومات على ما يلفت العقل، ويرفعه، ويزكّيه نبوغاً.

2 - على المُربّين تنمية المُيُول لكُلّ الفتيان؛ وخاصّة البنات.

3 - أنْ لا يكبح المُربّي مُيُول الفتيان والفتيات، حتّى يكونوا نُواة صالحة للمُجتمع والعالم المُفكّر والمُتأجّج في هيولي شخصيّة المرأة الأُمّ للشُّعُوب.

---

(1) علم نفس النُّمُوّ، 341، (تعبير جيلفورد)، حامد عبد السّلام زهران.

الفصل الثّالث:

المرأة في حضارات الشّرق الأوسط

الوضع العامّ:

لقد عرف الشّرق الأوسط النّسوي في تلك الحضارات المُختلفة نوائب مُتعدِّدة تتفاوت وفترة معلوماتنا بصددها، لكنّ ثمة سمات عامّة لا يمكن التّشكيك في صحّتها، فإنْ تكن تلك الشُّعُوب قد عاملت المرأة بهذا القدر، أو ذاك، من الكرم في المجال الاجتماعي، والدِّيني، بل المَدَني، فإنّها - بالمُقابل - قد أجمعت على معاملتها بكثير من القسوة على صعيد العائلة والزَّواج؛ هذه ملاحظة استهلاكيَّة تفرض نفسها مُنذُ البدء.

القيود الصّارمة:

لقد كان الزَّوج ينفرد دوماً بحقّ الطّلاق، إلاّ في حالات استثنائيَّة نادرة.

أمّا المرأة؛ فكانت مُطالبة بوفاء مُطلق لزوج نادراً ما تكون قد اختارته شخصياً.

على الرّغم من بعض القيود والتّحديدات التي كانت تفرضها الشّرائع هُنا وهُناك، فإنَّ الضّعف الجوهري للشّرط النّسوي كان يكمن في هذا الواقع.

فخطر فقدان الحظوة ـ الذي كان دائم التّربُّص بها ـ جعل من رغبتها في نيل الإعجاب بشتّى الوسائل ضرورة حيويّة. تُرى ألم يُولّد الخنوع الذي غالباً ما تعيَّر به "الأنوثة" من ذلك الخوف القديم من هاجس الغد القاسي؟!.

شموليّة وعامّة أيضاً كانت القسوة اللاّمتناهية التي تُعامَل بها النّساء الزّانيات من حَرْقهنّ بالنّار، إلى قتلهنّ غرقاً، أو رجماً.

قسوة كانت تتناقض مع الحُرّيّات الممنوحة للزّوج، وقد لعب الزّمن هُنا ـ أيضاً ـ دوره في صياغة أديان وشرائع خفّفت بعض الشّيء ـ أحياناً ـ من حدّة الإجراءات وصرامتها، لكنّ استمرار هذه القسوة والصّرامة يثير الاستغراب فعلاً، وتشهد على ذلك التّقاليد السّائدة حاليّاً في هذه المناطق.

فَمَنْ يتصفّح جرائد الشّرقَيْن؛ الأدنى والأوسط، فقد يقع من حين إلى آخر على سطور كهذه في زاوية أخبار النّاس اليوميّة:

(انتحار فلانة بإقدامها بلا قصد على إضرام النّار في ثيابها، فماتت متأثّرة بحروقها)، غير أنّ هذا الحادث العادي في ظاهره يخفي ـ في الواقع ـ عمليّة قَتْل مُتعمّد بسبب الزّنى...

كذلك؛ فإنّ الاحترام الذي يُكنُّه الرّجل للمرأة يبدو مُوجّهاً إلى الأُمّ أكثر منه إلى الزّوجة، وعلى وجه التّحديد إلى التي أنجبت الوريث الذّكر. ليس ثمّة شكٌّ في أنّ النّساء اللّواتي أعطينَ أزواجهنّ الصّبيّ المنشود قد مارسنَ عليهم سطوتهنّ، وثأرنَ لأنفسهنّ منهم بقسوة وتعالٍ، فذلك كان ثمن ترقية المرأة.

ثُمَّ تردَّى وضع الزَّوجة ـ على كُلِّ حال ـ من جرَّاء انتشار نظام تعدُّد الزَّوجات، وإنْ كان هذا النّظام قد قُيِّد وخُفِّف في مُعظم الأحيان؛ بمعنى أنَّ زوجة واحدة فقط كانت تتمتَّع بحقِّ حمل لقب الزَّوجة الأساسيَّة، في حين كانت بقيَّة الزَّوجات يُعتبرن ثانويَّات، أو مُجرَّد محظيَّات يصعب التّمييز بينهنَّ على الصّعيد القانوني.

إنَّ تعدُّد الزَّوجات المحدَّد عمليّاً بالثّروة كان ـ في أغلب الأوقات ـ وقفاً على العظماء؛ فقد كان المُلوك يُكوِّنون لأنفسهم حريماً تُسخَّر فيه قطعان النّساء لنزوات السَّيِّد.

العُبُوديَّة:

مارست سائر الحضارات القديمة العُبُوديَّة، ولا شكَّ في أنَّ الوضع الاجتماعي الأكثر شقاء وقسوة كان وضع المرأة الجارية.

فقد كانت تُشكِّل جُزءاً من تلك الماشية البشريَّة، التي لم تكن تملك شيئاً على الإطلاق، ولا حتَّى جسدها، والتي كانت تُثمَّن وفق مقاييس جسديَّة، وتُباع، أو تُنقَل ملكيَّتها شأنَّ الأشياء تماماً، ولا حول لها ولا قُوَّة أمام سيِّدها.

حُرِّيَّات حقيقيَّة:

بمُقارنة المرأة مع وضعها في الحياة العائليَّة والزَّوجيَّة؛ فإنَّ الشّروط التي حظيت بها المرأة في مجالات أُخرى تبدو أكثر إنصافاً، بل ممتازة أحياناً.

هذا واقع قد يستغربه منطقنا العَرَبي:

فالمُشرِّع لم يُقنِّن على نحو منهجي دُونيَّة المـرأة الأساسيَّة والجوهريَّة، ولـم يُعمِّـم هـذه الدُّونيَّة، وقـد جـهل مـا كـان القـانون الرُّومـاني يُسـمِّيه بـ "ضعف الجنس".

لـهذا؛ أقرَّ للمـرأة بأهليَّـة أساسيَّة: ففـي وسـعها بـلا أيّ وصايـة أنْ تشتري، وتبيع، وتقترض، وتهب، وتشهد، إلخ.. خلاصة القول:

لقد تمتَّعت المرأة - آنذاك - في الشّرق بجملـة مـن الحُقُـوق التـي لـم يُقـرّ لـها الغرب بها إلاَّ مؤخَّراً[1].

هل كان التَّصلُّب الذُّكُوري - إذنْ - في ميـدان العلاقـات الزَّوجيَّـة تقابلـه ليبراليَّة خارج نطاق هذه العلاقات؟!

(على الأرجح).

وثمَّة وضع مُماثل نلمسه اليوم في البلدان الإسلاميَّة، وغيرها.

فإنَّه أسهل على الرّجال أنْ يمنحوا النّساء حقَّ الانتخاب مـن أنْ يتخلَّـوا لهنَّ عن شبر واحد من امتيازاتهم الزَّوجيَّة.

وتجدر الإشارة هُنا إلى أنَّ حضارات الشّرق الأوسط القديمة قد تمـيَّزت بتداخل المفاهيم القانونيَّة والدِّينيَّة إلى حدِّ انعدام التّمييز بينها تقريباً.

والحال أنَّ المفاهيم الدِّينيَّة لم تكن تُقيم أيَّ تفـاوت بـين الرّجل والمرأة، بل كانت تساوي بينهما.

---

(1) وضع المرأة في القانون المسماري، كارداسيا.

فالرُّوحانيَّة النِّيوليتيَّة كانت ماتزال مُهيمنة على هذا الصّعيد، ومجامع الآلهة كانت تزخر بوُجُوه نسويَّة بارزة بالورثيَّات الإنسانيَّات للأرض: الأُمّ البدائيَّة واللاَّمُتحدّدة الشّكل، وقد كان باب الكَهَنُوت مفتوحاً أمام النّساء اللّواتي مارسنَ مهامَّ دينيَّة عُليا.

لقد كانت الأنظمة المَلَكيَّة في تلك الحضارات تقوم على أساس "الحقّ الإلهي"؛ بمعنى من المعاني: أيْ على أساس ديني.

لذا؛ لم تُحرَم النّساء من حقِّ مُمارسة السّلطة السِّياسيَّة أيضاً. وهكذا برزت في تلك الحقبة ملكات حاكمات، ووصيَّات على العرش؛ منهن الملكة الشّهيرة سيمرأميس، وملكات حثِّيَّات مُشاركات في السّلطة. هذا؛ بالإضافة إلى الحُقُوق الواسعة للغاية التي تمتَّعت بها الأميرات العيلاميَّات والسُّومريَّات والأكاديَّات...

إذنْ؛ كان حسب المرأة أنْ تخرج من دائرة علاقات الأُسرة حتَّى تستعيد مكانتها وشخصيَّتها[1].

المرأة في بابل:

إنَّ النُّصُوص المسماريَّة تعطينا شهادات عديدة عن التّناقض الظّاهري، لكنَّ الإحاطة بالشّرط النّسوي تُصبح أسهل بكثير في بابل في عصر توحيد الإمبراطُوريَّة (بداية الألف الثّاني ق.م.)، فإلى ذلك العصر يعود مصدر معلومات قانون حمورابي، وهُو أضخم مجموعة نُصُوص قانونيَّة وصلت

(1) المرأة عبر التّاريخ، ص26 ـ 27، مونيك بيتر.

قبل النُّصُوص الرُّومانيَّة، وقد نُقش على الحجر، والنّسخة الأصليَّة في متحف اللُّوفر.

تحسين أوضاع الزَّوجة:

فُرِضَتْ قُيُود على تصرُّفات الزَّوج التّعسُّفيَّة:

1 - *إنْ كانت المرأة عاقراً*:

ليس الزَّوج مُلزماً بهَجْرها، وله الحقُّ بالزَّواج من ثانية، وإبقاء الأولى.

2 - *إذا وقعت المرأة فريسة مرض خطير*:

لا يحقُّ للزَّوج طلاقها، وله الحقُّ بالزَّواج، ومُلزَم بتوفير العناية للمريضة حتَّى الوفاة. وقد ضمن للمرأة المُطلَّقة بردِّ مهرها وكافَّة ما لها من أثاث ومتاع، ولها حقّ الحضانة والسّلطة، مع منح جُزء من أملاك زوجها للتّربية والتّنشئة.

أمَّا المرأة الزّانية؛ تستحقُّ الموت، إلاَّ إذا صفح الزَّوج عنها، وإذا ضُبطَتْ بالجرم المشهود يُشَدُّ الوثاق على الاثنيْن، ويُلقيان في الماء، لكن إذا أراد سيِّد المرأة (الزَّوجة) إنقاذ حياتها، فالملك يعفو عن الشّريك أيضاً.

ولها الحقُّ بطلب الانفصال من القاضي إذا تعرَّضت للإهانات الخطيرة.

ومن المميَّز بالنُّصُوص التّشريعيَّة البابليَّة أنْ حظيَتْ المرأة البابليَّة ببعض الوظائف والمهن المفتَّحة أبوابها، حتَّى شغلت منصب قاضية وكَهَنُوتيَّة.. إلخ. ومن ذلك يتميَّز التّشريع البابلي عن المصري بتلك الحقبة، وبنفحة من اللِّيبراليَّة الذي أتاح للمرأة: أ - الأرملة، ب - المُطلَّقة: أنْ تتمتَّع

باستقلالها الاقتصادي، كما يسَّرَ مُشاركة الزَّوجَيْن، وتساويهما في إدارة الثّروة الزَّوجيَّة.

ومن خلال تشريع الإمبراطُوريَّة البابليَّة الموحَّدة نلمس مُساومة بين التّقاليد السُّومريَّة الأكثر ليبراليَّة إزاء المرأة، والتّقاليد السّاميَّة الأكثر ارتياباً وحذراً تجاهها.

وإلى التّقاليد السّاميَّة تُنسَب ـ على الأرجح ـ سمتان حظيتا ـ فيما بعد ـ بتكريس مُذهل، النّزعة إلى:

1 ـ حَجْر المرأة في مكان معزول من البيت.

2 ـ لبْس الحجاب[1].

العبرانيُّون:

ـ لمحة:

في بداية الألف الثّاني ق.م. برزت في بلاد ما بين النّهرَيْن، مكان التقاء الأعراق والشُّعُوب المُختلفة، جماعة من القبائل الرُّحَّل: هي فرع سام صغير، واستقرَّت ـ بعد بضعة قُرُون ـ في فلسطين، هكذا وُلد الشّعب العبري، وقد احتفظ بذكريات عديدة عن بلده الأصلي، فظهرت في تشريعاته وفي أدبه على حدٍّ سواء، لكنَّه تميَّز جذريّاً عنه من حيثُ الرّؤية الدِّينيَّة التي تبنَّاها، فالرّسالة الرُّوحيَّة التي خلَّفها جعلتْهُ يرتقي إلى مُستوى كبار مُلهمي الحضارة، لذلك أثارت نظرته إلى المرأة أصداء بعيدة.

---

(1) مُؤسَّسات العصر القديم، ص42، جورج غودميه.

ثمّة حقيقة لابُدّ من الاعتراف بها، وهي أنّ الشُّعُوب السّاميَّة لا تُمثّل بين الشُّعُوب التي خصّت المرأة بمكانة مرموقة في مُجتمعاتها، ولم يشذّ النَّوع العبري عن هذه القاعد، على الرّغم ممّا اتّسم به من تميُّز.

على أنّ الشّرط النّسوي تباين لدى العبريّيْن من عصر إلى آخر، فعندهم - أيضاً - نلمس ذلك الإيقاع الذي طالما تكرّرَ في تاريخ شُعُوب أُخرى:

ففي البداية تتمتّع المرأة بوضع مرموق، ثُمَّ تأتي مرحلة الانزواء والإمحاء، بعد ذلك؛ يتحسّن وضعها بالتّدريج، ويترقّى، ولكنْ؛ من دُون أنْ يبلغ عتبة التّحرُّر.

المرأة العبريَّة:

ساهمت المرأة العبريَّة في عُبُور الصّحراء، وشاطرت القبيلة الأخطار، وأمّنت الحراسة، وشاركت في اتّخاذ القرارات الهامّة في المهامّ الكُبْرَى، وأُلحق بها زوجها؛ لينضمَّ إلى عشيرتها، ويترك عشيرته، ولها النّسب الرّحمي، وهي تختار أسماء أبنائها[1].

وضع المرأة الدِّيني:

لقد كان وضع المرأة الدِّيني من جرّاء العُبُور - أيْ الصّحراء - أنْ حُرِّمَ عليها دُخُول الكَهَنُوت والمُشاركة الفعّالة في الجمعيّات الدِّينيَّة، وكانت ثمّة حدود مفروضة عليها داخل حرم هيكل أورشليم (حوش النّساء).

---

(1) سفر التكوين، الإصحاح 31، الآية 4-17، بتدبُّر.

وبالمُقابل؛ سُمح لها بأنْ تُساهم مُساهمة واسعة في الاحتفالات الخارجيَّة:

المواكب الدِّينيَّة، الرّقصات المُقدَّسة، أناشيد الانتصار، الانتحاب المأتمي، إلخ.

ومن الأسباب المعلنة لهذا الوضع الدِّيني الثّانوي: الخوف من الدّنس النّسوي، فمحظور الدّم يطال المرأة بقسوة، ودنسها المزمن يُحرِّم عليها الاتِّصال بالأشياء المُقدَّسة، وتكشف نواهي سفْر اللاَّويِّين عن مقت واحتقار للفيزيُولُوجيا الجنسيَّة.

عامل آخر لعب دوره في الحدِّ من دور المرأة الدِّيني: إنَّه التَّخوُّف من أنَّ المرأة الكنعانيَّة (الزَّواج الكَهَنُوتي، البغاء المُقدَّس، الكاهنات السّاحرات..)، إلخ.

الواقع أنَّ أيديُولُوجيا الأرض - الأُمّ برُمَّتها هي التي باتت موضُوع رَفْض.

فإله بني إسرائيل ليس إله الطّبيعيَّة: وإنَّما هُو إله التّأريخ، ومعه تسير البشريَّة نحو مصير الخلاص.

وما اجتياز الصّحراء لبُلُوغ أرض الميعاد إلاَّ صُورة ذلك.

وأعياد بني إسرائيل الكُبْرَى تتخلّى عن معناها الطّبيعي لتُشير إلى ذكرى تاريخيَّة (والفُصح خير نموذج لتلك الأعياد).

والواقع أنَّ المرأة في ذهن الأقدمين كانت وثيقة الارتباط بقوى الطّبيعة الغامضة والكدرة، ولهذا؛ نُبِذَتْ، ولُفظَتْ. حسبنا أنْ نذكر بهذا الصّدد

ما جاء على لسان النّبي كحُجّة قاطعة لإثبات بطلان الأصنام الوثنيّة: (كيف نُسمِّيها آلهة؟ فالنّساء هنّ اللّواتي يُقدِّمنَ إليها القرابين)[1].

لكنّ يَهْوَه لم يكن ـ على الأرجح ـ يشارك عباده هذا الرّأي.. أفلم تُلهم رُوحه عدداً من نساء "الشّعب المُختار" مانحةً إيّاهنّ هبة النُّبوءة والحكمة أُسوة بالرّجال؟!.. ونخصُّ منهن بالذّكْر مريم، وصفورة، وخلدة التي كان يستشيرها كَهَنَة أورشليم في عهد الملك يوشيا، وهي المرأة الوحيدة التي كانت تستحقُّ فعلاً اسم "البنيّة".. وجنّة التي يتحدّث عنها لُوقا[2] أفلم تنفح روح الإله شجاعة الذُّكُور في يهُوديت، النّموذج الأمثل لبنات إسرائيل؟!.

هذا؛ ونحنُ نتناول المرأة في الفكر الدِّيني اليهُودي، لابُدَّ لنا من أنْ ننطلق من التَّوراة؛ لأنَّها ـ كما يدَّعون ـ مصدر أحكامهم، وهي كتاب الله الذي أنزله على نبيِّه مُوسى، إنَّها بصورتها وصيغتها الحاليَّة، وكما هُو بين أيدينا ـ وحي السّماء لليهُود ـ وقبل أنْ نُتابع جولتنا في هذه المقالة لابُدَّ أنْ نستبق العرض التّاريخي ونُشير إلى أنَّها وكما أكَّدت الدّراسات التّاريخيَّة ليست إلاَّ كتاباً تاريخيّاً وضعه الحاخامات اليهُود بعد أنْ أخفوا التَّوراة الحقيقيَّة، ولهذا؛ فهي مليئة بتناقضاتهم، ومشحونة برُوحهم العُدوانيَّة، وسجلّ حافل لمخازيهم، وما سنعرضه من وصف للمرأة يكفي لأنْ يُؤكِّد هذه الحقيقة.

نعم؛ ما يحمله هذا الكتاب ـ كما هُو الآن ـ يتنافى مع كُلّ ما جاءت به الدّيانات السّماويَّة، باختصار؛ إنَّه تاريخ الفضائح اليهُوديَّة النّسائيَّة

---

(1) رسالة أرميا إلى اليهُود المنفيِّين إلى بابل.

(2) الإصحاح 2، الآيات 36 ـ 38.

والأخلاقيَّة. . ولنبدأ رحلتنا مع تاريخ المرأة الصّهيونيَّة بعرض بعض قَصَص التَّوراة التي تناولت المرأة اليهُوديَّة.

إبراهيم وسارة:

حدث جُوع في الأرض، فانحدر إبرام إلى مصر؛ ليتغرَّب هُناك؛ لأنَّ الجوع في الأرض كان شديداً، وحدث لَمّا أنْ قارب أنْ يدخل مصر أنَّه قال لـ ساراي:

إنِّي قد علمتُ أنَّك امرأة حسنة المنظر، فيكون إذا رآك المصريُّون أنَّهم يقولون: هذه امرأته، فيقتلوني، ويستبقونك، قولي: إنَّك أختي ليكون لي خيرٌ بسببك، لتحيا نفسي من أجلك. ورآها رؤساء فرعون، فأخذوها إليه، وصار لدى إبرام غنم وبقر وحمير وعبدان[1].

هكذا يمتلك إبرام الغنم والبقر والحمير والعبدان، وتحيا نفسه، بعد أنْ ضحَّى بزوجته، وأباحها من أجل معبوده المال والرّغد للحياة.

الأمر الأكثر غرابة أنَّ الإله يغضب على فرعون، ويضربه دُون أنْ يحاسب إبرام، فدعا فرعون إبرام، وقال: ما هذا الذي صنعتَ بي؟! لماذا لم تخبرني أنَّها امرأتك؟! لماذا قلتَ هي أختك، حتَّى أخذتها لي لتكون زوجتي؟! والآن؛ هُو ذا امرأتكَ، خذها، واذهبْ، فأوصى عليه فرعون رجالاً، فشيَّعوه وامرأته وكُلَّ ما كان له[2].

---

(1) سفر التّكوين (الكتاب المُقدَّس، العهد القديم).

(2) سفر التّكوين، الكتاب المُقدَّس، العهد القديم).

تُرى أيُّ عقل بشري يقبل أنْ يُبارك الإله فعْلَة إبرام، ويغضب على فرعون؟!.. وهُناك تساؤل آخر لابُدَّ من طرحه ألا وهُو: كيف يخاف إبرام من فرعون وفرعون يقف هذا الموقف الإنساني بإعادة الزَّوجة إلى زوجها؟!..

كيف يُحاسب الإلهُ فرعونَ على عمل لم يكن يدري خفاياه؟!

كيف تَقدَّس إبرام وعُذِّب فرعون؟ أيُّ إله هذا الذي يقلب الموازين؟!..

هُنا إبرام لم يكن إلاَّ قوَّاداً يصطحب امرأة معه؛ ليصل إلى مآربه، والأحداث المتلاحقة تشير إلى ذلك، وسفْر التّكوين يقدِّم الدّليل؛ إذْ قال: وانتقل إبرام من هُناك إلى أرض الجنوب، وسكن بين قادش وشور، وتغرَّب في جرار، وقال إبرام عن سارة إنَّها أخته، فأرسل أبيمالك ملك جرار، وأخذ سارة، وجاء الله إلى أبيمالك في حلم اللّيل، وقال له: ها أنت ميِّت من أجل المرأة التي أخذتها، فإنَّها مُتزوِّجة ببعل، ولم يكن أبيمالك قد اقترب منها، فقال: يا سيِّد، أأُمة بارَّة تقتل؟!.. ألم يقل هُو لي إنَّها أختي، وهي أيضاً نفسها قالت: هُو أخي؟! بسلامة قلبي ونقاوة يدي فعلت هذا.

فَبَكَّرَ أبيمالك في الغد، ودعا جميع عبيده، وتكلَّم بكُلِّ هذا الكلام في مسامعهم، فخاف الرّجال جداً، ثُمَّ دعا أبيمالك إبرام، وقال له: ماذا فعلتَ بنا؟!.. وبماذا أخطأتُ إليكَ حتَّى جلبتَ عليَّ وعلى مملكتي خطيئة عظيمة؟! أعمالاً لا تُعمَل عملتَ بي، وقال أبيمالك لإبرام: ما رأيت حتَّى عملت هذا الشّيء؟!

الجواب: قال إبرام: إنِّي قُلتُ ليس في هذا الموضع خوف من الإله البتَّة، فيقتلوني لأجل امرأتي، وبالحقيقة - أيضاً - هي أختي ابنة أبي، غير أنَّها ليست ابنة أُمِّي، فصارت زوجة لي، وحدث لمَّا أتاهني الله من بيت أبي أنِّي قُلتُ لها: هذا معروفك الذي تصنعينَ إليَّ، في كُلِّ مكان نأتي إليه، قولي عنِّي هُو أخي.

فأخذ أبيمالك غنماً وبقراً وعبيداً وإماء، وأعطاها لإبراهيم، وردَّ عليه سارة امرأته، وقال أبيمالك: هُو ذا أرضي قدامكَ، اسكنْ فيما حَسُنَ في عينَيْكَ.

وقال لسارة: إنِّي قد أعطيتُ أخاك ألفاً من الفضَّة، ها هُو لك غطاء عين من جهة كُلِّ ما عندك وعند كُلِّ واحد، فأنصفت. فصلَّى إبرام إلى الله، فشفى الله أبيمالك وامرأته وجواريه، فولدنَ؛ لأنَّ الرَّبَّ كان قد أغلق كُلَّ رحم بيت أبيمالك بسبب ساراي امرأة إبرام[1].

نلاحظ أنَّ العمليَّة الاحتياليَّة تستمرُّ ثانية، ويكون هدفها أبيمالك، والرَّبُّ يتدخَّل ليُنقذ شرف سارة زوجة إبراهيم، هذا النَّبي الذي يُقدِّم زوجه بأبخس الأثمان، ومع ذلك؛ فإنَّ الرَّبَّ راض عن إبرام، ومستمرٌّ في إكرامه، ودائم العقاب لمَنْ يُريدون الزَّواج من سارة، بعد أنْ تُقدِّم لهم على أنَّها فتاة ليست مُتزوِّجة، وأنَّها أخت إبراهيم.

---

(1) سفر التكوين، الكتاب المُقدَّس، العهد القديم.

لماذا كرَّر إبراهيم فعلته ثانية؟! وأين ذهب بعطاء فرعون؟! بل، وكيف يتزوَّج أخته؟ ويدخل أرض غير أرضه، وغير مأمونة، وملكها لا يخشى الله؟ لماذا؟

ولماذا خاف الملك أبيمالك، وأعاد الزَّوجة لزوجها مع الإكرام؟! وكيف حدث أنَّ نساء ملك جرار، أبيمالك، لم يحملنَ بسبب سارة، والحادثة لا تأخذ أكثر من نصف عام على وقوعها؟!

من الصُّورة المقلوبة للإله نتصوَّر حقيقة لا مفرَّ منها، أنَّ الإله الذي تُصوِّره لنا التَّوراة هُو إله يقف لجانب الرّذيلة الشّرِّيرة، والحاقد الذي يعاقب الذين لم يقترفوا إثماً مع سارة. فرعون وأبيمالك لم يؤذياها مع زوجها، بل إنَّ الملكَيْن كلَيْهما فاضا، وأغدقا عليهما العطايا. الحقيقة أنَّ الملكَيْن لم تسمح لها أخلاقهما الأبيَّة أنْ يتابعا مع (سارة)[1].

ونستنتج أنَّ الإله إذا أراد الحفظ والعطاء أنْ يقول للشّيء كُنْ، فيكون، فالأنبياء محفوفون برعاية الرَّبِّ، وحفظه، والرَّبُّ هُو الهادي الْملهم للإباء والعطاء، فالواقع لما تقدَّم من القصَّتَيْن:

حكمة ربّ للإيمان.. وإظهار الطُّهر بالحفظ، والإكرام بالإلهام، خلافاً لما يتيقَّن من كلام في التَّوراة الُمحرَّفة أنَّ الإله هُو إله رذيلة وشرِّير وحاقد يُعاقب مَنْ لم يقترف الذّنب.

بلا شكٍّ أنَّ اليهُود يُسوِّغون جرائمهم وفضائحهم، فكان أنْ نسبوها للأنبياء جميعهم، بإلصاق وتشويه أفعالهم باتِّهام النّبي داود بقَتْل جاره زوج

---

(1) تعقيب ديب على حسن.

الجميلة بششبع ، وأمنون بن داود المحتال يزني مع أخته ، ورأوين يضاجع سريَّة أبيه ، ويهوذا يزني بكنَّته ثامار ، وهكذا أمثال كثيرة في التَّوراة ، الكتاب المُقدَّس ، سفْر التّكوين ، أعمال . فما تقدَّم ما هُو إلاَّ لامتهان أعراضهم في متعتهم الجنسيَّة الإباحيَّة ، حتَّى يقولوا هكذا أنبياؤنا ، فما لنا نحن؟ ! .

إنَّ مثل هذه الوقائع إنْ دلَّت على شيء فإنَّما تدلُّ على أنَّ الرّذيلة كانت ـ ومازالت ـ متفشِّية ومنتشرة بشكل كبير بين اليهُود ، وامتدَّت إلى أقدس العلاقات الاجتماعيَّة ، فأصبحت المرأة لا تأمن أنْ تُباع لقاء دراهم قليلة ، والأخت أصبحت تخاف أنْ تظلَّ وحيدة مع أخيها ، والأُمُّ تخشى ابنها . إنَّه تاريخ حافل بالعُهر والخيانة ، صفحات تُسجِّل غدر خيانة وفُحش اليهُودي القذر أبد الدّهر دائرة ، دائرة سُوء وفساد .

الإكراه العائلي:

لم تكن السّيطرة المُذكَّرة أقلَّ وطأة على الصّعيد العائلي ، فصلاحيَّات ربِّ الأُسرة كانت واسعة ، كان يستطيع أنْ يتصرَّف بابنته إنْ شاء :

1 ـ بيعها : كخادمة ، أو زوجة ، أو خليلة ، أو كأَمَة في حالات الفقر الشّديد ، وله الحقُّ بإعادتها في حال تحسَّنت أوضاعه الماليَّة .

2 ـ امتهانها البغاء .

3 ـ إيهاب بكارتها[1] : قدَّم لوط بناته العذارى إلى السّدوميِّين ، غير أنَّهم رفضوا عرضه .

---

(1) سفْر التّكوين ، الإصحاح 19 ، الآية : 18.

4 ـ تخطيبها في سنٍّ مبكِّرة .

5 ـ تزويجها .

6 ـ له الحقُّ بفَصْلها عن زوجها .

حُقُوق الزَّوج: لم تكن أقلّ جوراً ، كان طلاقها بمُجرَّد تسليم الزَّوج قرار صرفها ، وليس لها الحقُّ بطلب الطّلاق مهما جار عليها . وله الحقُّ بالطّلاق لأدنى أمر ، حتّى إذا أحرقت طبق الطّعام ، أو طهو الطّعام السّيِّء .

الزّنى : تُعاقب الزَّوجة بالموت رجماً بالحجارة ، أو يستنزل الكاهن عليها اللّعنة ، ويُرغمها على شرب مياه ملوَّثة بالتّراب[1] .

الخليلة : وضعها غير مستقرّ ، وأحياناًيكون مأسوياً (مثال : قصّة هاجر) .

زنى الرّجل : القانون لا يعاقبه إلاَّ في معاشرة امرأة مُتزوِّجة ، أو عذراء مخطوبة .

فالمرأة لا تحظى بالاحترام والتّقدير إلاَّ إذا كانت أُمّاً لصبي ، وتُعدُّ عاقراً إنْ لم تُنجب صبيّاً ، ويُعدُّ هذا عاراً ، ولغسل هذا العار يحقُّ لها أنْ تُصبح أُمّاً بالنِّيابة باختيار خليلة لزوجها ، لعلّها تُنجب وريثاً . وعليه ؛ قد سهل انتشار تعدُّد الزَّوجات لحلّ هذه المعضلة . ومن التّنقيب أنَّ أقدم نُصُوص سفر التّكوين لا تشير إلاَّ إلى الزَّواج الأُحادي .

---

(1) سفر العدد : 50، 22 .

وأوَّل حالة لتعدُّد زوجات جاء ذكْرها هي حالة لامك (لمـك)[1] زوجة رئيسيَّة يتمتَّع أبناؤها بأولويَّة الحُقُوق. وتعدُّد الزَّوجات بدأ في أولاد يعقوب الاثنَيْ عشر، الذين هم من أُمَّهات مُختلفات، وكانوا متساوين في الحُقُوق. هذا؛ وكان لجدعون سبعون ولداً، ولرحبعام ثماني عشرة زوجة وستُّون خليلة، ولداود النّبي تسع زوجات، عدا الخليلات، أمَّا ابنه سليمان؛ كان له سبعماية زوجة، وثلاثماية خليلة.

(إذْ أحبَّ الملك سليمان نساءً غريبة كثيرة مع بنت فرعون، موآبيَّات وعمونيَّات وأدُوميَّات وصيدونيَّات وحثِّيَّات من الأُمم الذين قال عنهم الرَّبُّ لبني إسرائيل: لا تدخلون إليهم، وهم لا يدخلون إليكم؛ لأنَّهم يُميلون قلوبكم وراء آلتهم، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبَّة، فأمالت نساؤه قلبه زمان شيخوخته وراء آلهة أُخرى، ولم يكن كاملاً مع الرَّبِّ إلهه، فذهب وراء آلهة الصّيدونيِّين عشروت، وعمل الشرَّ في عينَيْ الرَّبِّ، ولم يتبع الرَّبَّ كأبيه داود الملك)[2].

(فغضب الرَّبُّ على سليمان؛ لأنَّ قلبه مال عن الرَّبِّ إله إسرائيل، الذي تراءى له مرَّتَيْن، وأوصاه ألاَّ يتبع آلهة أُخرى، فلم يحفظ الوصيَّة. فقال الرَّبُّ له: لم تحفظْ عهدي وفرائضي التي أوصيتُكَ بها، فإنِّي أمزِّق المملكة عنك تمزيقاً، وأعطيها لعبدك، إنِّي لا أفعل ذلك في أيَّامك من أجل أبيك داود الملك، بل من يد ابنك أمزِّقها، على أنِّي لا أمزِّق منك المملكة

---

(1) سفر التّكوين، الإصحاح 4، آية 9-24.
(2) سفر الملُوك الأوَّل، الإصحاح الحادي عشر.

كُلَّها ، بل أعطي سبطاً واحداً لابنكَ ، لأجل داود عبدي ، ولأجل أورشليم التي اخترتُهَا)[1] .

ممَّا تقدَّم يتبيَّن أنَّ التَّوراة مُحرَّفة .

التَّوراة بيان عصيان وفُسُوق وزنى:

كلمة زنا مثلاً تتردَّد بشكل كبير ، وكُلُّ سفْر لا يخلو من رواية مدينة دُمِّرت على ما جاء (اتَّكلت على جمالك ، وزنيت ، وسكبت زناك على كُلِّ عابرٍ ، فكان . . إلخ . وفي كُلِّ رجاستك وزناك لم تذكري صباك ؛ إذْ كُنت عريانة ، وكنت مدوسة بدمك ، إنَّك بنيت لنفسك قبَّة ، وصنعت لنفسك مُرتفعة ، في كُلِّ رأس طريق بنيت مُرتفعك ، ورجّست جمالك ، وفرَّجت رجلَيْك لكُلِّ عابر ، وزنيت مع جيرانك ، إلى ما هُنالك من عادة النّساء في الأخذ والعطاء أجراً)[2] .

بل الحدُّ يزداد قسوة وتجريحاً (إذْ تزني مع بني أشور ، كذا في أرض كنعان إلى أرض الكلدانيِّين ، وبهذا ؛ لم تشبعي أنت ، الزَّوجة الفاسقة تأخذ أجنبيِّين مكان زوجها)[3] .

جنح ربُّ اليهُود من الزّنا ، فخاطب هوشع ـ أو ما كلّم الرَّبّ هوشع ـ : (اذهبْ خُذْ لنفسك امرأة زنى ، وأولاد زنى ؛ لأنَّ الأرض قد زنت زنى تاركة الرَّبّ)[4] .

---

(1) سفر المُلوك .
(2) سفر حزقيال .
(3) سفر هوشع .
(4) سفر هوشع .

طفح الكيل من اليهوديَّات الزّانيات، فكان التّقريع من هوشع (اسمعوا كلمة الرَّبّ يا بني إسرائيل، فإنَّ للرَّبّ خصومة مع سُكَّان الأرض؛ إذْ ليس في الأرض حقّ ولا رحمة ولا معرفة الله! بل اللّعنة والكذب والقتل والرّقَّة والفسق! قد فاضت الدّماء تلحقها الدّماء)[1].

توجَّه النّبي إرميا للأُمَّة اليهوديَّة قائلاً: (إنَّك مُنذُ القدم شققت عصا طاعتك، وقطعت ارتباطك بي، وقُلت: لا أتعبّد، وها أنت على أكمة عالية، وتحت كُلّ شجرة خضراء قد اضطجعت للزّنا، ولقد غرستك أفضل كرمة، وجعلتك زرعاً للحقّ كُلّه، فكيف تحوَّلت إلى غرسة كرم أجنبيَّة؟ إنَّك لو اغتسلت بالنّطرون، واستكثرت من الصّابون، لبقيت ملطَّخة أمامي بإثمك)[2].

نجاسة المرأة الحائض في التَّوراة:

إذا كانت امرأة لها سيل، وكان سيلها دماً في لحمها، فسبعة أيَّام تكون في طمثها، وكُلّ مَنْ مسَّها يكون نجساً، وكُلّ ما تجلس عليه نجساً، وكُلّ مَنْ مسَّ شيئاً من متاعها وفراشها يكون نجساً إلى المساء، وعليه غسل ثيابه واستحمام.

إذا اضطجع معها رجل، فكان طمثها عليه تنجّس سبعة أيَّام، وإذا طهرت من سيلها تحسب سبعة أيَّام، ثُمَّ تطهر.

---

(1) سفر هوشع.

(2) سفر إرميا.

في اليوم الثّامن؛ تأتي بيمامَتَيْن للكاهن (حمامَتَيْن)، فيعمل الكاهن إحداهما ذبحاً، والأُخرى حرقاً، عندها؛ يكفِّر عنها الكاهن أمام الرَّبِّ من نجاستها[1].

المرأة في التّشريع اليهُودي:

(1 ـ يحظر على المرأة الاقتراب من الطّقوس الدِّينيَّة اليهُوديَّة؛ لأنَّها قذرة نجسة.

2 ـ من المحرَّمات عليها وظائف الكَهَانَة والقضاء والإفتاء.

3 ـ أنْ تدخل الفتاة إلى الطّقوس الدِّينيَّة، وأنْ تقام لها وليمة، وأنْ تُهدى ثوباً جميلاً لهذه المُناسبة، مع إنشاء نصّ الحمد الوارد في (المشنا) عند ظُهُور أمر مُستحدَث، وهي "تبارك الله ربّنا ملك الكون، الذي أحيانا، وأعانا، وبلّغنا شهود هذا اليوم". هذا ما أفتى به الحاخام الأكبر لمدينة التّونا وهُو يعقوب اتلنجر، وأقر فتواه الحاخام السّفردي ببغداد يُوسُف حايين الياهو الحكم في القرن التّاسع عشر)[2].

قدر من الأهليَّة القانونيَّة:

(كانت المرأة اليهُوديَّة على صعيد الحُقُوق تتمتَّع بقدر من الأهليَّة القانونيَّة، فكانت تستطيع إدارة أموالها، بيد أنَّه كان يحقُّ لوالدها أو زوجها فسخ التزاماتها.

---

(1) سفر اللاّويّين.

(2) مجلّة الفيصل عدد 225، مقالة د. حسن ظاظا، ومن كتاب الفكر الدّيني اليهُودي أطواره ومذاهبه.

لذا؛ كان للمرأة المُطلَّقة أو الأرملة امتياز على هذا الصّعيد، هذا؛ إنْ كان لها ثمَّة أملاك..

بالمُقابل؛ كانت شهادة المرأة أمام المحاكم مطعون فيها، شأن القاصرين والعبيد والمجانين والعميان والصّمّ والبُكْم)[1].

صلاة لها دلالتها:

لشرط المرأة البائس في اليهُوديَّة يدعو كُلّ صباح اليهُودي صلاة شُكر للرَّبّ يَهْوَه؛ لأنَّه لم يخلقه عبداً، ولا وثنيّاً، ولا امرأة[2].

والصّلاة كما جاءت في التّلمود:

(الحمد لكَ، يا ربُّ، يا ملكَ الدّنيا، يا مَنْ لم تخلقني أنثى،

ويا حسرتاه لِمَنْ كانت ذُرِّيَّته إناثاً،

أصلحُ النّساء مُشعوذات،

النّساء أرواحهنّ تافهة،

النّساء لسنَ حكيمات، ولا يعتمد عليهنّ،

نزلت إلى العالم عشرة أنصبة من الثّرثرة، أخذت النّساء منها تسعاً،

لا تُوجد امرأة إلاّ للجمال، لا تُوجد امرأة إلاّ للإنجاب،

كُلُّ مَنْ يمشي وراء مشورة امرأة يسقط في جهنَّم)[1].

---

(1) المرأة عبر التّاريخ، مُونيك بييتر.

(2) المرأة عبر التّاريخ، مُونيك بييتر.

تحرُّك بتقدُّم المرأة اليهُوديَّة:

قديماً؛ لم تعرف المرأة اليهُوديَّة التَّحرُّر إطلاقاً، وبتعاقب القُرُون راح يتحسَّن تحرُّرها على نحو ملموس.

وقد ظهر تشريع اجتماعي هيَّأت له تعاليم الأنبياء في القرن السّابع قبل الميلاد.[2] وتبلور مع سفْر اللاَّويِّين.

فقد بدأ القانون يهتمُّ بوضع:

أ ـ الأرملة.

ب ـ الزَّوجة الخليلة.

ج ـ الفتاة المُغتصَبَة.

بدأ الضّعف يسري في البنى الأبويَّة، وبرزت المُلْكيَّة الفرديَّة، وأضحت الفتاة ترث في حال غياب الولد! كذلك أخذت البائنة مكانها إلى جانب المهر "مبلغ من المال يدفعه الخطيب إلى والد الخطيبة، وهُو بمثابة ثمن شراء المرأة"، ولم يعد زواج السّلفة يُطبَّق إلاَّ إذا كان الأخوة يقيمون سويَّة، ويشرط أنْ يوافق المعني بهذا الزَّواج.

وأصبحت الأرملة تنعم باستقلالها، بدلاً من أنْ تُوضَع تحت سيطرة حميِّها، ولم يعد حقٌّ للأب أنْ يرغم ابنته على الدّعارة[3]. ولم يعد للأب

---

(1) المرأة اليهُوديَّة، 99، ديب علي حسن.

(2) مُنذُ سفْر التّثنيَّة.

(3) سفْر اللاَّويِّين، الإصحاح 9، الآية: 29.

حقّ إغصاب ابنته إلاَّ إذا كانت دُون الثّانية عشرة، بعد ذلك؛ تُصبح مُوافقة الفتاة شرطاً لا غنىً عنه.

أبعد من ذلك شأواً كان ارتقاءها الأخلاقي، وقد بدأ ملموساً على نحو خاصٍّ بعد العودة من المنفى. ففي ذلك العصر؛ كُتبت رواية الخليقة المُسمَّاة بـ"الكَهَنُونيَّة"؛ لأنَّها كُتِبَتْ من قِبَل أحد أعضاء كَهَنُوت أورشليم، ووُضِعَتْ في مُقدَّمة سفْر التّكوين، واحتلَّت مكانة الصّدارة بدلاً من الرِّواية القديمة. فالرّجل والمرأة خُلقا في آن واحد، وبمُساواة تامَّة على صُورة الله كلَيْهما، وكُتب عليهما مصير واحد.

كذا؛ خفَّتْ حدَّة الإسراف في تعدُّد الزَّوجات، مُتوجِّهة ببُطء نحو الزَّواج الأحادي والإخلاص للزَّوجة الواحدة رمز الإخلاص للعهد مع الله. وشيَّد نشيد الإنشاد بالعاطفة الغراميَّة الموقوفة على الحبيبة الفريدة المُفردة، كما شفاها سفْر طوبيا عن رُوحانيَّة زوجيَّة مجهولة النّبرات قبل ذلك، لكنْ؛ ما من قانون يهُودي نصٌّ على الزَّواج الأحادي تصريحاً، وثمَّة وقائع من خارج التَّوراة تشهد على أنْ تعدُّد الزَّوجات لم يكن قد زال تماماً في عصر المسيح.

ومن تغيير حَدَث بقصَّة سوسن مع الشّيوخ الدّاعرين في القرن الأوَّل قبل المسيح للمرَّة الأولى في حُكْم امرأة زنت، أو اتُّهِمَتْ بالخضوع للتّحكيم الإلهي القاضي بتجرُّعها ماءً مُرّاً، وإلاَّ بالموت رجماً.

تحوُّل عميق آخر نلمسه في ذلك العصر؛ فالأمومة لم تعد قدر المرأة المحتوم، والعقم لم يعد لعنة. فمُؤلِّف سفْر الحكمة يصيح (سعيدة هي المرأة العاقر التي بلا دنس.. فسوف يتجلَّى خصبها ساعة زيارة الأرواح).

حُكْم المرأة غير اليهُوديَّة في الفكر الدِّيني اليهُودي:

نُسب للنّبي مُوسى أنَّه قال: (لا تشته امرأة قريبكَ، فَمَنْ يزني بامرأة قريبه يستحقُّ الموت)[1].

أيْ: لا يُعتبر القريب إلاَّ اليهُودي فقط، واليهُودي لا يُخطئ إذا تعدَّى على عرض أجنبي؛ لأنَّ المرأة الأجنبيَّة كالبهيمة (والعقد لا يصحُّ مع البهائم وما شاكلها، وإنَّ لليهُود الحقّ في اغتصاب النّساء غير اليهُوديَّات)[2].

وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ موقف الفكر الدِّيني اليهُودي من غير اليهُوديَّة لا يُفاجئنا كثيراً؛ لأنَّ القيم اليهُوديَّة لا تُقيم أيّ احترام للمرأة اليهُوديَّة نفسها، فكيف ستَّتسع للنّساء غير اليهُوديَّات؟!.

مجاميع وضع المرأة اليهُوديَّة:

كانت النُّظُم اليهُوديَّة مُصطبغة بسمات صحراويَّة، ومابرحت عاداتهم البدويَّة غالبة على أجيالهم المتعاقبة، وفي التَّوراة إشارات إلى أصلهم الصّحراوي[3].

لذلك؛ قامت شريعة إسرائيل على ما يقتضيه نظام الأُمَّة الحربيَّة من خضوع المرأة للرّجل، والرّغبة في كثرة النّسل.

---

(1) التّلمود وبرُوتُوكُولات حُكَمَاء صهيون.

(2) تفسير حاخامات التّلمود.

(3) سفر التّثنيَّة 32: 10 وسفر أرميا 2: 2 وسفر هوشع 9: 10.

فالمرأة تُسبَى، وتُباع، وتُورَّث، وللآباء أنْ يُؤجِّروا أبناءهم لموعد، وأنْ يبيعوا بناتهم القاصرات بَيْع الرّقيق، وأنْ يقتلوهنّ[1].

ولم ترفع التَّوارة من قَدْر المرأة لما ورد (أنَّ المرأة أمرّ من الموت، وأنَّ الصّالح التّقي هُو الذي ينجو منها، رجلاً واحداً بين ألف وجدتُ، أمّا امرأة؛ فلم أجد واحدة بين كُلّ أولئك)[2].

وكانت المرأة في المُجتمع اليهُودي - كما في المُجتمعات البدائيَّة - مملُوكة لأبيها قبل زواجها، تُشترَى منه عند نكاحها؛ لأنَّ المهر كان يُدفَع لأبيها، أو لأخيها، على أنَّه ثمن شراء، ثُمَّ تصير مملُوكة لزوجها، وهُو سيِّدها المُطلَق؛ لأنَّ كلمة (بعل) معناها سيِّد، وليس لنذرها أو قَسَمها قيمة ما لم يُؤيِّده زوجها[3]، فإذا مات زوجها ورثها وارثه؛ لأنَّها جُزء من التّركة، وله بيعها، أو يعضلها[4].

وكان الزَّواج بالأخت ذائعاً عندهم قديماً، فمثلاً زواج إبراهيم بسارة أخته من أبيه[5].

والرَّانيُّون - الرّبائيم إحدى طوائف اليهُود الثّلاث - يُبيحون زواج بنت الأخ وبنت الأخت وبنت امرأة الأب[6].

---

(1) حضارة العَرَب، 429، غوستاف لوبون.
(2) سفر الجامعة، 7: 26 - 29.
(3) اليهُود في تاريخ الحضارة، 52.
(4) النُّظُم الاجتماعيَّة والسِّياسيَّة عند قُدماء العَرَب والأُمم السّاميَّة، 67.
(5) سفر التّكوين، الإصحاح 20: 12.
(6) العقائد، 80.

وقد بعث عيسى النّبيُّ عليه الصّلاة والسّلام يحيى بن زكريًّا في اثنَيْ عشر من الحواريّين، يُعلِّمون النّاس، وكان فيما نهوهم عنه نكاح بنات الأخ[1].

ثُمَّ ـ بعد ذلك ـ الأُمّ، وامرأة الأب، والأخت لأب، أو لأُمّ، وابنة الابن، والعمَّة، والخالة، وزوجة الابن، وبنت امرأة الأب، والأُصُول والفُرُوع[2].

وجروا على تعدُّد الزَّوجات، ولم يعارضه القانون الشّرعي أو المَدَني[3].

وعرفوا زواج المتعة، ومارسوه، ثُمّ نهى الكتاب عنه؛ لأنّه لا يليق أنْ يكون الاقتران لأجلٍ تبعاً لهوى النّفس، ثُمَّ تحدث بعده فُرقة بغير مُسوّغ شرعي[4].

وبديهي أنَّ المرأة التي تُورَّث كالمتاع لا حقَّ لها في الميراث. فالقاعدة أنَّ الرّجل إذا مات، وليس له أبناء ورثه بنو عشيرته، أمَّا النّساء؛ فلا نصيب لهنَّ ممَّا ترك الرّجل، بل كُنَّ يُورَّثْنَ.

فإذا مات الزّوج، ولم يكن قد أولد الزَّوجة، ورثها أخوه، أو بعض أقاربه.

وكانت البنت إذا مات عنها والدها ورثها أقرب الرّجال إليها، ثُمَّ عُدِّلَتْ هذه القاعدة في عصر مُتأخِّر، فسُمح للبنت أنْ ترث أباها إذا لم يكن له ولد.

---

(1) تاريخ الطّبري، ج2، ص12.
(2) سفر اللاّويّين، إصحاح: 18، آية: 6ـ18، وشعار الخضر.
(3) اليهُود في تاريخ الحضارة، 50.
(4) شعار الخضر، 101.

أمَّا الزَّوجة؛ فلا نصيب لها من تركة زوجها؛ بل ظلَّت جُزءاً من متاعه يرثها ذوو قرباه، على أنَّ التَّوراة اشترطت على البنت التي ورثت أباها أنْ تتزوَّج رجلاً من عشيرته[1].

واختلفوا في توريث الزَّوجَيْن: الرَّبَّانيُّون والقرَّاءون.

فالرَّبَّانيُّون يُورِّثون الرّجل زوجته.

أمَّا القرَّاءون؛ فيمنعون توريث الرّجل زوجته، ولا يُلزمون مؤجّل صداقها، ويمنعون المرأة أنْ ترث زوجها، ولها مؤجّل صداقها هُنا[2].

وقد خوَّلت القوانينُ اليهُوديَّةُ القديمةُ الرّجلَ أنْ يُطلّق زوجته إذا فعلت ما لا يرضى، ولم يكن هُناك ما يكفه عن استعمال هذا الحقّ المُطلق إلاَّ بعض روابط واهية لا تُجدي فتيلاً، ولم يسمح للنّساء أنْ يطلبنَ الطّلاق من أزواجهنَّ، وليس قبولهنَّ الطّلاق شرطاً لصحَّة وقُوعه[3].

ثُمَّ في عُصُور مُتأخِّرة أباح القرَّاءون للمرأة أنْ تطلب الطّلاق من زوجها[4].

واليهُود قديماً ينسبون أبناءهم إلى أُمّهاتهم، ففي التّعاويذ السّحريَّة اليهُوديَّة يُقرَن اسم الرّجل بأُمّه، لا باسم أبيه. وقد عكف يُوليُوس ولهوزن

(1) النُّظُم الاجتماعيَّة والسِّياسيَّة، 170. وشعار الخضر، 152-164، والأحكام الشّرعيَّة في الأحوال الشّخصيَّة للإسرائيليِّين، 169-172.
(2) شعار الخضر، 161-163.
(3) الأحكام الشّرعيَّة في الأحوال الشّخصيَّة للإسرائيليِّين، 97. ومركز المرأة في الإسلام للسَّيِّد أمير علي الهندي. والإسلام والحضارة العَرَبيَّة جـ1، ص80.
(4) شعار الخضر، 126.

على دراسة التَّوراة، وخلص إلى أنَّ النّسب إلـى الأُمّ هُو الشّائع في جداول الأنساب في الجُزء الذي حـرَّره أتباع المدرسة اليهُوديَّة والكَهَنُوتيَّة إلـى أب. وإذا علمنا أنَّ السّاميِّيْن كانوا يضعـون قُيُوداً شـديدة وحُـدُوداً مرعيَّة للـزَّواج بذوي الأرحام، ولا يضعون مثل هذه القُيُود في الزَّواج بالعصبة، فهم مثلاً: يُبيحون الزَّواج بالأُخت لأب، فيتبيَّن لنـا أنَّهم كانوا في وقت ما يعدُّون صلة الأبوة أوهـى مـن صلـة الأُمّ، ويـرون أنَّـها لا تفـرض نـهياً ولا تحريمـاً في الزَّواج[1]. ووُجُود هذه العادة يُفسِّر قول إلههم يَهْوَه عن اتِّحاد الرّجل بـالمرأة (سوف يترك الرّجل أباه وأُمَّه، ويلتصق بزوجته)، ومانزال لـهذه العـادة آثار في اليهُود إلى اليوم.

وفي الأُمم العَرَبيَّة ومصر - عادةً - نسـبة الولـد لأُمِّـه في التّعـاويذ والرّقـي والتّمائم، ويرى نُولدكه أنَّها تدلُّ على مرحلة قديمة من نظام الأُمُومة[2].

وقد أباح العهد القديم للوالـد أنْ يبيع بنته بيـع الأرقَّاء لِمَنْ يرضـى أنْ يتزوَّجها لنفسه، أو لأحد أبنائه[3].

مُساواة بين الرّجال والنّساء في إسرائيل القانون:

بعد قيام "دولة إسرائيل" في فلسطين العَرَبيَّـة أقرَّ الكنيسـت الإسـرائيلي عـام 1951، قـانون حُقُـوق المـرأة بالمُســاواة مـع الرّجـل بـالحُقُوق، والتـي منها حقّ:

---

(1) النُّظُم الاجتماعيَّة والسِّياسيَّة، 86-88.

(2) النُّظُم الاجتماعيَّة والسِّياسيَّة، 81.

(3) سفْر الخُرُوج: 21-7-12. والمرأة في الشّعر الجاهلي.

- التّعليم، التّوظيف، مُمارسة دورها في كُلِّ المجالات دُون تمييز.

- لم يُنفَّذ هذا القانون، وظلَّ حبراً على ورق[1].

- استغلّت المرأة في مُنظّماتها النّسائيَّة في "إسرائيل" - عام 1975، عام إعلان الدُّول لحُقُوق المرأة - الفُرصة لإعلان مطالبهنَّ بتنفيذ قانون المُساواة، وتشكَّلت لجنة، وخرجت بتوصيات قُدِّمت لرئيس الحُكُومة بيغن، الذي أحال الكُرَّاس لوزارة الشُّؤُون الاجتماعيَّة والعمل.. وبعد الدّراسة؛ تمَّ حصر التَّوصيات برئيس الحُكُومة؛ لإصدار قانون مُلزم لمبدأ المُساواة، وتكافؤ الفُرص، وتوصيات تخصُّ الولادة والإجهاض والأجر والأعمال المجهدة وقانون التّجنيد وضرورة فرز المجندات في قطاعات المهمّات العسكريَّة، شعب تجنيد، مطاعم، مقاسم، إشارة، تمريض، وتطبيق الزَّواج المدني، وزيادة أماكن النّساء في الأماكن القياديَّة، وبعد المناقشة؛ اعتذر بيغن حتَّى لا تنقسم البلاد اجتماعيّاً، وحفظ التّقرير[2].

الفراعنة في مصر:

- *لمحة:*

تحتلُّ مصر مكانة مميَّزة بين الشُّعُوب القديمة للشّرق الأدنى المُتوسّطي، فنهر النِّيل الذي فرض وحدة مصر الجَغرافيَّة أتاح تحقُّق نمط معيَّن من الحضارة المنغلقة على ذاتها نسبيّاً، والتي حافظت على استمراريَّات عجيبة طيلة ثلاثة آلاف عام.

---

(1) علي همشمار تاريخ 24/ 2/ 1978، المرأة اليهُوديَّة، ديب علي حسن، 166.

(2) المرأة اليهُوديَّة، ديب علي حسن، ص168.

وقد قدَّمت مَلَكيَّة الفراعنة التَّوحيديَّة مُساهمتها في هذا المضمار.

ويأتي في رأس القسمات المُميِّزة لهذه الحضارة غياب التّعارض المألوف بين الأرض الأُمّ وبين الآلهة السّماويَّة. وشاعت قواعد اللُّغة، أو ربَّما الميتافيزياء، أنْ تكون كلمة الأرض مُذكَّرة في اللُّغة المصريَّة، وأنْ يرمز إليها إله، هُو إله جب، وأنْ تكون كلمة السّماء مُؤنَّثة، وأنْ يرمز إليها إله نوت. (والواقع أنَّ المخصّب الأعظم هُو النِّيل، كما أنَّ عبادة الإله الشّمس من جهة أُخرى أمون ـ رع ـ قد استقطبت العبادات الرّسميَّة، ودعمت روحانيَّة الحُكْم).

هذه الميزة المُنفردة هي التي قد تُبرِّر انعدام الإشارة إلى المرأة التي تعمل في الأرض، حتَّى في أقدم النُّصُوص. فهل نُعيد إلى السّبب العميق نفسه غياب المَحْظيَّات المُقدَّسات؟!.

ثمَّة ميزة بارزة أُخرى، شيء من الرّقَّة في الأخلاق، تشهد عليه ـ بنحو خاصٍّ ـ الحدود المفروضة على مُمارسة الرّقّ. إنَّ المثل الأعلى الذي بجلّته ديانة أوزيريس ساعد على نُمُوِّ الوُجدان الفردي والإيمان العميق بتساوي الكائنات أمام الموت والمعنوي بين الجنسَيْن، وقد ساهمت هيبة الآلهة إيزيس في إضعاف مبدأ التَّفوُّق الذُّكُوري[1]، [2].

---

(1) المرأة عبر التّاريخ، مونيك بيتي.

(2) وُجد على ورقة بردى في القرن الثّاني بعد الميلاد نصٌّ يُوناني (صلاة الآلهة، التّضرُّع التّالي: "يا أيّتها التي أعطت النّساء قُدرة تُساوي قُدرة الرّجال").

المرأة المصريّة في عصر الإقطاع قبل الميلاد بـ3000 عام[1]:

لاريب أنَّ الشّرق الأوسط النّسوي قد تعرَّض لتقلُّبات عدَّة خلال أكثر من ثلاثين قرناً من الزّمن قبل الميلاد، ويمكن استشفاف هذه التّقلُّبات من إيقاعات التّاريخ المصري بالذّات:

ثلاثة عُصُور ملكيَّة ليبراليَّة بشكل عامّ، تتخلّلها عُصُور إقطاعيَّة بتشنُّج واضح؛ هي:

1 ـ الإمبراطُوريَّة القديمة: من 3000 تقريباً إلى 2255 ق.م. عصر الإقطاع الأوَّل.

2 ـ الإمبراطُوريَّة الوُسْطَى: من 2100 تقريباً إلى 1650 ق.م. عصر الإقطاع الثّاني/ غزو الهكسوس.

3 ـ الإمبراطُوريَّة الجديدة: 1555 تقريباً إلى 1050 ق.م. عصر الإقطاع الثّالث.

4 ـ حقبة مَلَكيَّة مُتأخِّرة: من 663 تقريباً إلى 526 ق.م. حقبة سائيسيَّة.

فالأنظمة الإقطاعيَّة بطابعها العسكري وبِبُناها المنتظمة هرميّاً نادراً ما تكون مؤاتية للمرأة، وهي ـ على كُلّ حال ـ لا تخدم ـ أبداً ـ مصلحة الفرد.

إنَّ تراجع وضع المرأة في العصر الإقطاعي الأوَّل: خلال تفكُّك الإمبراطُوريَّة القديمة ـ أشار عليه الفنُّ ـ تصوير الزَّوجة في حجم صغير إلى

(1) المرأة عبر التّاريخ، مونيك بيتي.

جانب الزَّوج الأكبر بكثير. . . شهادة بليغة ساذجيَّة لم تُعبِّر في فنّ مراتبي وجمودي إلاَّ عن مرحلة بضعة قُرُون في تاريخ طويل.

إنَّ العصر الإقطاعي الثّاني كان أقلّ تعسُّفاً؟ المهمّ أنَّه عندما أعاد العمل بحقّ البكوريَّة، اعتبره ساري المفعول على الفتاة أيضاً (ميزة استثنائيَّة في تاريخ الأنظمة الإقطاعيَّة).

إذا ما وضعنا هذه المعترضات الإقطاعيَّة جانباً ـ علماً بأنَّها لم تؤثّر ـ في مُعظم الأحيان ـ على شرط المرأة في الوسط المَدَني، ولا سيما في مُدُن الدّلتا ـ فإنَّنا نستطيع أنْ نرسم صُورة أوَّليَّة للوضع العامّ للمرأة المصريَّة، وذلك رغم الثّغرات العديدة التي تشكو منها المراجع بهذا الصّدد.

المرأة داخل الأُسرة المصريَّة:

إنَّ وضع المرأة المصريَّة المميَّز داخل الأُسرة هُو وضع ـ في آن واحد ـ إرث من الماضي، وارتقاء ناجم عن الزَّواج الأحادي موسوم من ميسم الحضارات القديمة الفريد المصير إلى حدٍّ ما.

(تبدو الأُسرة المصريَّة وكأنَّها تحمل أثر عادات قديمة كانت تمنح المرأة مكانة مرموقة، بل ربَّما طاغية، فالنّسب لأُمّ كان يُوضَع على قَدَم من المُساواة مع نَسَب الأب؛ وكان الولد مُلزَماً بتقديم الطّقوس المأتميَّة لأُمِّه تماماً كما كان يفعل لأبيه)[1].

---

(1) تاريخ الحضارات العامّ، الشّرق واليُونان، ـ أمر نادر لدى الشُّعُوب القديمة ـ.

هل هُو إرث عن نظام الأُمّ لمرحلة ما قبل التّأريخ؟ . . لا نملك أنْ نجزم بذلك: لكنَّ الزَّواج الأحادي الذي طُبِّق مبكِّراً ـ وعلى نحو شامل ـ قد دعَّم ـ بكُلِّ تأكيد ـ هذا الوضع المعنوي للمرأة .

فتعدُّد الزَّوجات ترف الطّبقات الغنيَّة ، وكاد أنْ يكون امتيازاً محصوراً بالفراعنة ، الذين مارسوه بسعة ، بل بتباه ، فقد كان رمسيس الثّاني يفتخر بإنجابه (160 ولداً) ؛ من بينهم (110) صبيان ، لكنَّ ثمة زوجة واحدة كانت تحظى بلقب ووظائف (الزَّوجة الملَكيَّة العُظْمَى) . وبالإضافة إلى الزَّوجات الثّانويَّات كانت هُنالك المَحْظيَّات العديدات اللَّواتي كُنَّ يعشنَ في الحريم ، دُون أنْ يَكُنَّ أسيرات فيه . فقد كُنَّ يشاركنَ في حياة البلاط ، ويستفدنَ من خدمات مجموعة كبيرة من المستخدمين من ذُكُور وإناث .

كان ثمَّة استثناءات لهذا البذخ ، ولهذه الأُبَّهة ؛ كما عرف الفراعنة حياة أكثر مثاليَّة . فَمَنْ منَّا لا يتذكَّر النّقش الشّهير الذي يبدو فيه أمينوفيس الرّابع والملكة نفرتيتي وقد أحاط بهما أولادهما بحنان؟ ! هذا المثال الملَكي ليس الوحيد الذي يُؤكِّد البحث عن مَثَل أعلى حقيقي في الحياة الزَّوجيَّة . فقد كان الكُتَّاب الأخلاقيُّون يُلحُّون على أهمِّيَّة العاطفة المتبادلة ، بل على طهارة العادات والسُّلُوك لضمان استمرار السّعادة الزَّوجيَّة . ثُمَّ ؛ أليس المثال الأسطوري هُو مثال الآلهة إيزيس ، مثال الزَّوجة والأُمّ؟ ! .

الأمر الذي يلفت الانتباه أيضاً هُو رفض المصريِّين مُمارسة عادة الهجر ، اللّهمَّ إلاَّ في مرحلة مُتأخِّرة ، وتحت التّأثير اليُوناني والرُّوماني .

إذنْ؛ الأولاد جميعهم مُرحَّب بهم في البيت، والمشاهد التي تشير إلى سحر الطّفولة أكثر تكراراً وتواتراً في الفنّ المصري من فنون الحضارات القديمة الأُخرى.

بيد أنَّ اللّوحة لا تخلو من بعض اللّمسات القاتمة، ففي مصر القديمة نلاحظ تبكيراً مفرطاً - أحياناً - في تزويج الفتيات وهنَّ في سنّ التّاسعة والثّانية عشر، التي لم تكن فيها الفتيات قد بلغنَ بعد طبيعة الصّدمات النّفسيّة التي يتعرَّض لها هؤلاء النّساء الأولاد!!..

وبهذا؛ كان الرّاجح أنَّ الزّوج يُطلِّق زوجته إنْ لم تُنجب.

هذا؛ وكانت الزّوجة الخائنة تُعاقَب بالموت على ما يبدو، على الرّغم من نفور المصريّين من العقوبة القُصْوَى، وكرههم لها، وكان الجلد هُو العقاب الرّائج الرّاجح حتّى بالنّسبة إلى الضّرائب غير المُسدَّدة..

أمَّا الزّوج الخائن؛ فلم ينله أيُّ عقاب، إلاَّ أنَّ التّقاليد كانت تدينه.

فأمام القضاء الأخروي يطالب الميِّت ببراءته من مثل هذه الخطيئة، وعليه أنْ يأخذ معه صكّ إلى القبر يُثبت براءته، وقد ظهر ذلك في نهاية الإمبراطُوريَّة القديمة عندما وَسَمَتْ ديانةُ أوزيريس مفهومَ الخلود الذي لم يعد وقفاً على الفرعون وأفراد عائلته المقرَّبين، بل أضحى من حقّ النّاس جميعاً شرط التّقيُّد بقانون أخلاقي معيَّن: "لم أقتلْ أم، وأزرف الدّموع، لم أخنْ الزّوجيَّة، لم أعذِّب الأرامل، لم أقطع الحليب من فم الرّضيع.. بل أقدم على تقديم الخبز والماء والثِّياب.. إلى ما هُنالك من أُمُور الخير حتَّى يستطيع دُخُول الخلود الأبدي دُون عذاب"[1].

---

(1) تاريخ الحضارات القديمة (مصر).

المرأة المصريَّة القديمة في القانون[1]:

لم تجد المـرأة المصريَّـة مناصًّاً في القـانون مـن الخضـوع أو الوصايـة مـن الرّجل إلاَّ عندما تكـون فتـاة صغـيرة تخضـع لسـلطة الأب، وعندمـا تـتزوَّج تخضع لسلطة الزَّوج، لكنَّ هاتَيْن السّلطتَيْن محدودتَيْن، على ما تشهد عليه نُصُوص الإمبراطُوريَّة القديمة:

كانت المرأة مُنذُ ذلك العصر تتمتَّع بأهليَّة قانونيَّة واسعة.

كانت تُدير أملاكها الخاصَّة (لم ينطو حقُّ الإرث على أيِّ امتيـاز لصـالح الذُّكُور أو البكورة)، وكان في مقدورها أنْ تُرافع، وأنْ تُقسم اليمين.

وابتداءً من الإمبراطُوريَّة الوُسْطَى ظهر تعبير جديد يشـار بـه إلى المرأة المُتزوِّجة وهُو (ربَّة البيت)، تعبير ارتـدى معنـى قانونيًّاً كـاملاً "إذْ كتـب زوج إلى أحد مزارعيه يقول: سبق أنْ قُلـتُ لـكَ إنِّي لـن أعمـل في زرع الأرض، لكنَّ زوجتي ربَّة البيت قالت لي فيما بعد: لا تأخذ الأرض من نـ . . وَدَعـهُ يستمرُّ في زراعتها"[2].

وفي عهد الإمبراطُوريَّة الجديدة بات في وسع المرأة أنْ تُصبح ربَّة الأُسرة في غياب الزَّوج، أو الابن الرّاشد.

لكنْ؛ خارج نطاق وإطار الأُسرة لم يكن للمرأة مـن نفـوذ أو تـاثير إلاَّ إذا كانت كاهنة أو عاهلة، فالثّقافة معدومة، أو تكاد إلاَّ لبنات الأُسر الكريمة

---

(1) تاريخ الحضارات القديمة.

(2) التّاريخ العالمي للمرأة، غريمال، باريس، 1965م.

ينلنَ نصيبهنَّ من الثّقافة المرهفة: فنّ، شعر، موسيقى، رقص، وكُنَّ يتعلمنَ القراءة، لكنْ؛ نادراً ما كُنَّ يجدنَ الكتابة. وهكذا؛ لم يظهر اسم نسوي واحد في عالم الأدب، فكاتبات بلاد ما بين النّهرَيْن لا يجدنَ في مصر الفرعونيَّة زميلات لهنَّ.

المرأة المصريَّة القديمة في السِّياسة[1]:

مارس المحيط النّسوي الفرعوني نفوذه بقُوَّة، وعلى نحو مألوف، حتَّى في العُهُود التي لم تكن فيها الملكة حاكمة أو وصيَّة على العرش.

فالمصريُّون لم يعارضوا قطّ.. حتَّى من عُهُود غابرة، مبدأ اعتلاء المرأة سدَّة السّلطة.

وعلى سبيل المثال؛ نشير إلى بعض العُهُود النّسويَّة الكُبْرَى:

1 - نيتوكريس الأسطورة وكليوبترا، عصر البطليمي الشّهير.

2 - عهد سبكنفروري؛ في الإمبراطُوريَّة الوُسْطَى.

3 - حتشبسوت؛ بداية الإمبراطُوريَّة الجديدة، والذي دام عشرين عاماً.

4 - مُساهمة الملكات القويَّة والفعَّالة في مُقاومة الهكسوس، وفي استرداد الاستقلال المفقود في القرن السّادس قبل الميلاد.

---

(1) تاريخ الحضارات القديمة.

في السّلم الاجتماعي[1]:

كانت تقف طبقتان كبيرتان من النّساء؛ هما:

1 ـ نساء طبقة الفلاّحين.

2 ـ نساء طبقة الخادمات العاملات.

أ ـ في البيوت الخاصّة.

ب ـ في أملاك الدّولة.

1 ـ إنّ زوجة الفلاّح فلاّحة نموذجيّة لم تعمل ـ البتّة ـ في الحُقُول، بل في الأعمال الزّراعيّة المقتصرة على تذرية الحُبُوب، وكانت تعمل في صناعة الخبز والجعة، وتغزل، وتنسج، وكذلك الرّاعي يغزل، ويحرس.

2 ـ أ ـ الخادمات: في البيوت لم يكن إماء، اللّهمّ إلاّ بالنّسبة إلى أسيرات الحروب، اللاّئي كُنّ يعملنَ كخادمات.. إلاّ أنّ الإماء قد دُمجنَ ـ بسرعة ـ بالطّبقات الكادحة.

ب ـ كانت حُشُود كبيرة من النّساء تعمل في أملاك الدّولة، فالأجنبي منها آسيويّاً على وجه الخُصُوص، كان وضعهنّ القانوني قريباً من العُبُوديّة. وكانت المرأة تُسخَّر في حفر الأقنية، وبناء السّدود، وتجفيف المستنقعات، وثمّة نصٌّ يعود إلى الإمبراطُوريّة الوُسْطَى، وكُلٌّ من اللّواتي كُنّ يحاولنَ التّهرُّب من هذه السّخرات تُعاقَب بالعمل مدى الحياة في مزرعة الدّولة.

---

(1) ن.م.

إزاء هذه الأوضاع كانت الأعمال النّسائيّة المستقلّة تبدو محرّرة، مثل: ماشطة، حائكة، طحّانة. بالإضافة لطوابير الرّاقصات والعازفات والمغنّيات والبهلوانيّات، وانتشرت هذه الطّوابير في الإمبراطوريّة الجديدة، ثمّ المهن التي يوفّرها الدّين المصري.

المرأة المصريّة القديمة في سلك الكَهَنُوت[1]:

عديدات الكاهنات اللّواتي كُنّ يخدمنَ الآلهة (آمون)، أو الآلهات (هثور، إيزيس، موت، .) ويضاف إليهنّ العازفات والرّاقصات المُقدّسات اللّواتي كُنّ ملحقات بخدمة المعابد.

لقد كانت الملكة كبيرة الكاهنات، وكانت تُؤدّي الطّقوس الدّينيّة؛ إمّا بمُفردها، وإمّا بصُحبة الفرعون، وفي هذه الحال - أيْ عندما كانت تشارك الفرعون تأدية الطّقوس الدّينيّة - كانت تقف في صفٍّ واحد مع زوجها المَلكي، وكانت تُهيمن على الكَهَنُوت النّسوي، وتشرف على إدارة إيراداته وعائداته.

وكان الكَهَنُوت النّسوي شأنّ الكَهَنُوت الذُّكوري يُشكّل طبقة مغلقة متراتبة هرمياً ذات امتيازات وثروات.

هذا ما يفسّر قيام إقطاعات دينيّة حقيقيّة في بعض العُصُور، وبين القرنَيْن الحادي عشر والسّابع قبل الميلاد؛ أيْ في مرحلة دخلت فيها المَلكيّة الفرعونيّة في حقبة أفول مديدة، استولى كَهَنَة أمون على السّلطة في الجنوب

(1) كُهّان مصر وتاريخ الحضارات القديمة.

وطيبة، وقد مارست إحدى "زوجات الإله" وصاية فعليَّة على العرش لفترة من الزّمن، وأورثت سلطانها - فيما بعد - إلى وريثة لها بالتَّبنِّي.

لكنْ؛ ممَّا يثير الدّهشة فعلاً غياب المَحْظيَّات المُقدَّسات عن الخدمات الدِّينيَّة النّسويَّة، فلا الكاهنات اللَّواتي كُنَّ يقمنَ على عبادة الآلهة هثور آلهة الخصب، ولا حتَّى اللَّواتي كُنَّ يُطلقنَ على أنفسهنَّ اسم "خليلات الإله أمون" كُنَّ يقمنَ بهذا الدَّور. أمَّا "مُتعبِّدات آمون" اللَّواتي ظهرن نحو عام 750 قبل الميلاد؛ فقد كُنَّ بالعكس ينذرنَ أنفسهنَّ لحياة عذريَّة.

فالرُّوحانيَّة الشّمسيَّة التي ميَّزت الملكيَّة الفرعونيَّة الذّكوريَّة على صعيد الحُكْم - بشكل عامّ - قد سلَّطت أضواء على شخصيَّة الملكة.

فإنَّ روحانيَّة الدّم كانت تمنح الملكة امتياز نقل السّلطة. وكانت الأميرات اللَّواتي يسري في عُرُوقهنَّ دم مَلَكي يقلدنَّ سلطانهنَّ لمَنْ يتزوَّجنه من الرّجال "لم تكن المَلَكيَّة الفرعونيَّة وراثيَّة بالمعنى الصّارم". وكان الفرعون ينقاد - أحياناً، حرصاً منه على إنقاذ نقاوة الدّم الشّمسي - إلى الزَّواج من شقيقته - التي كانت - غالباً - نصف شقيقة؛ نظراً لتعدُّد زوجات الملك - وقد شاعت عادة زواج الأشقَّاء في العصر البطليمي، وإنْ كانت قد ظهرت في عُصُور سابقة، مع ذلك؛ فعديدون هم الفراعنة الذين تزوَّجوا من أميرات أجنبيَّات.

من النّادر ألاَّ تمنح الحضارات في آخر مراحل تاريخها المرأة مكانة أسمى وحُرِّيَّات أوسع من تلك التي كانت تخصُّها بها في أولى مراحلها.

هكذا كان واقع الحال في القُرُون الأخيرة للإمبراطُوريَّة الجديدة.

هذا؛ والتّطور يبرز أوّل ما يبرز على الصّعيدَيْن المعنوي والاجتماعي، فقد باتت المرأة تحتلُّ مكانة مُتعاظمة باطِّراد في المُجتمع، وأضحت تختلط بالرّجال في الاجتماعات والاحتفالات والمُناسبات الاجتماعيَّة، وقد تغنَّى أدب غزلي خفيف وشهواني بالجنس الجميل، مع إذلاله وإهانته بعض الشّيء، كاشفاً النّقاب عن حُرِّيَّة جنسيَّة واسعة، فأخلاقيَّة أوزيريس كانت قد فقدت حظوتها، وارتضت مصر في مستهلّ أفولها بأنْ تجتاحها وتغزوها فلسفة واقعيَّة ومتحرِّرة من الأوهام تُغنِّي باللّذة. "اجعل من هذا اليوم عيداً.."، هذا ما كان يردِّده الشّعر والنّثر بلا كلل.

طبعاً؛ لم تكن المرأة لتُفوِّت على نفسها فُرصة الانعتاق، ومرحلة الانحطاط في كُلّ حضارة هي من هذه الزّاوية مُؤاتية دوماً لتحرُّرها.

بعد أفول العَظَمَة المصريَّة وبداية النّهضة الجديدة قبل الميلاد - القرنَيْن السّابع والسّادس - قد اكتمل انعتاق المرأة المصريَّة في هذا العهد، فعلى الصّعيد القانوني، باتت المرأة تتحكَّم بمصيرها، وبحُرِّيَّة تامَّة، في الزَّواج الأحادي، وحقّ الطّلاق، والأهليَّة المَدَنيَّة التَّامَّة، إلا أنَّ الغزو المقدوني ثُمَّ الرُّوماني وضع حدّاً لامتيازات المرأة المصريَّة[1].

القول الجامع في المرأة المصريَّة:

كانت المرأة المصريَّة في العُصُور الغابرة سامية القدر، لها أنْ تتولَّى المُلك، إذا فُقد الوارث للعرش من الذُّكُور، وقد سُنَّ هذا النّظام قبل المسيح

---

(1) المرجع السّابق.

بثلاثة آلاف سنة، فإنَّ جدول مُلُوك مصر لم يذكر غير خمس ملكات بإزاء أربعماية وسبعين ملكاً.

يظهر أنَّ شعُور المصريَّة بأنوثتها كان السّبب في أنَّها وإنْ كانت ملكة تشعر بأنَّ المُلك أليق بالرّجل، لأنَّ الملكة حتشبسوت قبل 1550ق. م. اضطُرَّت إلى لبس ثياب الرّجل مراعاة للرّأي العام"[1]، وكان المصريُّون يدينون للملكة بالولاء، ويُجلُّونها حتَّى ليقول ديودور الصّقلي: "إنَّها كانت تنال من السّلطة والتّكريم أكثر ممَّا ينال الملك، ويرجع هذا إلى الذّكرى المجيدة التي خلَّفتها في مصر الآلهة إيزيس"[2].

وكانت الزَّوجة جليلة القدر، حتَّى إنَّ الملك لا يكاد يُصوَّر على الآثار إلاَّ مع زوجته، وهذا عامٌّ لا يقتصر على الطّبقة العالية.

وكان لقبها أنَّها ربَّة البيت[3]، وكانت النّساء يحضرنَ مع أزواجهنَّ الحفلات العالية، وهذا مظهر لم يعهده العالم القديم ولا الشّرق الحديث. فالمصري كانت امرأته بجانبه أينما وُجد، ولم يكن من الأدب المرعي الفصل بين زوجَيْن، وهذا يشبه ما نراه الآن في الحفلات الأوروبيَّة، فالزَّوج المصري وزوجته يجتازان الحياة واليد في اليد كما نرى في الصُّور التي على القُبُور[4].

---

(1) المرأة في التّاريخ والشّرائع، ص 19.

(2) الحضارة المصريَّة القديمة، ص 13.

(3) المرأة في مُختلف العُصُور، ص 18.

(4) الحضارة المصريَّة القديمة، ص 63.

وممّا يدلُّ على العناية بالزَّوجة فتاح حتب، ابن ملك من الأُسرة الخامسة أذاع وصاياه لمّا طعن في السِّنِّ على بني وطنه، وكان منها: إذا كُنتَ عاقلاً:

1 ـ أَجدْ تموينَ بتيكَ.

2 ـ أَحبَّ امرأتكَ، ولا تُشاحنها، وغَذِّها، وزَيِّنْهَا، وعَطِّرْها، ومَتِّعْها ما حييتَ.

هي ملك يجب أنْ تكون جديرة بالمالك، ولا تكنْ معها فظّاً غليظاً[1].

وكانت المرأة المصريَّة تتناول مهراً من زوجها بعقد زواجها، وقد ذكر ديودور أنَّه نصَّ في شرط عقد من عُقُود الزَّواج على أنَّ المُتزوِّجَيْن اتَّفقا على أنْ يطيع الرّجل المرأة[2].

وقد أباح الفراعنة والبطالسة الزَّواج بالأخت[3]، وكان ذلك عامّاً في الشّعب كما ذكر ديودور[4]، وفي أحيان قليلة؛ كان الزَّواج بالأُمّ[5].

وعرف المصريُّون تعدُّد الزَّوجات عن طريق التّسرِّي؛ لأنَّ النّظام الاجتماعي كان يقضي بتقسيم الشّعب إلى طبقات، ولم يكن مُباحاً للرّجل أنْ يتزوَّج إلاَّ امراة واحدة من طبقته، ولكنْ؛ له أنْ يتسرَّى على أنْ تكون زوجته سيِّدة سراريه[6].

---

(1) الحضارة المصريَّة القديمة، ص 116.
(2) الحضارة المصريَّة القديمة، ص 72.
(3) قصَّة الحضارة، 1/ 73.
(4) الأُسرة والمُجتمع، ص 47.
(5) المرأة في التّاريخ والشّرائع، ص 17.
(6) المرأة في التّاريخ والشّرائع، ص 17.

وعرفوا النّسب إلى الأُمّ أحياناً بدلاً من النّسب إلى الأب إذا كانت الأُمّ من أُسرة عالية القدر[1]، على أنّ النّسب للأب كان هُو الشّائع[2]، ولعلّ هذا من تأثير الأمومة الأولى التي وجدت آثارها إلى عهد الإمبراطُوريّة الوُسْطَى. وفي نقوش ذلك العهد نرى أنّ الجدّة من جهة الأُمّ تتقدّم في سيرها على جميع أفراد الأُسرة[3].

وتميّزت المرأة المصريّة من بعض مُعاصراتها بأنّها تملك، بل لقد استأثرت بالملكيّة أحياناً، لذا؛ كان يُناطُ بالبنات تغذية أهليهنّ إذا طعنوا في السّنّ، ويكلّف الذُّكُور ذلك، وهذا دليل على أنّ النّساء لبثنَ وحدهنّ زمناً طويلاً يملكنَ، ويرثنَ[4]، ثُمّ تطوّر النّظام، فصارت المرأة تأخذ من تركة أبيها نصيباً يعادل نصيب شقيقها[5]، وكان هذا قبل الحُكْم اليُوناني.

وكانت النّساء تمارسنَ التّجارة، فقد ذكر هيرودوت أنّ النّساء المصريّات كُنّ يذهبنَ إلى السُّوق، ويفرغن للتّجارة، أمّا الرّجال؛ فكانوا في منازلهم ينسجون[6].

وبعد الحُكْم اليُوناني لمصر أباح فرعون بوحورس للأعيان أنْ يتملّكوا الأرض، وكان تملُّكها قبل ذلك مقصوراً على الملك والأشراف والكَهَنَة

---

(1) الحضارة المصريّة القديمة، ص 72.

(2) المرأة في التّاريخ والشّرائع، ص 13.

(3) الحضارة المصريّة القديمة، ص 72.

(4) الحضارة المصريّة القديمة، ص 72.

(5) تاريخ التّربيّة لأحمد فهمي القطّان، 1/ 44.

(6) الحضارة المصريّة القديمة، ص 71.

والقُوَّاد، ولم يكن لعامَّة النّاس ما يستحقُّ أنْ يُملك ويُورث، فخيف من استئثار الرّجل بالمُلكيَّة عقب أنْ شاع تعدُّد الزَّوجات، فعمدت المرأة إلى كَبْح استئثاره بالاشتراط في عُقُود الزَّواج، حتَّى كانت إحداهنَّ تشترط عليه أنْ تنتقل أملاكه إلى ولده منها إذا تزوَّج بغيرها.

ثُمَّ حدَّ فليو باتور أحد بطالسة اليُونان من حقِّ الزَّوجات في التَّصرُّف فيما يملكنَ، فأمر بإبطال تصرُّفهنَّ إلاَّ بإجازة بعولتهنَّ، وبذلك؛ وضع المرأة في وصاية الرّجل، وجعل الرّجل صاحب الحقِّ في توزيع الثّروة، فانحطَّت مكانة المرأة بتأثير المَدَنيَّة اليُونانيَّة[1].

(1) المرأة في التّاريخ والشّرائع، ص 17.

الفصل الرّابع:

المـــــرأة
في حضارات الشّرق الأقصى

اليابان:

- لمحة:

يتشكّل الأرخبيل الياباني من آلاف الجُزُر؛ أبرزها الجُـزُر الكُـبْرَى الأربعة، وهي:

1- هونشو.

2- هوكايو.

3- شكوكو.

4- كيوشو.

ولا تزيد مساحة اليابان على "146000" ميلاً مربّعاً تقريباً، وبامتداد يصل إلى "2360" ميلاً، وهي مساحة تقارب حجم كُلٍّ من فرنسا أو ألمانيا أو كاليفورنيا، مع كثافة سكّانيّة كبيرة جداً، وهي بلاد جبليّة وبركانيّة وعُرضة

للزّلازل المُدمِّرة في آن واحد، وتجتاحها أمطار موسميَّة على شكل أعاصير، مُخلِّفة وراءها أضراراً جسيمة في الأرواح والمُمتلكات.

وإنَّ امتداد الحضارة اليابانيَّة عبر القُرُون هُو دُون امتداد الحضارة الصِّينيَّة (فاليابان لم تدخل فعلاً إلى مسرح التّاريخ إلاَّ في القرن الرّابع بعد الميلاد)، مع ذلك؛ فإنَّ تطور واقع المرأة قد مرَّ عبر مراحل ثلاث.

حُرِّيَّات:

لقد وجدنا توكيداً ثميناً لأطروحتنا هذه، في الصُّورة التّالية التي يرسمها اختصاصي: هُو في المُوضُوع حجة، للمراحل الثّلاث.

"كانت المرأة في فجر تاريخ اليابان تحتل مكانة بالغة الأهمِّيَّة في الدَّولة والمُجتمع، وقد احتفظت بهذه المكانة - التي ورثته ولا ريب عن مرحلة ما قبل التّاريخ - طيلة ألف عام.

لا يتَّسع المجال لرسم صُورة تاريخيَّة متكاملة عن تطور المُجتمع الياباني مُنذُ أقدم العُصُور حتَّى مطلع القرن التّاسع عشر..

وهُناك مئات الدّراسات المنشورة في هذا المجال، ونحن سنكتفي هُنا بإبراز السّمات الأساسيَّة لوضع المرأة الاجتماعي والقانوني مُنذُ طفق يتدهور ابتداءً من القرن الثّالث عشر الميلادي تحت تأثير الإقطاع المنتظر وآراء كونفوشيوس. وقد بلغ هذا الوضع أحط مُستوياته في القرنين السّابع عشر والثّامن عشر وفي المنتصف الأوَّل من القرن التّاسع عشر والتي شهدت بدايات الضّغط الأمبريالي الغربي على اليابان. وهي تضم التُّوحيد القومي

1568 ـ 1600 ومرحلة توكو غاوا 1598 ـ 1867 نسبة إلى هـذه الأُسـرة القويَّـة من السّاموراي التي ارتقى زعماؤها إلى قيادة الحكم المركزي المعـروف باسـم الشُّوغون وعرفت إدارتهم الحُكُوميَّـة باسـم بـاكوفو، أي طيلـة المرحلـة التـي انعزلت فيها اليابان عن بقيَّة العالم"[1].

العـزلـة:

شهد التّاريخ الياباني عدَّة مُحاولات توحيديَّـة سـابقة في إطـار الصّـراع علـى مركزيَّـة السّـلطة وتوسـيع دائـرة النّفـوذ بـين السّـلالة الإمبراطُوريَّـة والشُّوغون مـن جهـة، وبـين أُسـر قويَّة خاصَّة عـائلات فوجيـوارا وتـأثيرا وميناموتو من جهة أُخرى[2].

وتبنَّى الشُّوغون هيديوشـي سياسـة مناقضـة ـ إلـى حَـدٍّ كبـير ـ لسياسـة سلفه نابوناغا في التّسامح مع الإرساليَّات التّبشيريَّة المسيحيَّة.

فقـد حظـر الدِّيانـة المسيحيَّة مُنذُ العـام 1587، لكنَّـه لـم يتَّخـذ تدابـير صارمـة لمنعـها، علـى العكـس مـن ذلـك، فـإنَّ بعـض الوثـائق تُؤكِّـد وُجُـود مُستشارين مسيحيِّين داخل بلاطه، وأنَّ أحد أبنائه قـد اعتنـق المسـيحيَّة، وأنَّ عدد المسيحيِّين في أواسط عهده قد ارتفع إلى ما يزيد على ألفَيْ مسيحي[3].

لذلك؛ استمرَّ تدفُّق الإرساليَّات الأجنبيَّة إلى اليابان في المرحلة الأولى من حُكْمه، فإلى جـانب إرسـاليَّات الجزويت البرتغـاليِّيْن وفـدت إرسـاليَّات

---

(1) وضع اليابان في الإمبراطُوريَّة اليابانيَّة، يونتيه، ص 52.
(2) النّهضة اليابانيَّة، ص35.
(3) النّهضة اليابانيَّة، ص 46.

الفرنسيسكان الإسبان التي جاءت من الفلبِّين العام 1592، في وقت كان فيه الشُّوغون يقود حملة لاحتلال العالم. . دامت أكثر من خمس سنوات، تمتَّع فيها المُرسلون الأجانب بحُرِّيَّة شبه مُطلقة للتّبشير[1].

واتَّخذ الأب الكبير مرتينيز من كيوتو العاصمة مركز التّبشير عام 1596، وفي العام نفسه؛ تمَّ احتجاز باخرة إسبانيَّة مُحمَّلة بكميَّة من اللّيرات الذّهبيَّة لغزو اليابان عسكريّاً، وصادف الحادثة عودة الحاكم هيديوشي من حملته الفاشلة لاحتلال الصِّين، فأمر بصلب 26 من المُرسلين الأجانب وأتباعهم من اليابانيِّين، وكان بينهم 6 من الآباء الفرنسيسكان الإسبان، وثلاثة من الآباء اليسوعيِّين الفرنسيِّين، وهرب من اليابان ماية وعشرون من الآباء اليسوعيِّين، الذين توجَّهوا إلى مالاقا، فمُحصِّلة هذه الحملة إغلاق ماية وسبعة وثلاثين مدرسة وكَنيسة[2].

وخشي هيديوشي على عرشه بعد الحملة الفاشلة، فتخوَّف من الدّايميو المتنصرين، ونفوذ الإرساليًّا، والنّزاعات بينهم، التي بدأت تُهدِّد نظام القيم الاجتماعيَّة المبنيَّة على التّسامح التّامّ في المُعتقدات الدِّينيَّة، فأخذ بالحملة الاضطهاديَّة التي استمرَّت عاماً واحداً؛ إذْ تُوفِّي مُخلِّفاً وَضْعاً مُتفجِّراً على جميع المُستويات.

فتسلَّم الحاكم الجديد إياسوتوكو غاوا الحُكْم، وابتدأ متسامحاً في حُكْمه، وضمن القنوات الرّسميَّة على أسس نظم الحُكُومة، حتَّى انتهى

---

(1) النّهضة اليابانيَّة، ص 47.

(2) النّهضة اليابانيَّة، ص 47.

بعقد اتّفاقات مع الفلبّين بالتّبادل التّجاري، وإرسال صانعي السّفن، ثُمَّ تلتها اتّفاقات مع بريطانيا، وهولندا، وإسبانيا، وكُوريا، والصّين.. وغيرها، وبالمُقابل؛ تشدَّد نحو الإرساليَّات الكاثوليكيَّة، ثُمَّ سمح للمبشِّرين البروتستانت الألمان والإنكليز بالعمل التّبشيري، وأخذ في تصفية الكاثوليك، وبقي يتَّخذ سلسلة مستمرَّة من التّدابير الزّجريَّة ضدَّ الإرساليَّات الأجنبيَّة[1]، فطرد الجزويت من مُقاطعة موتسو، وكلَّف حُكَّام المُقاطعات باتِّخاذ تدابير صارمة ضدَّ الإرساليَّات التّبشيريَّة، حتَّى تُوفِّي في ظُرُوف غامضة، وكان معروفاً بدَعْمه القوي للدّيانة البُوذيَّة كديانة رسميَّة لليابان.. وبالغ البُوذيُّون بتقديسه، وإقامة معابد بُوذيَّة باسمه، ثُمَّ حظر الشُّوغون العلاقة مع الأجانب في البلد والدّيانة المسيحيَّة رسميّاً، ومنع الاتِّصال بالأجانب إلاَّ عن طريق الدَّولة، فبذلك؛ دخلت اليابان عُزلة طوعيَّة عن العالم[2].

والمرأة في قول بُوذا[3] (لا يُوجد شيء أعظم - فعلاً - في الإنسان من الاشتهاء والهواء الشّهواني، ولحُسْن الحظِّ والسّعادة لا يُوجد سوى اشتهاء شهواني واحد، ولو كان يُوجد اشتهاء آخر لما كان على وجه الأرض رجل يتبع الحقَّ، فاحترسوا من تحقيق بصركم في النّساء، وإنْ كُنتُم مُجتمعين معهنَّ، فاجعلوا اجتماعكم كأنَّكم غير حاضرين معهنَّ، وإذا كلَّمتموهنَّ فاحترسوا على قُلُوبكم)[4].

---

(1) النّهضة اليابانيَّة، ص47 - 48.

(2) النّهضة اليابانيَّة، ص48 - 49.

(3) وُلد بُوذا قبل المسيح بنحو 560 سنة في بلدة على حدود نيبال، وكان من أُسرة نبيلة، وفيها إمارة وكان هُو أميراً، وتزوَّج في التّاسعة عشرة من عمره، وبعد عشر سنين من زواجه المنعم في ظلّه، .. انصرف إلى الزّهد، مُقارنة الأديان، أبو زهرة، ص53.

(4) كتاب تقدُّم الأفكار الدِّينيَّة، مجلَّد أوَّل، ص228، (مُقارنة).

وقال: الرّجل العاقل الحكيم لا يتزوّج قطُّ، ويرى الحياة الزّوجيّة كأتون نار متأجِّجة، ومَنْ لم يقدر على العيشة الرّهبانيّة يجب عليه الابتعاد عن الزّنى[1].

المرأة والبُوذيّة:

إنَّ المرأة في عصر بُوذا لم تكن منعزلة، ونجده يتردَّد كثيراً في قبولها لتكون من أتباع دينه، وقد سأله مرَّة أحد خاصّته وصفيّه:

- كيف نعامل النّساء أيُّها السَّيِّد؟

- قال: لا تنظر إليهنَّ.

- وإذا اضطُررنا للنّظر إليهنَّ. .

- قال: لا تخاطبهنَّ.

- وإذا خاطبننا!

قال: إذاً؛ كُنْ على حذر تامٍّ منهنَّ.

وخاصّته هذا ابن عمِّه، ومن أنصار المرأة، فمازال يُلحُّ على بُوذا، حتَّى قبل ضمَّ النّساء إلى جماعته وأتباعه، على الرّغم من رؤيته الخطر على المُجتمع البُوذي، وقال مرَّة لصفيِّه: لو لم نضمّ المرأة لدام النّظام الخالص طويلاً؛ لأنّي أرى بعد دُخُولها بيننا لم يدم النّظام طويلاً.

---

(1) البُوذيّة، ريس دانس، ص103.

وقد أثر عن بُوذا قوله: (للنّظام بعد موتي أنْ يُغيِّر من سُننه ما يراه مُضراً لمقاصده وحياته)؛ أيْ أمر لأتباعه بطرد النّساء إذا رأوا منهنّ خطراً على الدّعوة[1]. وسُلُوك بُوذا يناقض حُبّ العمل..

وبعد عزلة اليابان الطَّوعيَّة عن العالم، وإعادة انفتاح الإمبراطُوريَّة على العالم الخارجي عام 1853، بدأ وضع المرأة يتحسَّن بالتّدريج، إلى أنْ أصبح متساوياً مع وضع الرّجل بدأ من عام 1947م[2].

الرُّوحانيَّة الشّمسيَّة المؤنَّثة:

لقد عرفت اليابان مُنذُ عُصُور حضارتها الأولى روحانيَّة السّيادة الشّمسيَّة المؤنَّثة، فالشّمس هي - في الواقع - آلهة. إنَّها السّلف الخُرافي للأُسرة الإمبراطُوريَّة، وتروي الأساطير الشّنتويَّة - ديانة يابانيَّة قوميَّة سابقة للبُوذيَّة مجَّدت الأسلاف وقوى الطّبيعة - أنَّ آلهة الشّمس أماتيرازو منحت أوَّل إمبراطُور امتيازات الحُكم وصلاحيَّاته.

لذا؛ لن نستغرب الدَّور الهامَّ الذي أدَّتهُ الإمبراطُوريَّات، ولا عدد الوصايات والعُهُود النّسويَّة، ولا سيما في القرنَيْن السّادس حتَّى الثّامن بعد الميلاد.

ويدين المُجتمع الياباني بجُزء من تألُّقه في عصر سُطُوعه في القرنَيْن العاشر والحادي عشر للمكانة الرّفيعة التي كانت تحتلُّها المرأة آنذاك، فالمرأة ولا سيما المنتمية إلى الطّبقة الأرستقراطيَّة ارتقت في ذلك العصر إلى مُستوى

---

(1) مُقارنة الأديان، د. شلبي، بحث العلامة: راد هاكر شنن، نائب سابق لرئيس جمهوريَّة الهند.

(2) وضع اليابان في الإمبراطُوريَّة اليابانيَّة، أ. غوتيته رجته، 1959.

عالٍ في ميدان الثّقافة والأدب، إنّه العصر الذي أقدمت فيه ساي سوناغون علىٰ كتابة ملاحظات الوسادة وموراكازي شيكيبو روايتها قصّة جنجي، ولم تكن الأعمال الشّعريّة النّسائيّة غائبة، التي كانت تتغنّى بالنّسيج والأشغال والحُب[1].

الحرّيّات في المرحلة الإقطاعيّة الأولى:

لم ينل العصر الإقطاعي في بداياته؛ لا من مكانة المرأة، ولا من وضعها القانوني. فقد ظلّت المرأة تمارس - لفترة من الزّمن - نهاية القرن الثّاني عشر والقرن الثّالث عشر بعض التّأثير على الحياة العامّة. فأدب هذا العصر يدين لها بالعديد من المؤلّفات، كذلك مسرح النّو (شعري يجمع بين الغناء والرّقص والموسيقى)، وكذلك إنشاء الكابوكي أيضاً، وهُو ضرب مسرحي ياباني يتناوب فيه الحوار مع التّرتيل والغناء ورقص الباليه. (وإنْ حُظر على المرأة فيما بعد).

وكانت الحياة الدّينيّة - هي الأُخرى - تفسح أمامها مجالاً واسعاً لممارسة نفوذها، كان - آنذاك - عصر انتشار البُوذيّة الواسع.

أخيراً؛ ثمّة طريق جديدة ومُرشّحة لمستقبل طويل فُتحت أمام الكَهَنُوت النّسائي، ففي نهاية العصر الإقطاعي الأوّل؛ ازدهرت عبادة الزّهُور وعبادة شجرة الكرز وفنّ الحدائق والباقات، وكذلك حفلات الشّاي[2].

---

(1) تطوُّر الوضع النّسوي من بداية الحضارة إلى يومنا هذا، مونيك، ص 53.

(2) المرأة عبر التّاريخ، مونيك بيتر، ص53.

التّصلّب في الكونفوشيّة الجديدة:

إنّ الكُونفُوشيّة[1] الجديدة التي كانت تعيث فساداً في الصّين سرعان ما اجتازت الحدود، وانتشرت في اليابان، ووجدت في المُجتمع الإقطاعي مجالاً ممتازاً بالنّسبة إليها: حُسْن تسلسل المراتب، صرامة الانضباط، ناموس شرف السّاموراي، ـ شرف المقاتل لا الفارس ـ الوفاء حتّى الموت، إجلال الأجداد، احترام الأبوَيْن، الإخلاص للملك أو للسيّد الإقطاعي[2] . . .

وقد بلغ رواج أفكار كُونفُوشيوس أوجه في بداية العصر الإقطاعي الثّالث، الذي جاء بعد قرنَيْن من الحروب الأهليّة.

فقد أصيبت اليابان بالجموديّة في ذلك العصر ـ الطّبقات الاجتماعيّة الخاضعة لتَسَلْسُلِيَّة صارمة ـ انطوت كُلّيّاً على نفسها، والبنى الأبويّة ازدادت ترسُّخاً (امتيازات الابن الأكبر. . إلخ).

وخيّمت سحابة ثقيلة الوطأة على المرأة اليابانيّة، التي خضعت ـ بدورها ـ لمتطلّبات التّربية الطّقوسيّة. وطُبّق على المرأة قانون الطّاعات الثّلاث:

1 ـ قانون الصّمت.

2 ـ قانون الانزواء.

---

(1) الكُونفُوشيّة: هُو اسم صيني مشهور ـ كُونغ فُوتس ـ وفُوتس تعني الحكيم، وكُونغ هُو من أُسرة عظيمة نسبها إلى فرع مَلَكي، وكان أبوه حاكماً وقائداً عظيماً، مات وابنه في ثلاث سنوات، فكبر، وتعلّم آراء الأقدمين، وسار في عُرُوقه دم نبيل من أُسرة سامية، فاتّجه إلى معالي الأُمُور، وإلى نفس العطوف المتواضع المحبّ، منادياً بالفضيلة، مُقارنة الأديان، أبو زهرة.

(2) المرأة عبر التّاريخ.

3 ـ قانون التّفاني .

فالمرأة تخدم زوجها وسيِّدها ، ولا تتناول طعامها معه ، وتخصُّه بأشهى الأغذية ، ولا تسير بمحاذاته أبداً .

وقد اشتدَّت هيمنة الأُسرة ، وسيطر الرّجل على المرأة ، وأحكم القبضة عليها من زيجات مدبَّرة للفتاة كما للصّبي ، وبالعكس .

ومن تسهيلات مُتعاظمة أمام الطّلاق ، دُونما إلزام في مُعظم الأحيان بأيٍّ تعويض مادّي .

وإرغام الزَّوجة بتحمُّل وُجُود الخليلة إنْ لم تُنجب وريثاً ذَكَراً ، نظراً إلى أنَّ الوريث الذَّكَرَ هُو الحلقة التي لا غنى عنها لضمان استمرار عبادة الأجداد .

وأخيراً ؛ السّيطرة المألوفة لزوجة الابن البكر على كنَّتها تنفيساً عن كَبْتها أُسوة بالوضع السّائد في الصِّين .

بيد أنَّ المرأة اليابانيَّة لم تكن سجينة الحريم ، وقد ظلَّت تجد في الدِّين البُوذي ـ بشكل خاصٍّ ـ مُتنفَّساً لبحثها عن حياة شخصيَّة .

وقد حافظت التّربية الطّقوسيَّة ـ من جهة أُخرى ـ على جزء من التّربية التّقليديَّة ، وهكذا بقي الشّعر والموسيقى من صلب التّعليم المُوفَّر للفتيات[1] ، [2] .

لكنْ ؛ أمام زوجات صامتات ومنعدمات الشّخصيَّة كان لابُدَّ أنْ تصدر عن الرّجال ردود فعل محدودة ، وهكذا عُهد بفنّ الحياة لجهة نسائيَّة أُخرى ،

---

(1) تطوُّر الوضع النّسوي من بداية الحضارة ، ترجمة عبُّودي .
(2) النّهضة اليابانيَّة .

عُهد بها إلى الجيشا. والواقع من الصّعب أنْ نجد مَحْظيّات حصلنَ مثل جيشا اليابان على ذلك القسط من الثّقافة المرهفة، ولعبن دوراً بمثل تلك الأهميَّة، فكُلُّ ما يُصنَع من سحر الحضارة ومن ظَرْف ورقَّة وتفنُّن في المحادثة وحُبّ وموسيقى ورقص كان - في الواقع - من صُنْع مُجتمع نسوي هامشي، حلَّ مكان اللَّواتي ضُنَّ عليهنَّ بحُرِّيَّة التّصرُّف والحُبّ نتيجة تصوُّر ضيِّق للواجبات "الجبريَّة"[1].

عتق المرأة اليابانيَّة:

انفتحت اليابان - أخيراً - للتّأثيرات الخارجيَّة في عصر ميجي عام 1868 - 1912، وتحسَّن وضع المرأة بسرعة.

فقد أصبح التّعليم إلزامياً مُنذُ عام 1872م، وفُتحت المدارس الابتدائيَّة أمام الفتيات والفتيان على حدٍّ سواء، ثُمَّ تلت افتتاح ثانويَّة للبنات في طوكيو بنفس العام، وبدأت تتبلور الملامح الأوَّليَّة لحركات نسائيَّة، وقد أدخل قانون 1898م، بعض التّحسينات على وضع المرأة، لكنَّه لم يمسّ قانون الأُسرة، فحُرِّيَّة المرأة في تقرير مصيرها بالنّسبة إلى الزَّواج لم تكن واردة وموافقة الأب ظلَّت هي الأساس.

كان لابُدَّ من انتظار دستور 1947م، لتسجيل تطوُّر سريع في صيرورة عتق المرأة تحت التّأثير الأمريكي، لكنْ؛ من الصّعب الشّطب بجرَّة قلم على عادات عمرها عديد من القُرُون. فسيطرة الأُسرة - مثلاً - قد بقيت قويَّة

---

(1) المرأة عبر التّاريخ، مونيك بيتر، 54.

للغاية، ففي عام 1968م، أُجري تحقيق في كُلِّيَّة طوكيو للحُقُوق قد طرح على الطَّلبة سؤالان:

الأوَّل: هل ترغبون في زواج يتمُّ بملء حُرِّيَّتكم؟

الجواب: نعم/ بنسبة 90٪.

الثَّاني: ما هي فُرصتكم في تحقيق هذه الرَّغبة؟

الجواب: ما من فُرصة بنسبة 90٪ أيضاً.

إنَّ إجابة السّؤالَيْن كانت من الذّكور بنسبة 75٪، مع ذلك؛ فإنَّ ترقية المرأة في اليابان الحديثة والمتطوِّرة ليست موضع شكٍّ، على الرّغم من الصُّعُوبات التي ماتزال بحاجة إلى تذليل.

إحدى مُشكلات المرأة اليابانيَّة تُشبه مُشكلتنا نحن، ضرورة إيجاد مكان لائق بها في مُجتمع تقني وصناعي، بيد أنَّها تبقى مطالبة بأمر خاصٍّ بها، مساعدة حضارة متطوِّرة ومُتقدِّمة على عدم فقدان روحها[1]، [2].

المرأة في الصِّين:

ـ لمحة تعريف:

فكْر الصِّيني وعقله القديم كنزٌ مدفونٌ في أحقاب التّاريخ، لا يعرف الغربيُّون ومَنْ داناهم شيئاً منه، حتَّى خُيِّل إليهم أنَّ تلك الأُمَّة القديمة ليست

---

(1) المرأة عبر التّأريخ، مونيك بيتر، 55.
(2) النّهضة اليابانيَّة.

لها فلسفة، ولا لون خاصّ من ألوان الفكر الإنساني، ولا منهج خاصّ من مناهج السُّلُوك لبُلُوغ الغاية السّامية في طريق الخير، وما كان ذلك الخفاء إلاَّ لصُعُوبة الوُصُول إلى تعرُّف ماضي تلك الأُمَّة، فاللُّغة الصِّينيَّة عسيرة، ليس من السّهل معرفتها، والتّراجم عنها ليست كاملة الصّحَّة، ولا تامَّة التّصوير لمعاني ما اشتملت عليه بسبب تلك الصُّعُوبة، ولكنّ تلك الغشاوة لم تلبث أنْ أُزيلت، وكشفت الإرادة الإنسانيَّة ودأب العُلماء وحرصهم على طلب المعرفة ولو بالصِّين عن الفلسفة والعقل الصِّيني والنّفس.

ولقد استبان ممَّا كشفوا عنه أنْ امتازت به النّفس الصِّينيَّة أنَّها أقدر النّفوس على تحويل النّظريَّات الخُلُقيَّة إلى أخلاق عمليَّة، ففلسفتها تقوم على السُّلُوك القويم للإنسان، وهي عمليَّة في هذا المعنى أكثر منها نظريَّة. فحكَم الحُكَماء ووصاياهم ونظريَّاتهم الفلسفيَّة هي أعمال الشّعب في سُلُوكه ومنهاجه.

لهذا؛ بلغت الأخلاق عند الصِّينيِّين درجة أدهشت العُلماء عندما تعرَّفوها، وعلموها، لذا؛ شدَّ المبشِّرين حكَم ووصايا الصِّينيِّين وآراؤهم الخُلُقيَّة السّامية، وعليه؛ قرَّروا أنَّه لابُدَّ أنَّه بُعث فيهم رُسُل[1].

فليس عندنا نحن المسلمين من مانع يمنع من قبول هذا الظّن الذي ظنَّه المبشّرون المسيحيُّون بمُقارنة الوصايا والحكَم الصِّينيَّة بالتَّوراة والإنجيل؛ لأنَّ الإله - سبحانه وتعالى - الحكيم العليم الرَّؤوف الرّحيم لا يترك أولئك الجماعات الكبيرة من البشر من غير هاد يهديهم إليه، ورسول معلّم، وإنْ

(1) الدّيانات القديمة، أبو زهرة، 80.

كنَّا نحن المسلمين لا نعرف رسولاً من هؤلاء الرُّسُل، ولم يُبيِّن لنا القُرآن الكريم كُلَّ الرُّسُل لقوله جلَّ من قائل ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾[1].

لذلك؛ نحن المسلمين لا نقف موقف السّلب من دعوى المسيحيِّين أنَّ رُسُلاً بعثوا في الصِّين، ولكنْ؛ ليس لدينا خبر يقيني، ودعوى ذلك لا تخلو من الحدس والتّخمين لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ الآية[2].

بيد أنَّ الفلسفة في الصِّين لم تتجافَ عن الدِّين، ولم تنأ عنه، مع أنَّكَ تعلم أنَّ الدِّين كان قائماً على الإشراك، والفلسفة قائمة على الأخلاق القويمة، ومع ذلك؛ تلاقيا، وسار التَّديُّن مع الفلسفة سيراً متَّزناً مُحكَماً؛ لأنَّ الفلسفة الصِّينيَّة قامت على تنظيم السُّلُوك الإنساني، وإصلاح الأخلاق العمليَّة، وهُنا؛ التقت بدينهم من ناحية ما يدعو إليه من حُسْن المعاملة بين النّاس، فاتَّخذوا الأخلاق الفاضلة مذهباً في السُّلُوك القويم، وديناً تدعو إليه الآلهة في زعمهم، فكان للأخلاق دعامتان قويَّتان:

الأولى: قائمة على الفلسفة والعقل والمنطق.

الثّانية: قامت على دينهم.

وبهذا؛ كان المزج المُحكَم بين فلسفة خُلُقيَّة سُلُوكيَّة قديمة، ودين ليس له أصل قويم ومنطق مستقيم على أتمّ وضوح في الكونفوشيوسيَّة، وصاحبها كُونفُوشيُوس "كُونغ فُوتس" فُوتس: "الحكيم المُعلِّم".

---

(1) القُرآن الكريم، سورة غافر، آية: 78.

(2) القُرآن الكريم، سورة يونس، آية: 36.

ومن هُنا؛ نرى حضارة الصِّين تبرز على نحو ملحوظ الإيقاع بثلاث مراحل في واقع التّاريخ النّسوي، ففي:

1 ـ العُصُور القديمة كانت المرأة تتمتَّع بمكانة مرموقة.

2 ـ مرحلة العُبُوديَّة المُتفاوتة الطُّول.

3 ـ مرحلة الانعتاق المتدرِّج الحتمي، بعد مرحلة العُبُوديَّة الطُّويلة.

المرأة الصِّينيَّة أُمّ:

في الصِّين القديمة وفي قلب مُجتمعاتها القائمة على الزّراعة في قُرُون قبل الميلاد كان ـ ومايزال ـ البيت الرِّيفي شيئاً نسوياً، فالرّجل نادراً ما كان يدخل إليه؛ لأنَّ أثاث البيت مكوَّن من مهر المرأة، والقرية ذاتها ملك للنّساء، والآلهة التي كانت ترعاها وتحميها كانت أمّ الضّيعة[1]، والنّساء كُنَّ يُبقينَ الحُبُوب في البيت لمقدرتهنَّ على التّخزين، وقُوَّة الإنبات فيه.

هذا؛ والبُنُوَّة بقيت لفترة طويلة من الزّمن أُمُوميَّة، فخلافة السّادة والأمراء كانت تتمُّ عن طريق الأصهار، وظلت هذه القاعدة سارية المفعول حتَّى بعد أنْ أصبحت البُنُوَّة أبويَّة بسبب نظام مُعقَّد من الزِّيجات بين الأنسباء، بل أكثر من ذلك، عندما أصبح الابن يخلف أباه، باحتفال رمزي تنتقل السّلطة من الأب إلى الابن بواسطة قريب من طرف الأُمّ/ شقيقها، أو ابن شقيقتها.

(1) الحضارة الصِّينيَّة، غرانيه، 1968.

والنّسوة كُنَّ يلعبنَ دوراً أساسيّاً في الاقتصاد الزّراعي والحياكة، وهذان الصّنفان النّقيضان في الإنتاج هما الفئتان من الينغ واليانغ[1].

تدهور حقّ المرأة الصّينيّة[2]:

إنَّ تفوُّق الفلاَّح الصِّيني على الحائكة المَدَنيَّة الصِّينيَّة وتوجّه الأخوة الذُّكُور نحو الاهتمامات السِّياسيَّة.

وتطوَّرت إيديُولُوجيَّة دينيَّة ذُكُوريَّة في ماهيَّتها.

ثُمَّ جاءت البنى الإقطاعيَّة والتّنظيم الأبوي يفرضان:

1 ـ ترتيباً تسلسليّاً.

2 ـ قواعد قَسْريَّة.

يعني: سلطة ربّ الأُسرة المُطلقة؛ أيْ بمعنى: له الحقّ في رفض ذُرِّيَّته بقَتْلها، أو التَّخلِّي عنها عند الولادة، أو المبيع.

وكان شائعاً بيع الفتيات نسبيّاً، والأب له الحقُّ في التّزويج، وحلّ قيد الزَّواج إلى ما هُنالك من أُمُور.

هذا؛ وقد قادت امتيازات الابن البكر إلى إحاطة زوجته الأساسيَّة بامتيازات مُماثلة، وإلى مُمارسة سيطرة على الزَّوجات الأخريات، وكذلك على زوجات أشقَّاء زوجها، والاستبداد الذي تمارسه بحقِّ الكنائن.

---

(1) الحضارة الصِّينيَّة، غرانيه.

(2) الحضارة الصِّينيَّة، غرانيه.

وقد أدّى انتشار نظام تعدُّد الزَّوجات إلى فَرْض شُرُوط مهينة ومذلَّة؛ منها: إرغام سائر الشّقيقات في الأُسرة الواحدة على الاقتران بزوج واحد..

وفي هذا المُجتمع المتراصّ البنيان، نمت أخلاق أُفُقيَّة أخضعت فيها العلاقات بين الرّؤساء والمرؤوسين لقوانين فائقة الدّقَّة والصّرامة. وحدَّدت فيها آداب السُّلُوك سائر الحَرَكَات والتّصرُّفات. وما من أمر من أُمُور الحياة الخاصَّة والعامَّة إلاَّ وكان يخضع لطُقُوس دقيقة، كذلك الصّحَّة الجنسيَّة ـ بدورها ـ خاضعة لقوانين صارمة، ولم يُلاحَظ أيّ احتقار للسّرّ النّسائي، فالينغ له طاقاته الخاصَّة، التي تُساهم في نظام الكون.

عُبُوديَّة المرأة الصّينيَّة:

أُخضعَتْ المرأة الصّينيَّة لقانون الطّاعات الثّلاث:

1 ـ أنْ تطيع والدها وهي طفلة، ومُنذُ طفولتها المبكّرة كانت الفتاة تترعرع على شُعُور دُونيَّتها المُطلقة، فكانت مُطالَبَة بالصّمت والانزواء؛ لتكون كالظّلّ والصّدى في البيت، وعندما تبلغ العاشرة، كانت تُسجَن في البيت، ولا تغادره.

2 ـ أنْ تطيع زوجها عندما تُصبح زوجة.

3 ـ أنْ تطيع ابنها إذا ما ترمَّلت[1].

كانت الأيديُولُوجيَّة السّماويَّة في التّربية الطّقوسيَّة التي حدَّدت أصولها مجموعة من المثقّفين أنْ تعزّز مفهوم تفوُّق الذّكَر.. فعندما تولد الفتاة كانت

---

(1) نهاية الألف الثّاني قبل الميلاد.

تُوضَع على الأرض تحت السّرير لمدّة ثلاثة أيّام على التّوالي للتّأكيد على طبيعتها الأرضيّة.

وعندما تشبُّ الفتاة، كانوا - دائماً - يذكّرونها بالمثل القائل: "الرّجل بالنّسبة إلى المرأة كالشّمس بالنّسبة إلى القمر، فهُو يقود، وهي تتبع، وهكذا يسود الانسجام" أو بالمثل القائل: "الزّوج هُو سماء المرأة، وبما أنّ السّماء فريدة فإنّ المرأة لا تستطيع أنْ تحصل على أكثر من زوج واحد". ولمّا كانت السّماء تعانق الأرض برُمّتها، فإنّ الزّوج كان مخوّلاً حقّ امتلاك عدّة زوجات وخليلات، كما حدّدته التّربية الطّقوسيّة، وكان يحقّ للملك - بصفته ابن السّماء - أكبر عدد من النّساء، ثُمّ يأتي الوزراء.. إلخ.. من الرّموز والإقطاعيّين، لكنْ؛ في ظلّ الإمبراطُوريّة حصلت تجاوزات للأرقام المُباحة رسميّاً.

إنّ شطط الطّقوس الذي اجتاح المُجتمع الصّيني بأكمله كان يُشكّل قاعدة الشّعائر الدّينيّة، والتّقيُّد بالطّقوس هُو الذي كان يحافظ على النّظام الكَوني، فالدّين كان في خدمة المجموعة، ولم يكن له أيّ قيمة بالنّسبة إلى الفرد، ومَنْ كان يجد فيه مجالاً للتّفتُّح العاطفي والفكري كان موضع ذم وملامة.

وضع المرأة الاجتماعي في الصّين:

وجدت المرأة الصّينيّة في محبسها متّسعاً من الوقت لتنمية مواهبها الموسيقيّة والشّعريّة، والأدب النّسوي الوفير يشهد على حياة داخليّة غنيّة عوّضت المرأة الصّينيّة عن رتابة حياتها اليوميّة.

بيد أنَّ الزَّوجة الشّرعيَّة لم تحصل ـ مع ذلك ـ عن طريق الأدب على نفوذ ونجاح المغنِّيات والرّاقصات، اللَّواتي أدَّينَ في الصِّين الدَّور الذي تؤدِّيه سائر المَحظيَّات في الحضارات التي لم تمنح المرأة مكاناً في المُجتمع، والتي جعلت منها أسيرة بيتها.

والمرأة المنتمية إلى الطّبقات الفقيرة كانت تُفلتُ ـ جزئيَّاً ـ من قانون الطّقوس، لكنَّها تخضع للتّقاليد، التي كانت لها ـ هي الأُخرى ـ مقتضياتها، وكان زواجها مُجرَّد اتِّحاد، بيد أنَّه كان يتميز بأُحاديَّته.

وأخيراً؛ كانت النّساء الإماء عديدات في القصور، وكُنَّ يعملنَ مع المخصيِّين في خدمة الزَّوجات والخليلات والتّابعات. ولقد أبت قسوة القدر أنْ تصيب المرأة الصِّينيَّة في طفولتها بفرض عصب قدماها لمنع نُمُوِّها تقليداً لراقصات خلبنَ لبَّ إمبراطُور في القرن العاشر قبل الميلاد بحركاتهنَّ المدهشة وبأقدامهنَّ التي عُصبت أطرافها بالحرير، ومن وراء هذا نهر من آلالام الطّفوليَّة للفتاة[1].

عتق المرأة الصِّينيَّة من العُبُوديَّة:

مُنذُ القرن الثّامن عشر، ومن قِبَل الرّجال أنفسهم أُعيد النّظر في تقليد الأقدام المعصوبة البربري.

وفي القرن التّالي؛ بدأت تتكوَّن حركة تحرُّر المرأة الصِّينيَّة، التي انطلقت ـ بسرعة ـ في بداية القرن العشرين.

---

(1) الحضارة الصِّينيَّة، غرانيه.

وخلال ربع قرن من الزّمن؛ حصلت المرأة الصِّينيَّة على مكاسب مذهلة، مدارس ابتدائيَّة مُنذُ عام 1903، تحوّلت - بسرعة - إلى مُختلفة، ثُمَّ مدارس ثانويَّة وجامعات نسائيَّة.

وقد توالت القوانين بسرعة، ولاسيما بعد ثورة 1911، وسقوط الإمبراطُوريَّة.

فقد أُلغي نظام تعدُّد الزَّوجات، وحُرِّمت الدّعارة وتجارة الرّقيق، إلى ما هُنالك من أُمُور القهر.

واستردَّت المرأة الصِّينيَّة حُرِّيَّتها وامتيازاتها القديمة، كالحصول على الثّقافة، والقيام بنشاطات خارجيَّة، وامتهان القيادة الذُّكُوريَّة.

لقد قطفت صين "ماو" زهوراً تفتَّحت في حقل تحرُّر المرأة، لكنَّها أضافت إليها أُخرى، قانون 1950، الذي قلب قانون الأُسرة رأساً على عقب، كما أضافت إليها تلك الجذوع المشدودة والمتماثلة التي تمثِّل المنتجات.

ومن هُنا؛ نطلق حُكْماً على مصير المرأة الصِّينيَّة في ظلّ الثَّورة بأنَّها ستهدي إلى اكتشاف طريقها بعد مظاهر متناقضة من الشّطط إلى توازن بين العتق وانعدام الشّخصيَّة[1].

---

(1) حضارة الصِّين، غرانيه.

الفصل الخامس:

حقُّ المرأة في اليُونان القديمة

المرأة في اليُونان:

- لمحة وتعريف:

الحضارة اليُونانيَّة بدأت مع ولادة تاريخ الغرب.

فبين الشّرق والعالم الجديد الذي هُو قيد التّكوين، انحفرت هوَّة سحيقة على أكثر من صعيد: سياسيّاً واجتماعيّاً ودينيّاً وفلسفيّاً.

وقد أنجزت روما بمُؤسَّساتها القويَّة والمسيحيَّة بثورتها الأخلاقيَّة وجه حضارة الغرب.

وبشكل عامٍّ؛ وإذا ما اكتفينا بصُورة بيانيَّة مبسَّطة، نستطيع أنْ نقول: إنَّ وضع المرأة سيكون في تناقض وتعارض مع سوابقه الشّرقيَّة.

إنَّ وضعها العائلي والزَّوجي سيكون أكثر كرامة، لكنَّ وضعها القانوني سيكون بالمُقابل أشدّ قسوة.

إنَّ اليُونان القديمة أرض النّزعة الإنسانيَّة، التي منها انطلقت الأناشيد المتغنِّية بالإنسان والحُرِّيَّة لم تعرف - في الواقع، بفعل مفارقة غريبة - كيف

تمنح المرأة في مراحل تاريخها البارزة مكانة تنسجم مع مثلها الأعلى الدِّيني والأدبي، فعلى الرّغم من مقدّمات تبشّر بوضع أفضل، فإنَّ عالماً ذكورياً هُو الذي تطوَّر على نحو يصحُّ وصفه بالشّراسة.

وكانت الحاضرة اليُونانيَّة في العصر الكلاسيكي تبدو وكأنَّها نادٍ ضخم للرّجال لا تدخله النّساء.

لقد كانت المرأة المقصيَّة في خدْرها والمعاينة من وصاية دائمة تتمتَّع بالتّقدير، لكنْ؛ بالقليل القليل من الحُقُوق، ولم يكن الحبُّ محصوراً عندها بالإطار الزَّوجي.

لكنْ؛ في اليُونان، كان كُلُّ شيء قابلاً للتّحسين، بما فيه الآلهة، وبالتّالي؛ حقّ المرأة، وهكذا أُعيد النّظر في هذا الحقّ مُنذُ القرن الخامس قبل الميلاد، وسرعان ما أزفت ساعة العتق، لكنَّ ثمَّة مفارقة جديدة تبرز هُنا:

ففي الوقت الذي كانت المرأة اليُونانيَّة تُسجّل تحسُّناً خجولاً في وضعها.

كانت الهلنستيَّة في روما من عوامل تحرُّر المرأة!! تناقضات عجيبة توجب الكشف عن كنهها.

مرَّة أُخرى في تطوُّر حضارة تنبسط المغامرة النّسويَّة على مراحل ثلاث مميزة:

1 ـ نفوذ وحُرِّيَّة.

2 ـ صرامة القوانين والبنى.

3 ـ ازدياد العالم أفكار ورحاب، هُو زمن ـ دوماً ـ مُؤات للمرأة[1] .

العشيرة:

إنَّ البنى الاجتماعيَّة لدى الرُّعاة العائلة الكبيرة (العشيرة) من الآباء والأبناء والمساعدين العبيد والخدم تلتفُّ حول رئيسها .

هذه العائلة الكبيرة المميّزة للشُّعُوب الهنديَّة الأوروبيَّة تُدعى جينوس عند الإغريق، والعشيرة في روما، والسّيب لدى الجرمانيّين .

للمرأة مكانتها في قلب هذا المُجتمع، فهي تحظى بالسّلطة، وتنال علامات الإجلال والوجوه الخالدة التي تقدِّمها الإلياذة والأوزيسة والرِّينة ملكة الفياقيّين النّبيلة، إلاّ أنّها كانت تتناول طعامها بمعزل عن الرّجال، مع أبنائها الصّغار والخَدَم، لكنْ؛ ما أنْ تنتهي من ذلك حتّى كانت تعود هذه المرأة (الملكة) إلى مجلسها، مجلس الأعيان مع زوجها، وإليها يرفع الاسترحام من الضّيف .

هذا؛ وإنَّ المشاعر الغراميَّة تُعبِّر عن نفسها في الملحمة بصدق مؤثِّر وأصيل، والحبُّ الجامح لا يتنافى مع الحياء .

وأخيراً؛ نشير إلى أنَّ هذه الحضارة الأبويَّة لم تقض على كُلِّ أثر للأمومي الذي سبقها، وتبدو هذه الآثار واضحة في سمات الأسطورة، وكذلك في بعض المخلّفات التّاريخة، مثل أوليس ورث اسمه من جَدِّه لأُمِّه، وكانت الوراثة عن طريق الأصهار موْضُوعاً شائعاً، وإذا فقدت

---

(1) حضارة اليُونان القديمة .

المملكة من الرّجال لن تعود إلى الأبناء إلاّ بزواج الملكة. والنّسب إلى الأُمّ كان مايزال قائماً في العصر التّاريخي عند اللّيقيّين واللّوقريّين[1].

القسوة والصّلابة:

هذا المُجتمع الإغريقي الأوّل والمتألّق اختفى في زوابع نهاية الألف الأوّل قبل الميلاد، بعد انقضاء فترة وجيزة على حرب طروادة. وقد اجتاحت شبه الجزيرة الإغريقيّة وحتّى جزيرة كريت قبائل هنديّة أوروبيّة جديدة؛ من بينها قبائل الدّوريّين القُساة. ولا شكّ في أنّ حقّ المرأة قد سجّل تراجعاً في ذلك العصر، وقد جلبوا مع متاعهم كمقاتلين العلاقات الشّاذّة بين الذُّكُور، وهذه العلاقات لها تأثيرها العميق على مفهوم الإغريق للحُبّ وصُور ازدراء المرأة.

ومن واقع التّصلّب فتح شاعر ريفي الأبواب على مصراعَيْها أمام أدب مُعاد للمرأة، فالمرأة بليّة من عند الآلهة للتّوكيد أنّ المرأة الأولى هي وجه النّحس!! إنّها النّكبة المتوارية خلف المظهر الجذّاب المنحطّ انحطاط الأرض، الأُمّ القديمة، وعلى تفوّق إيديُولُوجيّة الذُّكُور[2].

المرأة في أثينا:

إنّ أثينا وسبارطة كانتا على اختلاف جذري في تصوّرهما لدور المرأة. ولم تكن المُدُن اليُونانيّة الآسيويّة تشارك أيّاً منهما تصوّرها؛ إذْ تطوّرت هي

---

(1) تاريخ حضارة اليُونان.

(2) المرأة عبر التّاريخ.

الأُخرى على نحو مغاير، بالإضافة إلى اختلاف طبقة من طبقة، لكنَّ وضع المرأة في أثينا يرتدي قيمة إشعاع الحاضرة الكُبْرَى، ولدورها في قيام الحضارة الغربيَّة.

كانت الأُسرة الأثنيَّة تعلِّم الجيران بوضع على باب الدّار خيط صوف إشارة بولادة بنتاً، وإكليل زيتون لولادة ذَكَر، وكان خيط الصُّوف يرمز إلى حياة العمل الوضيع التي تنظر الفتاة والإكليل إلى المُستقبل الباهر الذي تنظره الأُسرة للصّبي.

هذا؛ وكان الوليد يُوضَع في وعاء فخَّار، ويُترَك في المزبلة العامَّة، لإعطائه فُرصة البقاء على قيد الحياة لحقّ ربّ الأُسرة أنْ يرفض ذُرِّيَّته. وهذه العُبُوديَّة كانت مصير اللُّقطاء عموماً. أمَّا بالنّسبة إلى الفتيات؛ فقد كُنَّ يلتقطنَ - أحياناً - من قبَل دُور خاصَّة تُعدُّهنَّ ليُصبحنَ محظيَّات، وهُنَّ الضّحيَّات المُفضَّلات لهذا الهجر..

هل كانت الأُمّ تُستشار عندما تُنتزَع منها ثمرة انتظارها وآلامها؟ فكم من دموع ذُرفَتْ، وبقيت مجهولة وقلب تقطَّع إلى الأبد؟

أمَّا الإجهاض؛ فكان مُباحاً إذا قرَّره الأب "ربّ الأُسرة"، أمَّا إذا أجهضت المرأة نفسها بقرار ذاتي؛ عُرِّضَتْ للمُعاقبة وكُلّ مَنْ آزرها.

إنَّ هذا التّمييز بين الإجراءين بليغ الدّلالة[1]، فالإجهاض في العُصُور القديمة لم يكن يُعاقَب بصفته انتهاكاً لحياة صغير، إنَّما لانتهاك سلطة الأُبُوَّة.

---

(1) حضارة اليُونان، ويُراجَع كذلك في الحُقُوق المسماريَّة.

إنَّ الدّار المُخصَّصة للنّساء لم تكن المرأة تجرؤ في طفولتها وبُلُوغها أنْ تغادر دار الحريم لانتظار المهامِّ العديدة؛ من غسيل، وغزل، ونسج الصُّوف، وخياطة الثِّياب، إلى صُنع الأغطية، والاعتناء بالمرضى من العبيد، والعمل في الحُقُول، وتربية المواشي، وخدمة الدّار، والامتثال لربِّ الدّار.

المرأة في شُؤُون التّعليم:

كانت الفتاة تخصُّ في التّعليم ما تحصِّله من أُمِّها الذي قد تمنحها إيَّاه من متاع واهن في الواقع، ومحصور أكثر ممَّا ينبغي بالشُّؤُون المنزليَّة؛ بحيثُ لا يُتيح للمرأة أنْ تُصبح رفيقة حقيقيَّة لزوجها.

المرأة في شُؤُون الأحوال الشّخصيّة:

ليس للفتاة حقُّ اختيار الزَّوج، وللأب الالتزام في احتفال الخُطُوبة الرّسمي، وعلى صعيد القانون تبقى قاصرة طُول حياتها، ومع الزواج؛ تنتقل من وصاية إلى وصاية، من الأب إلى الزَّوج، فإلى الابن الوصي إذا ما ترمَّلتْ، إلاَّ أنَّه يحقُّ لها الاهتمام بإدارة بيتها، وأنْ تقوم بمُفردها ببعض الأعمال القانونيَّة.

كان باب الطّلاق مفتوحاً أمام المرأة، بحقِّ رفع شكوى إلى الأرخونت؛ أيْ "الوالي" حامي القصر، غير أنَّ هذه الخُطوة كانت تنال من سُمعة ومكانة مَنْ تقدَّم عليها، ويبدو أنَّها لم تكن لتقبل أساساً إلاَّ في حال تعرُّض المرأة للضّرب والقسوة والعُنف الجسدي.

وللزّوج حقّ طلاق زوجته لجملة من الأسباب، وحتّى لأتفهها، إلاّ أنّه مُقيَّد لهذه الحُرِّيَّة بفرض إلزامه بإعادة المهر لها[1].

الفتاة بلا شقيق:

حالة خاصّة في القانون اليُوناني لليتيمة بلا شقيق ليرث. .

فلمًا كانت لا تستطيع أنْ ترث شخصياً، في حين كانت تستطيع أنْ تنقل الأموال إلى غيرها، فتتزوَّج من أقرب أنسبائها لأبيها؛ كي يبقى الإرث داخل الأُسرة، وإنْ كان القريب مُتزوِّجاً حقَّ له أنْ يُطلِّق زوجته، شرط أنْ يُؤمِّن لها زوجاً آخر، ممَّا تقدَّم؛ نستنتج أنَّ المرأة تُعتبر شيئاً، أو وسيلة.

المرأة في الطّبقات الشّعبيَّة الأثنيَّة:

كان الإكراه الاجتماعي أخفّ وطأة على الطّبقات الشّعبيَّة الفقيرة خاصَّة. والبيت الأثيني الوضيع أصغر من أنْ يحتوي على نساء وفتيات. والحياة المُشتركة فيه كانت أكثر فاعليَّة، والضّرورة كانت ترغم المرأة على العمل، فكانت تغزل وتنسج للزّبائن، وترسم على الآنية، وتصنع الشّرائط الحريريَّة والقبعات، هذا؛ بالإضافة للبيع في السُّوق ما صنعته يداها، وزرعته من خضار وزيتون وتين وثوم، إلى ما هُنالك من موادّ.

بعض النّساء كُنَّ يُشرفنَ على إدارة الخمَّارات والفنادق ونُزُل الغرباء، لكنَّ هذا العمل لم يكن يحظى بكامل التّقدير، إلاَّ أنَّ بعض النّساء العديدات امتهنَّ القبالة والطّبّ، وكثير من النّساء يفضلنَّ اعتناء النّساء بالنّساء.

---

(1) حضارة اليُونان.

هذا؛ وكانت الأُمَّة (نساء وفتيات عبيد) عديدات في البيوت الخاصَّة، وعدد محدود منهنَّ كُنَّ يعمل في مناجم الفضَّة والحديد؛ حيثُ كُنَّ ينقلنَ الفلزات من حافَّة بئر الاستخراج إلى باب المنجم[1].

المرأة في سبارطة:

المرأة في سبارطة وضعها مُختلف تماماً، فكانت الفتيات يحصلنَ على تربية عسكريَّة أسوة بالصّبيان لتكريس الرّجال حياتهم للدَّولة العسكريَّة تكريساً مُطلقاً بمهنة السّلاح من السّابعة إلى الثّلاثين. لهذا؛ كانت المرأة السّبارطيَّة تتدرَّب على المصارعة والسّباق، ويجدنَ استخدام الرّمح، وقذف أسطوانات الرّمي، إلى آخر هذه العمليَّات المطلوبة بفنِّها، وكُنَّ يخلعنَ كامل لباسهنَّ المُؤلَّف من قميص قصير يكشف طرفه الأيمن عن السّاق.

وكان الشُّغل الشّاغل للدَّولة السّبارطيَّة تكوين أجسام نسائيَّة قويَّة وقادرة على إنجاب الأولاد الأقوياء، جُنُود الحاضرة في المُستقبل.

والزَّوجة كانت تلتقي زوجها خلال زياراته اللّيليَّة الخاطفة لها؛ لاضطراره في مواكبة رفاقه في التّدريب، وتناول الطّعام، والنَّوم في الخيام. لذا؛ كان يحصل أنْ يُصبح هذا الزَّوج الشّابُّ أباً لعدَّة أولاد، دُون أنْ يشاهد زوجته في وضح النّهار.

ولَمَّا كانت المرأة تعيش وحيدة تقريباً، فكانت ـ بالضّرورة ـ أنْ تتمتَّع بقسط كبير من الحُرِّيَّة، وكانت ـ لهذا ـ تشرف على قطعة الأرض التي تخصُّ

---

(1) الحضارة اليُونانيَّة.

زوجها لتقسيم الأرض بالتّساوي بين سائر المُواطنين، إضافة لأملاكها الشّخصيّة، التي هي ثمرة عملها الخاصّ، ولها الحقُّ بالإرث، وأنْ تُوصي.

وقد سجّل القرن الثّالث قبل الميلاد بروز نساء أعمال يملكنَ احتكارات حقيقيّة، وثروات تعادل ثروات الدّولة[1].

المرأة في آسيا اليُونانيّة:

المرأة بين ظلمة الحريم الأثني الباتر للنُّمُوِّ والعُري السّاخر للملعب السّبارطي، لم تعرف الفتاة اليُونانيّة من حلٍّ وسط، إلاَّ في حواضر أيونيا وأيوليدا؛ حيثُ حياة نسائيّة أكثر رحابة[2].

المرأة في الدّور الدّيني:

الدِّين اليُوناني لم يكن على الإطلاق محض ديانة هنديّة أوروبيّة، ففيه المرأة اليُونانيّة استردّت كامل كرامتها، وتمتّعت بحُرّيّة واسعة، وحافظت على مكانتها، وأكّدت على أهمّيّة الوساطات النّسويّة كاهنات وعرّافات. وعليه؛ قد أجمع الإغريق على اعتبار جمال الاحتفالات الدِّينيّة أسمى أشكال الصّلاة في حركات انسجاميّة لرقص الفتيات الإيقاعي المُقدّس في فناء المعبد، الذي روى الشّعراء قَصَص حُبٍّ وُلدت عند أعتاب المعابد[3].

---

(1) حضارة اليُونان.

(2) تاريخ حضارة اليُونان.

(3) تاريخ الحضارات، حضارة اليُونان، المرأة عبر التّاريخ.

المرأة الكاهنة:

كانت أبواب الكَهَنُوت مفتوحة على مصراعَيْـها أمام المرأة، بدءاً من ذلك النَّوع الخاصّ من الكَـهَنُوت المنزلي المتمثِّل في مُشاركتها بعبادة الدّار، فقد كان الزَّواج الأحدي في اليُونان أسوة بالهند وروما يجد قواعده وركائزه الدِّينيَّة في ذلك التّقديس للزَّوجة الشّرعيَّة.

وكان عدد الكاهنات كبيراً في عبادات الحاضرة، فالكاهنة هي التي تقوم على خدمة الآلهة بشكل عامٍّ، والكاهن على خدمة الإله، لكنَّ هذه القاعدة لم تكن مُطلقة، وفترة هذه الخدمة كانت مؤقَّتة شأن سائر مناصب الدِّيمقراطيَّة اليُونانيَّة الأُخرى، وكانت مدَّة هذه الخدمة عاماً واحداً في مُعظم الأحيان[1].

تشريق العادات:

انتقل مركز الحضارة اليُونانيَّة إلى الإسكندريَّة؛ ابتداءً من القرن الثّالث قبل الميلاد، فأضحت العادات الشّرقيَّة هي السّائدة، وهكذا اقتحم الحريم ونظام تعدُّد الزَّوجات بلاطات خلفاء الإسكندر، وجاءت فلسفتا الشّكّ والمتعة تريحان ضمائر ممتهني الفجور، ولم تكن الأزمة الأخلاقيَّة التي عانى منها العالم الرُّوماني، الذي أصبح سيِّد الشّرق المُتوسِّطي برُمَّته؛ لتُساعد على تقويم الأوضاع[2].

---

(1) المرأة عبر التّاريخ، حضارة اليُونان.

(2) فلسفة اليُونان.

الفصل السّادس:

حقُّ المرأة في روما القديمة

- لمحة تعريف:

تاريخ الحقّ النّسوي في العالم الرُّوماني القديم يرتدي أهمّيّة استثنائيّة، فهُو يبدو كتاريخ نموذجي.

فقد فرض القانون الرُّوماني نفسه كتعبير مثالي عن المجهود العقلاني في ميدان القانون، وقد شكّل قاعدة القانون الفرنسي المكتوب، وكان للقانون المَدَني النّابوليوني بمثابة الرُّوح[1].

إنّ هذا التّاريخ النّموذجي بتأثيره - نموذجي - فبعد أنْ حُصرت المرأة في الشّباك الضّيقة لوصاية صارمة، طرأ تحسُّن تدريجي على أوضاعها، وعُرفت - في نهاية المطاف - بعتق تامٍّ، بل جامح[2].

وكان تاريخ المرأة الرُّومانيّة نموذجيّاً؛ لأنّ التّقلُّبات التي يشهد عليها تُبشّر بإحدى المميّزات الأساسيّة للمغامرة الغربيّة.

---

(1) القانوني الرُّوماني.

(2) حضارة الرُّومان.

المرأة حظيت بوضع قانوني لا يتناسب مع المكانة التي تحتلّها في الحياة الاجتماعيّة[1].

وفي الحالات التي يُصبح فيها التّفاوت لا يُطاق، يتدخّل المشروع ليأتي بالعلاج، وغالباً ما يكون تدخّله بعد فوات الأوان[2]، فأزمات الحضارة تبدو وكأنّها قد وجدت أحد مصادرها في التّقصير أو التّأخير في حلّ مُشكلات الحقّ النّسوي[3].

حقّ المرأة الرُّومانيّة في العصر القديم:

حقّ المرأة خلال العصر القديم من تاريخ روما هُو عكس ما كان عليه في اليُونان، فقد بقيت روما بلا أدب طول خمسة قُرُون.

فالقانون القديم ذو السّمة الأساسيّة في تمييز سلطان ربّ الأُسرة، الذي لا حدود له: فسلطته على الأشخاص والمُمتلكات شبه مُطلقة، فهُو يملك حقّ الموت والحياة على زوجته وأولاده ورقيقه، وله حقّ بيع أولاده دُون زوجته، وله وحده ملك الصّلاحيّات لمدى الحياة في تقييم الحُقُوق والفرائض القانونيّة.

ربّ الأُسرة كان كاهن عبادة الأجداد، وأولاده الذُّكُور فقط يرثونه في هذا الدّور، والأولاد يرتبطون بعائلة أبيهم وذُرّيّة الجدّ الواحد تُشكّل العشيرة.

---

(1) القانون الرُّوماني.

(2) حضارة اليُونان.

(3) المرأة عبر التّاريخ.

وربُّ الأُسرة مسؤول عن الاقتصاد المنزلي، الذي كان يغلب عليه الطّابع القروي في البداية[1].

تساؤل: أ فلم تكن سلطة الدّولة تقوم على هؤلاء الآباء، أوما كان يُطلَق على أعضاء مجلس الشّيوخ اسم الآباء؟!

لم تكن المرأة تنفرد في الواقع بتحمُّل وزر التّبعيَّة داخل البنى العائليَّة، لكنَّ الصّبي يحوز مقاليد السّلطة. وكان مصير الفتاة أنْ تظلَّ تحت وصاية دائمة، فبعكس القانون الفرنسي الذي لم يَحْكُم بالقُصُور إلاَّ على المرأة المُتزوِّجة.

أمَّا القانون الرُّوماني؛ فكان يحكم على المرأة بأنْ تكون قاصرة على مدى الحياة. ورجال القانون يشيرون إلى ضعف الجنس في حديثهم عنها[2].

إرث المرأة الرُّومانيَّة:

لم تعرف روما امتياز الذُّكُور، ولا حقَّ الولد البكر على صعيد الوراثة، فكانت المرأة تحصل على نصيبها من ميراث أبيها أسوة بأشقَّائها، ومن ميراث زوجها أسوة بولد من أولادها، وستُشكِّل هذه الميزة من نظام المهر - الذي وُضعت قوانينه فيما بعد - المصدر الأساسي لاستقلال المرأة المالي، وأحد دروب تحرُّرها.

لقد أوجدت التّقاليد ضرباً من القانون العُرْفي، وظلَّ فيما يتعلَّق بالأُسرة والزَّواج، ولفترة طويلة من الزّمن، حتَّى إصلاحات أغسطس في

---

(1) حضارة روما.

(2) فلسفة السّلطة في روما.

منأىً عن تقنين الدَّولة، فمُمارسة حقِّ الحياة، والموت، وطلاق الزَّوجة، ومعاقبتها في حال الزّنى، أو بالعكس، الغفران لها، وفسخ زواج الابنة.. إلخ، كُلُّها أُمُور بقيت خارج دائرة الاختصاص الحاضرة، التي احترمت استقلال الأُسر المُطلَق.

ويشهد التّاريخ الرُّوماني على مُمارسة ربِّ الأُسرة في صلاحيَّاته الخطرة في الحياة والموت على أبنائه وبناته البالغين، لكنَّ هذا الحقَّ كان يُمارَس ـ غالباً ـ ساعة الولادة، فإذا ما رفع الأب الوليد بين ذارعَيْه دلَّ على قبوله، أمَّا إذا تركه أرضاً عنى هجره ورميه حتَّى الموت، كما كان يحصل في اليُونان. هذا؛ وكان ربُّ الأُسرة في روما مُرغَماً على الاحتفاظ بكامل ذُرِّيَّته من الذُّكُور، ولم يكن مطالباً بالاحتفاظ إلاَّ بابنة واحدة[1].

الوصاية:

لدى الزَّواج عند الرُّومانيِّين كانت الفتاة تنتقل من وصاية والدها إلى يد زوجها حسب التّعبير الرُّوماني، وكانت تقطع سائر علاقاتها مع عائلتها الأصليَّة، وتندمج بعائلة زوجها؛ حيثُ كانت تحصل على وضع قانوني يضعها في مرتبة ابنة زوجها[2].

المرأة الرُّومانيَّة سيِّدة مُقدَّسة:

احتلَّت المرأة في البيت الرُّوماني مكانة أسمى من تلك التي احتلَّتها مثيلاتها في حضارات الشّرق واليُونان باستثناء مصر؛ إذ أقرَّت السّلطة

---

(1) تاريخ الحضارات الرُّومانيَّة، المرأة عبر التّاريخ، 78.
(2) تاريخ الحضارات الرُّومانيَّة.

المعنويّة في دار الزّوجيّة الرّوماني للأمّهات والزّوجات استقرار ركيزة الحياة السّلطويّة في البيت.

في الدّور الرّومانيّة كان:

1 ـ عدم احتواء الحريم.
2 ـ عدم الفصل بين الجنسَيْن.
3 ـ عدم الإضرار والسّلبيّات الذي طبع المُجتمع اليُوناني.
4 ـ تعلُّم الفتاة في المدارس أسوة بالفتيان.
5 ـ الزّوجة سيّدة المنزل.
6 ـ تتناول المرأة طعامها مع زوجها.
7 ـ للأُمّ دور كبير أكيد في التّربية والتّعليم لأبنائها.

وصحيح أنّ السّيّدة الرّومانيّة ما كانت تستطيع مغادرة دارها من دُون إذن زوجها، لكنْ؛ عندما كانت تتجوّل في المدينة مرتدية القميص الطّويل الذي يُميّزها لم يكن يُسمَح لأحد بأنْ يلمس حتّى ذيل ردائها؛ لأنّها مُقدّسة[1].

إنّ الاحترام الذي كانت تتمتّع به الزّوجة كان يقف عند حدود التّقاليد والقوانين المؤاتية لامتيازات الذُّكُور؛ إذْ قالوا "إذا ضَبَطْتَ زوجتكَ في حالة الزّنى، فَلَكَ أنْ تقتلها بلا مُحاكمة، وبلا عقاب، لكنْ؛ إنْ كانت هي التي ضبطتْكَ في حالة الزّنى، فلن تتجرأ على مَسّكَ ولو بطرف أصبعها، هذا ليس من حقّها على كُلّ حال"[2].

---

(1) تاريخ الحضارات الرّومانيّة.
(2) كاتون الأوّل نقيب العامّة.

في المُجتمعات القديمة الرُّومانيَّة كان على الزَّوجة - أسوة بسائر الزَّوجات التي انتشرت فيها العبُوديَّة - أنْ تتحمَّل الوُجُود الدّائم للأمة الخليلة في عقر دارها بالذّات، وما فتئت الإغراءات القينيَّة تتعاظم مع تزايد القطيع النّسوي وتنوُّعه العرْقي.

فَمَنْ له أنْ يحكي عن الإذلالات التي عانت منها الزَّوجة الشّرعيَّة؟! ومَنْ له أنْ يُخبر عن عمليَّات الانتقام التي ارتكبتْها السَّيِّدات الرُّومانيَّات في الخفاء بحقِّ خليلات أزواجهنَّ المغلوبات - بدورهنَّ - على أُمُورهنَّ؟ . .

من جهة أُخرى؛ كانت المَحْظيَّات يقدِّمنَ للرّاغبين ضروباً شتَّى من الإغراءات.

وما كانت البائسات أكثر من إماء بين يدَيْ نخَّاس يُطلَق عليه "لينو" وثمَّة نساء كُنَّ يُمارسنَ هذه التّجارة، وقد ارتفع عدد المَحْظيَّات على نحو هائل بعد الفتوحات.

وقد أمَّن الشّرق حمولات بأكملها من اللّحم النّسوي، وكانت قلوب كبيرة تخفق - أحياناً - في تلك الأجساد المُذَلَّة المُهانة، ففي روما القديمة الطّهرانيَّة والمتزمّتة كان يندر أنْ يُكشَفَ الحُبُّ الحقيقي عبر علاقات هامشيَّة.

كانت المرأة الرُّومانيَّة تُضطَرُّ إلى تحمُّل وزر الزَّواج المُبكِّر، فعادة الرُّومان في عقد قرانهم على شابَّات صغيرات، بل على فتيات لم يبلغنَ بعد[1].

---

(1) تاريخ الرُّومان الحضاري.

المرأة الرُّومانيَّة والسِّياسة:

إنَّ تناوب دوائر الظِّلِّ والنُّور الذي طبع وضع المرأة القانوني والمعنوي طبع ـ أيضاً ـ حقَّها الاجتماعي، فالمرأة لم تكن تشارك بأيِّ صُورة من الصُّور في حياة الحاضرة العامَّة، وذلك كان السَّبب الجوهري لتردِّي وضعها القانوني.

فوحدة المُواطن معني بالقانون، مع ذلك؛ فقد أثبتت الزَّوجات الرُّومانيَّات أنَّ روح المُواطنيَّة لديهنَّ ليست أضعف ممَّا هي عليه لدى أزواجهنَّ، فعندما غزا الغالبون روما في القرن الرَّابع قبل الميلاد تبرَّعنَ بشُعُورهنَّ كي يُصنَع منها الحبال اللاَّزمة لشَدِّ آلات الحرب وتحريكها، كذلك قدَّمنَ حليهنَّ وخواتيمهنَّ؛ ليوازن بها سيف، وقد أفرغنَ ـ فيما بعد ـ ذهب خزائنهنَّ الخاصَّة في الخزينة العامَّة[1].

وضع المرأة الرُّومانيَّة الدِّيني:

لم يمنح الدِّين الرُّوماني المرأةَ مكانةً مُماثلة لتلك التي خَصَّتْهَا بها ديانات اليُونان، أو مصر. وقد أتى كاتون بذكْر السَّبب الأساسي لذلك عندما قال عن العبادة البَيْتيَّة:

"على ربِّ البيت أنْ يقوم على الشُّؤُون الدِّينيَّة بالنِّيابة عن الأُسرة برُمَّتها"، والحقّ أنَّ مُمارسة الدِّين كانت تتمُّ عن طريق وكالة الذُّكُور[2].

لذا؛ نزعت رُوما إلى تخصيص معشر النِّساء بعبادات موقوفة عليهنَّ، تاركةً لهنَّ المُمارسات السِّرِّيَّة لعبادات الإخصاب القديمة، ومنها عبادة الآلهة

---

(1) تاريخ روما وحضارتها عبر التَّاريخ.

(2) تاريخ رُوما الحضاري.

الطّيّبة، التي كان الاحتفال بأسرارها يُتيح للنّساء ولمرّة واحدة خلال العام كُلّه فُرصة شُرب الخمرة، ولأسباب مُماثلة كانت تُشارك على نحو فعّال في أعياد الإله ليبر، المُتميِّزة بطُقُوسها الجنسيّة، أعياد مهّدت للاحتفالات الدّيوسيّة الفاسقة.

وفي شهر شُباط؛ كانت تُقام الأعياد تكريماً للإله لوبيركوس، شفيع القطعان والحُقُول، فكان الرّجال المُشاركون في موكب الإله يجلدون النّساء بقبضاتهم؛ ليَمنحوا نعمة الإخصاب للعواقر من بينهنّ[1].

من جهة أُخرى؛ كانت المرأة تحضر بملء حُرّيّتها واختيارها سائر الاحتفالات العامّة، لكنّها لم تكن - بالمُقابل - تُشارك في الصّلوات العامّة، إلاّ في الظُّرُوف الاستثنائيّة.

فعندما كان الوطن في خطر كان يُعلَن عن صلوات عامّة، وتضرُّعات، عندئذ؛ كانت النّساء يُطلقنَ العنان لعواطفهنّ وانفعالاتهنّ.

كانت رُوما تدوي بالصُّراخ والنّحيب، وكأنّهما الوسيلة اليائسة الأخيرة لتهدئة غضب الآلهة.

وقد اشتركت المرأة - وعلى نحو وثيق - بعبادة النّار، ذلك الإرث الهندي الأُورُوبي، الذي وسم بميسمه بقُوّة الدّيانة الرُّومانيّة.

فالمرأة دائمة الحُضُور بجانب الموقد البيتي، وإليها تعود مهمّة السّهر على الشُّعلة المُقدّسة، فإنّ هذه الدّيانة ليست ديانتها حقّاً، ويوم تُوارى ثرى القبر، لن تحظى بعبادة خاصّة، ففي الحياة والممات تُعتبر ظلّ زوجها.

---

(1) القاموس السِّياسي.

فنار الحاضرة المُشتعلة فوق المذبح كانت موكولة إلى هيئة من كاهنات فستا، اللّواتي كنَّ مُطالبنَ بعفَّة مُطلقة، وكانت هؤلاء العذارى الكاهنات يُمسكنَ بمصير رُوما، فإنَّ ضعفنَ أمام إغراء الجنس، وسقطنَ في الخطيئة، كان عقابهنَّ الموت، والحجر عليهنَّ، وهُنَّ على قيد الحياة.

إنَّنا نلمس هُنا في واقع الجوهر نفسه الذي كُنَّا قد اكتشفناه في صُورة أثينا، العذراء الوصيَّة على مدينة أثينا.

فبُعذريَّة كاهنات فستا كانت مُرتبطة مناعة الحاضرة وقُدرتها على صَدِّ الفاتح والغازي. وكانت الكاهنات يتمتَّعنَ بامتيازات هامَّة؛ كالخُرُوج عن سُلطة الأب، ولكنَّ أهمَّ امتيازاتهنَّ على الإطلاق يبقى حقُّهنَّ في العفو، فإذا ما قُدِّر المحكوم عليه بالإعدام أنْ يُصادف كاهنة من كاهنات فستا وهُو في طريقه إلى ساحة الإعدام، أُطلق سراحه على الفور، وكذلك كان يحقُّ لكاهنة فستا أنْ تحول دُون قتل المُنهزم في حفلات المُصارعة الدّمويَّة، التي كانت تدور في الحلبات لصفتها كاهنة النّار، فقدكان يحقُّ لها أنْ تهب الحياة[1].

الأمَة الرُّومانيَّة:

حصلت ترقية غير مُنتظَرة للأَمَة الخادمة لسيِّدتها، أو دارها، فعديدون هُم أولاد الأُسر، الذين لجؤوا إلى عتْق أَمَة عزيزة، كرَّستْ نفسها للاعتناء بهم، كي يجعلوا منها زوجتهم، وذلك تهرُّباً من المُعاناة من استبداد امرأة حُرَّة وغنيَّة، ومن طُغيانها.

---

(1) تاريخ الحضارات الرُّومانيَّة.

وهكذا باتت المرأة الرُّومانيَّة في أواخر العهد الجُمهُوري تتمتَّع بحُرِّيَّة فعليَّة كبيرة بفضل سُلطة أبويَّة مُطلقة، ووصاية حليمة، وزواج غالباً ما كان يتمُّ دُون وضع اليد، لكنَّ تحرُّرها كان ينتهي إلى الفراغ، ولا يتَّصل بأيٍّ نشاط مُنظَّم، فقد أوجد لها القانون حلاً وسطاً بين الحُرِّيَّة والحماية، غير أنَّه لم يمنحها مكاناً فعليّاً في الحاضرة، وعليه؛ فقد استكملت المرأة حُصُولها على استقلالها المعنوي في الفوضى التي عاثت فساداً في رُوما طوال قرن تقريباً[1].

(1) المرأة عبر التّاريخ.

الفصل السّابع:

المسيحيّة والمرأة

المسيحيّة:

ـ لمحة إلى المسيحيّة:

لقد أحدثت المسيحيّة ثورة أخلاقيّة هائلة في قلب العالم القديم، فقد أعلنت عن المُساواة الجوهريّة للكائنات أمام الله، وكشفت للبشر عن كرامتهم السّامية كأبناء لأب واحد.

وكان هذا يعني زوال كُلّ تمييز جنسي، أو عرْقي، أو اجتماعي، "لم يعد هُنالك يهُودي أو يُوناني، سيِّد أو عبد، رجل أو امرأة، فأنتم جميعاً واحدٌ في المسيح"[1].

من الآن فصاعداً؛ لم يعد طقس الانتقاء يتمثّل في تلك العلامة الموقوفة على الذُّكُور وحدهم، والمطبوعة في لحمهم بالذّات[2]. بل يغدوا ميسماً لا منظوراً تُوسم به النُّفُوس، ويكون في مُتناول الذُّكُور والإناث على حدٍّ سواء[3].

---

(1) نداء بُولُس الرّسول.

(2) الختان لدى العبرانيّين.

(3) المعموديّة.

لقد تمخَّض تجلّي الأُبُوَّة الإلهيَّة عن قيام ديـن جديـد، "أَحبُّوا بعضكـم بعضاً كمـا الأب يُحبُّكـم". إنَّ امتيـازات ملكـوت الله سـتكون مـن نصيـب الصّغار، والفُقراء، والمُعذَّبين، والمُهانين. ألـم تسـتفد المرأة - إذنْ - مـن هـذه الزّاوية الجديدة المُلقاة على الضُّعفاء؟[1].

لكـنْ؛ ينبغـي - مـع ذلـك - تبيّـن ما جـاء عـن المُعلِّـم، ومـا جـاء عـن تلاميـذه، وبيـن المثـل الأعلـى للرّسـالة، واندماجـها الصّعـب في المُجتمعـات البشريَّة. فكما استحالت إشادة عالم قائم على الحُـبِّ خـلال بضعـة قُرُون، بل خلال ألفَيْ عـام، كذلـك استحال تحقيق تحـوُّل فُجائي وسريع في الحـقّ النّسائي، لقد منحت المسيحيَّةُ المرأةَ ترقيةً، لا عتْقاً من العُبُوديَّة[2].

المسيح عيسى النّبي عليه السّلام:

- لمحة إسلاميَّة:

هُو عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، ورُوح منه، وهُو آخـر أنبيـاء الله ورُسُله مـن بني إسـرائيل، كمـا أنَّ آخـر الأنبيـاء والرُّسُـل مـن بنـي الإنسان جميعاً مُحمَّد، رسول الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

والسيِّد المسـيح ذُكـر اسـمه في القُرآن بلفـظ المسيح تـارةً، وهُـو لقـب لـه، وبلفظ عيسى، وهُو اسمه العلمي، وبالعبريَّة يشـوع؛ أيْ المُخلِّص، إشـارة إلى أنَّه سبب لتخليص كثيرين من آثامهم وضلالهم، وبكُنيته ابن مريم تارةً أُخرى.

---

(1) مونيك، تطوُّر الوضع النّسوي من بداية الحضارة، 102.

(2) مونيك، المرأة عبر التّاريخ.

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[1] .

والمسيح في العبريَّة يُطلق على النّبي والملك، وليس المُراد أنَّه سيصير ملكاً على بني إسرائيل، بل هُو اسم مثل: سُلطان، أمير. وقد يكون المُراد أنَّه يأتيهم بمملكة الأخلاق والفضائل والرّحمة، وأنَّه يكون في هذه الفضائل رأساً، وقد يكون المُراد بكونه مسيحاً أنَّه يكون نبيّاً.

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾[2] .

مريم وعيسى ابن مريم طهارة وعفاف واصطفاء:

مريم الصِّدِّيقة المُصطفاة على نساء العالمين بإخبار ملائكة الله تعالى، واصطفاء الله تعالى، وإجابته إيَّاها، وتطهيرها من الأرجاس والأدناس، وحثّها على الاجتهاد في العبادة، والقنوت لله.

هكذا نشأت مريم على الطّهارة والبُعْد عن الدَّنس، ودامت على ذلك؛ إذْ قال الرّحمن:

---

(1) سُورة آل عُمران، آية: 59.

(2) سُورة آل عُمران، الآيات: 45ـ48.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴾[2].

مريم الصِّدِّيقة ابنة عُمران وُلدت بالأرض المُقدَّسة المُسمَّاة فلسطين، مهبط الدِّيانات، وحلَّ بها المخاض في بيت لحم؛ لوُجُودها فيه، ولأنَّ الحاكم في ذلك الزّمان لبلدة بيت لحم أمر بعَدِّ (إحصاء) النّاس، وإثباتهم في الدّفاتر، فجاءت مريم ومعها خطيبها "يُوسُف النّجّار" من أبناء عُمُومتها إلى بيت لحم؛ ليُثبت نفسه ومريم في التّعداد، فكانت الولادة هُناك[3].

---

(1) سُورة آل عُمران، الآيات: 33ـ37.

(2) سُورة آل عُمران، الآيات: 42ـ44.

(3) قَصَص الأنبياء، د. عبد الوهاب النّجّار، 381.

وقال الله سُبحانه في آياته: ﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1].

﴿ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴾[2].

ولمّا جاءها المخاض، بيَّن الرّحمن وضعها النّفسي والجسدي؛ إذْ يقول: ﴿ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ۝ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ۝ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ۝ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ۝ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴾[3].

المسيح والمسيحيَّة عند اليهُود:

(عيسى بن مريم عند اليهُود مُوجز للغاية، فإنّه لا يُوجد في تاريخ اليهُود الدِّيني، ولا في كُتُبهم أيُّ ذكر لعيسى بن مريم، ولا لدعوته، ولا لأحداث القبض عليه، وصلبه، فالذي يقرأ كُتُبَ اليهُود لا يجد لعيسى ذكْراً، وهذا الذي حدا ببعض الغربيِّين إلى اعتبار عيسى شخصيَّة خُرافيَّة فَرَضيَّة ليست حقيقة واقعة.

إذا تكلَّم اليهُود عن عيسى وقَتْله، فليس لأنَّه مُثبت في تواريخهم المأثورة عن آبائهم وأشياخهم، ولكنْ؛ لأنَّهم يسمعون ما يقوله المسيحيُّون عن المسيح، فيروون عنهم أحياناً، وإلاَّ فَكُتُبهُم خالية من ذلك.

---

(1) سُورة الأنبياء، آية: 91.

(2) سُورة التّحريم، آية: 12.

(3) سُورة مريم، الآيات: 22 ـ 26.

إنَّ عيسى عند اليهُودِ - إنْ صحَّ وُجُوده - رجل عادي كفر بدعوتهم، فقتلوه، وهُم لا يجمعون في كُتُبهم أخبار كُلِّ فرد من الدَّولة.

فهذا رجل انشقَّ، فعاقبوه بالقتل، ولا يستحقُّ بعد ذلك أيَّ ذكْر)[1].

إنَّ مسألة قَتْل المسيح كانت موجودة في التّلمود، ولكنَّ اليهُود أخرجوها، حتَّى لا يعثر عليها أحد من الأُمم المسيحيَّة التي كان يُقيم بها اليهُود[2].

هذا؛ فكلمة المسيح وردت في التَّوراة، ولا يزال اليهُود ينتظرونه، ويرونه ملكاً عظيماً سيأتي ليجعل لهم السُّلطان على الأرض، ويجعل كلمتهم هي العُليا، وجنسهم هُو الجنس الأعظم بين أجناس البشر، وقد جاءهم عيسى بن مريم، ولكنَّه دعاهم إلى الأخلاق الفاضلة، وأراد أنْ يُوجِّههم وُجهة رُوحيَّة، وأنْ يُقلِّل تكالبهم على المال، ومثل هذه الدّعوة المثاليَّة لا تجد قلباً سميعاً، ولا تُلاقي تأييداً من اليهُود، فلم يعتبروه المسيح الموعود به، وثاروا عليه، وتآمروا على قتله.

ولا يزالون إلى اليوم ينتظرون مسيحهم الذي يُملِّكهم الأرض، ويجعلهم سادة العالم، وليس عيسى بن مريم عندهم إلاَّ رجلاً عاديًّا، ثار، فلقي جزاء ثورته، ولا يستحقُّ رجل عادي كهذا أنْ يدخل التّاريخ، ولذلك أهملوه.

المسيح والمسيحيَّة في نَظَر المُفكِّرين الغربيِّيْن:

إنَّ أغلب المُفكِّرين الغربيِّين لا يدينون بالمسيحيَّة كما يدين بها عامَّة المسيحيِّين، كما تُعلِّمها الكَنيسة والقسّ. ويُمكن القول: إنَّ الثَّورات التي

(1) مُقارنة الأديان، المسيحيَّة، الدُّكتُور شلبي.

(2) قَصَص الأنبياء، عبد الوهاب النّجَّار، ص430، قول الدُّكتُور إسرائيل ولفنسون.

أشعلها المُفكِّرون المسيحيُّون في الماضي ضدَّ المسيحيَّة التي تُعلِّمها الكَنيسة، ولا زال المُفكِّرون المُحدثون يرفعون لواءها، وكُلُّ ما هُناك من فَرْق أنَّ الكَنيسة في الماضي عدَّت أولئك مُتمرِّدين، وحاربتهم حرباً قاسية، سقط فيها آلاف الضَّحايا، وأمَّا الكَنيسة اليوم؛ لم يعد لها سُلطان، فاكتفت بأنْ حرَّمت على أتباعها المُخلصين أنْ يقرؤوا ما يكتبه هؤلاء المُفكِّرون، ممَّا اعتبرته الكَنيسة ضلالات وإلحاداً، بناءً على قرار الفاتيكان الصَّادر عام 1929م. وهذه الحقيقة يُدركها كُلُّ الذين يقرؤون عن المسيحيَّة كتابات المُفكِّرين الغربيِّين من غير رجال الكَنيسة[1].

(إلاَّ أنَّ بعض المُفكِّرين يقولون:

إنَّ الأُورُوبيِّين الذين خرجوا على سُلطان الكَنيسة الرُّومانيَّة ظهر منهم أُناس يؤمنون بالله، ولا يُؤمنون بالكُتُب، ولا بشعائر الكنيست، وتسمَّت منهم طائفة بالرَّبَّانيِّين، وسمُّوا دينهم بدين الطَّبيعة، تمييزاً له عن دين الكَنيسة. واشتهر من هؤلاء في البلاد الإنكليزيَّة: أورد هربرت شريري المُتوفَّى قُبيل مُنتصف القرن السَّابع عشر، فدعا إلى دين طبيعي يقوم على أركان خمسة هي:

1 ـ الإيمان بالله. 2 ـ العبادة. 3 ـ الفضيلة. 4 ـ التَّوبة. 5 ـ اليوم الآخر.

ثُمَّ تلا المُفكِّر أنتوني كُولنس، الذي يعتبره الكثيرون أُستاذاً لفُولتير وبنيامين فرنكلين في حُرِّيَّة الفكر، ويحسبون كتابه مُحاضرة في الحُرِّيَّة الفكريَّة، إنجيل هذه النِّحْلة. ثُمَّ تلاه تنتال: فألَّف كتابه الذي جعل عُنوانه "المسيحيَّة قديمة كقدَم الخليقة"؛ ليُثبت به أنَّ الإيمان سابق للكَنائس والمذاهب)[2].

---

(1) مُقارنة الأديان، د. شلبي، ج2.

(2) عقائد المُفكِّرين في القرن العشرين، عبَّاس محمود العقَّاد، ص63.

(هـذا؛ وإنَّ رأي الكَنيسة أنَّ المسيح الإله انقلب، فأصبح إنساناً، وعاش مع النّاس كواحد منهم؛ ليُعلِّمهم طريقة مُثلى للعيش، ومن مواعظه أنَّه قال:

- تعالوا إليَّ أيُّها الضُّعفاء والمُثقلون بالذُّنوب.

- أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله.

ومن ثمَّ؛ قُتل هذا الإله بمُؤامرة دبَّرها أعداؤه، ودُفن، ثُمَّ خرج من قبره، وصعد للسّماء، وقد احتمل هذه الآلام ليُنقذ المُؤمنين به من الخطيئة، فالذي يدرس هذه المسيحيَّة يجدها اقتباسات من الوَثَنيَّة واليهُوديَّة والحياة الشّرقيَّة والرُّومانيَّة، ويجد بها عناصر أجنبيَّة بارزة بها كاملة، أو مُحرَّفة.

فمن الأفكار الفلسفيَّة الإغريقيَّة التي اقتبستها المسيحيَّة الكلمة، وهي تُرادف الإله عند الإغريق؛ لأنَّ الكلمات لا تفنى بالاستعمال، كما لا يفنى الإله..

ومن اليهُوديَّة اقتبست المسيحيَّة فكرة الأُبُوَّة بين الله والنّاس؛ أيْ فكرة أُبُوَّة الإله للخلْق، وفكرة الأُخُوَّة بين النّاس، كما اقتبست المثاليَّة التي تكلَّمت عنها اليهُوديَّة، وإنْ لم يتَّبعها اليهُود؛ وهي الحُبّ والرّحمة والعدالة.

ومن الحياة الشّرقيَّة اقتبست المسيحيَّة الفُنُون والرُّسُوم، التي ازدانت بها الكَنائس، كما اقتبست استعمال الفُسيفُساء والصُّور والبخور والأنغام.

أمّا الحياة الرُّومانيَّة؛ فقد اقتبست الكَنيسة منها النُّظُم التي اتَّبعتْهَا لتوزيع السُّلطان)[1].

---

(1) قول بارري، كتاب عقائد المُفكِّرين في القرن العشرين.

(هذا هُو عيسى، وتلك هي دعوته التي أوشكت أنْ تفنى بعد موته. ومر الزّمن، وجاء شاءول اليهُودي الرُّوماني، وهُو من الفرِّيسيِّين، أحد طبقات اليهُود العُليا، لم ير عيسى، ولا سمعه يُبشِّر النّاس، وقد لعب شاءول هذا دوراً أنقذ به المسيحيَّة، بعد أنْ أوشكت أنْ تدخل عالم النّسيان، الذي ضمَّ كثيراً من أمثال الحَركَات، وقد كان شاءول هذا في أوَّل عهده أكبر أعداء المسيحيِّين، فأنزل بهم ألواناً من الاضطهاد والقتل والتّعذيب، لكنَّه - فجأة - تحوَّل إلى المسيحيَّة، واستخدم تجاربه ومكانته لينفع المسيحيَّة، وينتفع بها)[1].

(كان عيسى يهُودياً، وشاءول مُكوِّن المسيحيَّة البارع في دراية السِّياسة والابتكار، في حين كان عيسى صاحب أوهام وأحلام. وشاءول هذا سُمِّيَ - فيما بعد - بُولُس، قد أدخل على ديانته بعض تعاليم اليهُود، ومن فلسفة اليُونانيِّين اتِّصال الإله بالأرض، أو ابن الإله، أو رُوح القُدُس.

ويُولُس هُو المُؤسِّس الحقيقي للدّيانة المسيحيَّة. وقد طوَّر فكرة المسيح من النّاحية اللاَّهوتيَّة والإنسانيَّة، وجعلهما تتناسبان مع فكرة الإنقاذ القديمة، فقدَّم آداباً مُستحدثة في طابع قديم مألوف.

وبهذا؛ فصل دعوة عيسى عن اليهُوديَّة، ولم ينفر بُولُس من الطُّقُوس الوَثَنيَّة، بل العكس؛ اقتبس كثيراً من هذه الطُّقُوس؛ ليضمن نَشْر ديانته بين الوَثَنيِّين دُون أنْ ينفروا منها، وليُبعد ديانته - بذلك - عن أنْ تذوب في اليهُوديَّة، وعلى رغم أخذ المسيحيَّة من الوَثَنيَّة، فإنَّها لم تُصبح وَثَنيَّة في رُوحها.

---

(1) مُقارنة الأديان، د. شلبي.

ولمّا أصبحت المسيحيَّة أقوى من أعدائها؛ تغيَّرت الأحوال، فَقَلَّ صفاؤها، وضعف، وظهرت بها الفرَق والأحزاب التي استقلَّتْ كُلٌّ منها بتنظيم نفسها، وأصبح رُؤساؤها رجال سياسة وقادة دينيِّين في نفس الوقت)[1].

(ولمّا كان المُؤمنون المُتَّبعون عيسى النّبي في القُرُون الأولى للمسيحيَّة يُؤمنون بأنَّ عيسى بعد الوفاة والصُّعُود إلى السَّماء سوف يعود إليهم، فإنَّهم ينتظرونه؛ ليقودهم في حياتهم للصَّفاء والعبادة الخالصة لإيصالهم للمثاليَّة الكماليَّة في عبادة الرَّبِّ؛ مُكوِّن المَلكُوت ومُهندس الكون.

ثُمَّ اتجَّه المسيحيُّون بوَضْع تعيين مُؤقَّت كبير سنّ للوعظ والإرشاد، الذين سُمُّوا - فيما بعد - برجال الدِّين، وعليه؛ قامت كُلُّ كَنيسة بتنظيم نُظُمها بالشّكل التّالي:

1 - أصبح للكَنيسة رجال مُنقطعون لها، ولا عمل لهم سواها، وكُلٌّ منهم سُمِّي رجل دين، أو قسِّيس.

2 - أطلق عليهم رجال دين للتّمييز بينهم وبين العلمانيِّين.

3 - كبير القسس في كُلِّ مدينة أُطلق عليه أُسقُف، أو مُطران.

4 - الأساقفة في المُدُن الرّئيسيَّة أُطلق على كُلٍّ منهم اسم رئيس الأساقفة في دائرته.

5 - من بين رُؤساء الأساقفة ارتفع خمسة إلى مكانة أسمى، وأصبح لهم نُفُوذ كبير، وأخذ كُلٌّ منهم اسم لقب بطريك)[2].

---

(1) المسيحيَّة، د. شلبي.

(2) المسيحيَّة، د. شلبي، ج2.

الفِرَق المسيحيَّة[1] وبعض المذاهب المسيحيَّة:

1 ـ الرُّوم الأرثوذكس: يتبع القسم الأعظم من مسيحيِّي الشَّرق الكَنيسة الرُّوميَّة، ويستعملون اللِّسان العَرَبي في عبادتهم، غير أنَّ الرُّهبان أصحاب المراتب العالية ـ وأكثرهم من اليُونانيِّين الأجانب ـ يستعملون اللُّغة الرُّوميَّة في عبادتهم.

2 ـ اللاَّتين الكاثوليك: يُقيم في بيروت رئيس مطارنة هذه الطَّائفة، الحائز على وكالة من البابا، ويُدير شُؤُون الإدارة الرُّوحيَّة لكَنائس حلب، الشَّام، بيروت.

3 ـ الموارنة: تُقيم طائفة الموارنة النَّصرانيَّة بشكل كُتلة مُتكاتفة في السَّطح المائل ما بين نهر الكلب ونهر البارد، ويُوجد منهم في بيروت وطرابلس والشَّام واللاَّذقيَّة)[2].

---

(1) انقسمت النَّصارى اثنان وسبعين فرقة، وكبار فرَقهم هي: 1 ـ الملكيَّة. 2 ـ النَّسطوريَّة. 3 ـ اليعقوبيَّة. 4 ـ الأيروسيَّة. إنَّهم أكبر الفرَق، وانشقَّ عنهم، أو انشعبت منها: الإليانة والبليارسيَّة والمقدانوسيَّة والسَّباليَّة والبُوطينوسيَّة والبوليَّة. مُعظم الرُّوم ملكيَّة يقولون بالتَّثليث، وفيهم نزلت الآية: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾. [سُورة المائدة، آية: 73]. أمَّا النَّسطوريَّة؛ ظهروا أيَّام المأمون، ونسبهم: نسطور الحكيم، ويقول: إنَّ المسيح لم يُولَد، ولم يُصلب الإله. لكنَّ اليعقوبيَّة: ذكر الله عنهم ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [سُورة المائدة، آية: 72]، [ويُراجَع كتاب الملَل والنِّحَل للشَّهرستاني، جـ1، ص222 ـ 224]. وجاء هذا ـ أيضاً ـ في كتاب الجواب الصَّحيح لمَنْ بدَّل دين المسيح؛ لمُؤلِّفه ابن تيميَّة الحرَّاني إضافة أنَّ: الملكيَّة: تقول وُلد المسيح، ولم يُصلَب. والنَّسطوريَّة تقول إنَّه لم يُولَد، ولم يُصلَب الإله. واليعقوبيَّة تقول إنَّ المسيح وُلد، وصُلب الإله. وفي جدول بطاركة الموارنة: أنَّ الفرقة الأولى هي الأريوسيَّة. ـ القاموس العامّ وقاموس الأعاظم، ص129، حنَّا أبي راشد.

(2) ولاية بيروت، تميمي وبهجت، جـ1.

النّازيّة والمسيحيّة:

إنّ الحزب النّازي اتّخذ موقفاً مُعادياً من المسيحيّة ورجال الدِّين في المجال الدِّيني، وحمل العداء ضدّ الوسط الكاثوليكي ومُحاربة السّاميّة؛ لأنّ المسيحيّة ما هي إلاّ ديانة يهُوديّة وعبادة الماضي الجرماني.

وراح الحزب النّازي يتّجه إلى بَعْث الطُّقُوس الوَثَنيَّة؛ أيْ جَرْمَنَة المسيحيّة. وراحت المسيحيّة الجرمانيّة تُطهِّر العقيدة المسيحيّة من العقائد غير الآريّة. واستهدفت الكَنيسة المُجاهدة للاضطهاد، وجرى توقيف عدد من القساوسة. ومع ذلك؛ فقد شجبت النّازيّة المذهب المادِّيّ والشُّيُوعيّة على السّواء، وكان من بين التّدابير الأولى التي اتّخذتها حلّ المُؤسَّسات المُناهضة للدِّين، وإعادة التّعليم الدِّيني إلى المدارس في برُوسيا.

ولذا؛ راحت الكَنيسة الكاثوليكيّة تُعلن رُضُوخها، كما راح الأساقفة يشجبون المنشورات التي صدرتْ من قبلُ ضدّ النّازيّة، وعقدت الحُكُومة مُعاهدة دينيّة مع الكَنيسة، نصّت على الاعتراف بالدّولة الوطنيّة الاشتراكيّة.

وحُظر على الكَهَنَة ورجال الدِّين التّدخُّل بالسِّياسة، وفرض على الأساقفة الذين يجري تعيينهم من قبَل البابا تأدية قَسَم الولاء للدّولة قبل المُباشرة بوظائفهم، والمُهمُّ في الأمر كُلِّه هُو أنّ المُنظّمات والهيئات الخيريّة والتّعليمات والأخويّات لم يُؤتَ على ذكْرها؛ بحيثُ أنّ الاختلافات كانت تنشب من جديد كُلّما جرى عَلْمَنَة إحدى المدارس أو أحد المُستشفيات. كما أنّ المُلاحقات التي تجرُّ إليها المخالفات التي يأتيها رجال الدِّين ومُتاجرتهم بالقطع النّادر وتهريب رُؤُوس الأموال إلى الخارج أو بعض الشّطط في

الأخلاق كانت موضوع دعاية فاجرة من قبل السلطة، والمرسوم البابوي الذي صدر عام 1937، أعلن على رؤوس الأشهاد بأنَّ العرقيَّة مذهب يتناقض والآداب المسيحيَّة[1].

المسيحيَّة والعرب في الشَّمال والوسط واليمن:

قد ذاعت واستقرَّت أركان النَّصرانيَّة في البلاد المحيطة بجزيرة العرب في الدَّولة الرُّومانيَّة ومصر والحبشة، وكان النَّصارى يتعمَّدون نشر دينهم، والتَّبشير به، فجابوا البلاد، وجاسوا القفار، وتحمَّلوا المشقَّات، ومن أثر ذلك نفذت المسيحيَّة إلى بلاد العرب، وعُرفت في أرجائها، ودان بعض العرب بها.

فالغساسنة في الشَّام نصارى[2]، على المذهب المنوفستي (اليعقوبي)[3]، وهم حُماة الكنيسة في الشَّرق، ويدلُّ على ذلك أنَّ الحارث ابن أبي شمر كان نصرانياً يعقوبياً حامياً للكنيسة[4].

وفي الحيرة نصارى من النَّساطرة، وقد انتقلت النَّصرانيَّة إليهم من الشَّام؛ لأنَّ الإمبراطور جستنيان اضطهد النَّساطرة، فرحَّب بهم كسرى أنوشروان (531 ـ 579)م، وأسَّس لهم مدرسة جنديسابور في فارس، فنشروا مذهبهم هناك[5]، وغلب هذا المذهب على فارس وخراسان والعراق والموصل[6].

---

(1) ألمانيا الهتلريَّة، تاريخ الحضارات، العهد المعاصر.
(2) المعارف لابن قتيبة، 205. وطبقات الأمم لصاعد، 43. والأعلاق النَّفيسة لابن رستة، 7/ 217.
(3) الفصل لابن حزم، 1/ 49.
(4) العرب قبل الإسلام، جُرجي زيدان، 191.
(5) تاريخ الفلسفة في الإسلام، 16 ـ 18 دي بور (مترجم).
(6) الفصل لابن حزم.

وقد دان بالمسيحيَّة أشراف الحيرة؛ منهم بنو تميم آل عدي بن زيد العبادي، وأناس من سليم، ومن طيء، وغيرهم[1]. كما كان أمودمة يُبشِّر بالنّصرانيَّة بين التّنوخيّين[2].

ولمّا فتح العَرَبُ العراقَ كان على شواطئ الفُرات مسيحيُّون، وكان البدو ممَّنْ انتجعوا الجزيرة قد دخلوا في حوزة النّصرانيَّة، وقد نزل خالد بن الوليد في طريقه إلى العراق سنة 12هـ بقُرى بانقيا وبار وسما وأليس، فصالحه أهلها النّصارى[3]، وقد بقيت كُتُب من القرن السّادس تدلُّ على أنَّ اللُّغة العَرَبِيَّة استُعملت لُغة الكَنيسة[4].

وكانت على النّصرانيَّة قبيلة تغلب، وقد دانت بها بعد يوم خراز، ذلك أنَّ نزار لم تكن تستنصف من اليمن، ولم تزل اليمن قاهرة لها حتَّى هذا اليوم[5]، فلمَّا انتصر عَرَب الشّمال على اليمن شعروا بنعمة الاتِّحاد، والتفُّوا حول زعيمهم كُليب، ووجدوا أنَّ عَرَب اليمن يهُود ونصارى، وعَرَب الشّام والحيرة نصارى، فاعتنق كُليب النّصرانيَّة وبعض حُلفائه من ربيعة ومُضر وإياد وطيء وقضاعة وقيس بن ثعلبة. وبنى كُليب كَنيسة يُنافس بها حَرَم مكَّة، ليُثبت مُلكه على دعائم من العقيدة الدِّينيَّة والعصبيَّة القَبَليَّة.

ولم ترم تغلب عن المسيحيَّة إلى عهد عُمر بن الخطَّاب الخليفة الثّاني. ولمّا أراد أخذ الجزية منهم انطلقوا هاربين، فقال له زرعة التّغلبي: "أُنشدكَ الله فيهم، فإنَّهم قوم عَرَب، يأنفون من الجزية، فلا تُعنْ عدوَّكَ عليكَ"، فضاعف

---

(1) البُلدان لليعقوبي.
(2) دائرة المعارف الإسلاميَّة، 5/ 513.
(3) تاريخ الطّبري، 4/ 3.
(4) تاريخ الحضارة الإسلاميَّة.
(5) مُعجم البُلدان مادَّة خرز.

الخليفة عُمر عليهم الصّدقة، وشرط عليهم ألاّ يُنصّروا أولادهم[1]. وكانت هذه مُعاملة خاصّة بالتّغلبيّين؛ إذْ اعتبر الخليفة عُمر أنّ المُضاعفة بمنزلة الجزية على غيرهم، "وليس يُؤخذ من غيرهم من أهل الذِّمّة صدقة مُضاعفة"[2].

أمّا في قلب الجزيرة، وبخاصّة مُدُن الحجاز التّجاريّة؛ فلم تكن المسيحيّة مجهولة، ذلك بأنّ سُكّان هذا الإقليم كانوا على اتِّصال دائم بأهل الشّمال، ولا شكّ أنّ الرُّهبان الذين كانت صوامعهم تنتشر من فلسطين وشبه جزيرة سيناء حتّى قلب الصّحراء كان لهم أثر عظيم في تعريف العَرَب بالنّصرانيّة[3].

على أنّ الصّحراء كانت ملجأ لبعض الفرَق المُضطهدَة من الكَنيسة الرّسميّة[4]، ففي ناحية من نجد كشف بلي عن عمود مسيحي حطّمه الوهّابيُّون[5]. وقد تنصّر من قُريش بنو أسد وورقة بن نوفل[6].

وفي يثرب كان من المُحاربين ضدّ النّبي عند مقدمه إليها شريف من الأوس مُطاع اسمه عبد عمرو بن صيفي، ترهّب، ولبس المسوح، وسُمِّي الرّاهب، وفي مكّة نصراني اسمه موهب، ضرب عليه النّبيّ ديناراً كُلّ سنة[7]، وفي البحرين كان نصارى صالحهم عام 7هـ العلاء بن الحضرمي نيابة عن رسول الله[8].

---

(1) المعارف، 193. والخراج، لأبي يُوسُف، 68. والخراج، للقرشي، 66. وفُتُوح البُلدان، 189.

(2) الخراج، للقرشي، 10.

(3) المرأة في الشّعر الجاهلي، د. أحمد الجوني.

(4) العَرَب والإمبراطُوريّة العَرَبيّة، بروكلمان، 29.

(5) عصر ما قبل الإسلام.

(6) تاريخ اليعقوبي، 1/ 29.

(7) سيرة ابن هشام، 1/ 206 ـ 243.

(8) فُتُوح البُلدان، 85.

هذا؛ وقد سلكت المسيحيَّة طريقها إلى اليمن مُنذُ أواسط القرن الرّابع الميلادي، ذلك بأنَّ قياصرة الرُّوم لمّا تنصَّروا أخذوا يهتمُّون بنَشْر دينهم، ويستعينون به على بسط نُفُوذهم وتوسيع المجال لمتاجرهم، فأرسل الإمبراطُور قسطنطيوس مُبشِّراً إلى اليمن لينشر النّصرانيَّة فيها، فأنشأ ثيوفيلوس كَنيستَيْن في أرض حمير، وثالثة بعدن، وكان بنجران كَنيسة بناها بنو عبد المدان الحارثي، وسمّوها كعبة نجران[1]، وقد ذكرها الأعشى في قوله لناقته:

وكعبة نجران حتم عليـ ... ـك حتَّى تناخي بأبوابها

نزور يزيد وعبد المسيـ ... ـح وقيساً هُم خير أربابها[2]

وقد تنصَّر كثير من قبائل العَرَب حتَّى جاء الإسلام، فكانت النّصرانيَّة ذائعة في الجنوب، يدلُّ على ذلك أنَّ النّبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وجَّه عُمَّاله إلى اليمن لأخذ الجزية، ممَّا أقام على النّصرانيَّة[3]، وصالح وفد نجران على ألفَيْ حلَّة في شهر صفر، وحلَّة في شهر رجب، وأنَّ عليهم عارية ثلاثين درعاً وثلاثين فرساً وثلاثين بعيراً إنْ كان باليمن كيد[4]، ومع كُلِّ حلَّة أوقيَّة من الفضَّة[5]، وهذا يدلُّ على كثرة العدد والثّروة، لذلك؛ لا عجب أنْ يبلغوا في عهد عُمَر الخليفة أربعين ألفاً، وأنْ يتحاسدوا، فأتوا عُمراً، فقالوا: أَجْلنَا ـ وكان وقد خافهم على المُسلمين ـ فاغتنم الفُرصة، وأجلاهم[6].

(1) المعارف دائرة، مُرُوج الذّهب، 1/ 29 ـ 32.
(2) الأغاني، 10/ 135 وديوان الأعشى 173.
(3) فُتُوح البُلدان، 75.
(4) فُتُوح البُلدان، 70.
(5) الخراج لأبي يُوسُف 41.
(6) فُتُوح البُلدان، 73.

أثر المسيحيَّة في العَرَب:

كانت النّصرانيَّة ذات آثار شتَّى في العَرَب، فبعضهم مال إلى الرّهبنة وبناء الأديار كحنظلة الطّائي؛ إذْ فارق قومه، وتنسَّك، وبنى ديراً بالقُرب من شاطئ الفُرات، وترهَّب فيه، حتَّى مات سنة 590م[1].

أمَّا قسّ بن ساعدة؛ كان يسكن القفار، ويتناول قليلاً من الطّعام[2].

وكان القسس والرُّهبان يعظون النّاس في المجامع والأسواق، ويُذكِّرونهم بالبعث والحساب والجنَّة والنّار، ومن هؤلاء قسّ بن ساعدة، وقد سمع النّبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إحدى خُطبه في عكاظ، ورواها[3].

وممَّا يدلُّ على انتشار آرائهم أنَّ القرآن الكريم يحكي كثيراً من أقوالهم، ويُفنِّدها، وأنَّ كثيراً من الشُّعراء كانوا نصارى. وللمسيحيَّة آثار في شعرهم وخيالهم وعقائدهم كأُميَّة بن أبي الصّلت[4]، وذي الأصبح العُدواني[5]، وعدي بن زيد العبادي[6]، والأعشى[7]، والنّابغة الجعدي[8]، وغيرهم[9].

على أنَّ العَرَب كانوا يتزوَّجون بنصرانيَّات في الجاهليَّة وفي الإسلام، وكُنَّ ينسلنَ لهم بعض الأشراف.

---

(1) مُعجم البُلدان، 4/ 143. وشُعراء النّصرانيَّة، 1/ 91.
(2) الأغاني، 14/ 41. وشُعراء النّصرانيَّة، 211.
(3) البيان والتّبيين، للجاحظ، 1/ 52. ونقد النّثر المنسوب لقُدامة بن جعفر، 98.
(4) طبقات الشُّعراء، لابن سلام، 220. والأغاني، 4/ 125. وديوان أميَّة بن أبي الصّلت.
(5) الأمالي، 1/ 255. والأغاني، 3/ 105.
(6) البيان والتّبيين، للجاحظ، 2/ 285.
(7) الأغاني، 8/ 76.
(8) طبقات الشُّعراء، 103 ـ 105.
(9) الحياة العَرَبيَّة من الشّعر الجاهلي، أحمد الحوفي، 81 ـ 82. والبيان والتّبيين، 3/ 53 و1/ 54.

ذكر كثيراً منهم ابن رستة كالحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي[1] .

وإذا كانت اليهُوديَّة قد عجزت عن أنْ تصرع الوَثَنيَّة الجاهليَّة ، فكذلك قد عجزت المسيحيَّة ؛ لأنَّها لا تُوائم طباع العَرَب الميَّالين إلى الثّأر والانتقام والأنفة من الضّيم ، وما من عَرَبي يرضى أنْ يُدير لضاربه خدّه الأيسر إذا ضربه على خدّه الأيمن[2] .

ثُمَّ إنَّ المسيحيَّة كانت قد اختلطت تعاليمها بالفلسفة الأفلاطونيَّة الحديثة[3] ، ففقدت بساطتها ، وامتلأت بالشُّبهات والغُمُوض . يقول تايلور : "إنَّ أئمَّة اللاَّهوت في أفريقية والشّام قد استبدلوا بديانة المسيح عقائد ميتافيزيقيَّة عويصة ، ودعوا إلى العُزُوية والعُزلة ، وادَّعوا أنَّ القذارة من خصائص الرّهبنة ، ولم يكن للعبيد أمل في حاضر أو مُستقبل ، فلمَّا جاء الإسلام أبطل ذلك كُلَّه"[4] .

لذلك ؛ كان من العسير أنْ يشرب العَرَبُ هذه التّعاليم .

على أنَّ العَرَب خالفوا النّصارى في أشياء ، فالنّصارى يُحرِّمون الإبل وألبانها ، ولكنَّ العَرَب أحلُّوها ، والكَنيسة تُحرِّم تعدُّد النّساء ، والعَرَب يُعدِّدون ، والنّصارى يحظرون الطّلاق ، والعَرَب يستبيحونه[5] .

---

(1) الأعلاق النّفيسة ، 7/ 213 .
(2) المرأة في الشّعر الجاهلي ، 40 .
(3) تاريخ الفلسفة في الإسلام ، دي بور ، 26 .
(4) الدّعوة إلى الإسلام ، أرنولد ، 66 ـ 67 .
(5) صُبح الأعشى ، للقلقشندي ، 13/ 285 .

اضطهاد المسيحيَّة للمُسلمين واليهُود والعُلماء عامَّة:

لمَّا كان ابن رُشد هُو اليُنبوع الذي تفجَّر منه ماء العلم والحُرِّيَّة في أُورُوبا على زعم القسوس، وكان ابن رُشد أُستاذاً يتعلَّم عنده كثير من اليهُود، وقد اتُّهموا بنَشْر أفكاره وآرائه، ثُمَّ هُو ـ مع ذلك ـ مُسلم، صُبَّ غضب الكَنيسة على اليهُود والمُسلمين معاً، فصدر الأمر في آذار سنة 1492، بأنَّ كُلَّ يهُودي لم يقبل المعموديَّة في أيِّ سنٍّ كان، وعلى أيِّ حال كان، يجب أنْ يترك بلاد إسبانيا قبل شهر تمُّوز، ومَنْ رجع منهم إلى هذه البلاد عُوقب بالقتل، وأُبيح لهم أنْ يبيعوا ما يملكون من عقار ومنقول بشرط أنْ لا يأخذوا في الثَّمن ذهباً ولا فضَّة، وإنَّما يأخذون الأثمان عُرُوضاً وحوالات. ومَنْ ذا الذي يشتري اليوم بثمن ما يأخذه بعد ثلاثة أشهر بلا ثمن؟ (يعني أنَّ أموال اليهُود تكون مُباحة بعد جلائهم الذي تمَّ في تمُّوز).

ثُمَّ تلا صُدُور أمر تُوركماندو أنْ لا يُساعدهم أحد من سُكَّان إسبانيا في أمر من أُمُورهم، وهكذا خرج اليهُود تاركين كُلَّ ما يملكون، ناجين بأرواحهم، على أنَّه لا نجاة لكثير منها، فقد اغتالها الجُوع ومشقَّة السَّفر، مع العدم والفقر.

وفي شُباط سنة 1502، نُشر الأَمْر بطرد أعداء الله المغاربة (المُسلمين) من أشبيلية وما حولها؛ فمَنْ لم يقبل المعموديَّة منهم يترك بلاد إسبانيا قبل شهر نيسان، وأُبيح لهم أنْ يبيعوا ما يملكون على الشَّرط الذي وُضع لليهُود، ولكنْ؛ وُضع للمسلمين شرط آخر وهُو أنْ لا يذهبوا في طريق يُؤدِّي إلى بلاد إسلاميَّة، ومَنْ خالف، فجزاؤه القتل.

فهؤلاء المساكين نُفوا جميعاً إلى القتل، إنْ لم يكن قتل الجزاء عند الرُّجُوع، فالموت مُلاقيهم بالتّعب مع العُري والجُوع.

هذا؛ وإذْ يُحرق بالنّار (برونو) حيّاً بعد حبس طويل عام 1600؛ لأنَّه قال بقول الصُّوفيَّة في وحدة الوُجُود، وقال: إنَّ هذا العالم يحتوي على عوالم كثيرة (الحمد لله ربِّ العالمين).

ظهر القول بكُرويَّة الأرض.. ذلك الأمر الذي عرفه المُسلمون، وصار رأياً لهم في أوَّل خلافة بني العبَّاس، ولم تترك له شعرة في بدن، لقول الرّحمن جل وعلا: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾[1].

كُلُّ ذلك أحدث إضراباً شديداً في عالم النّصرانيَّة.

وإنَّ ما قصده كريستوف كُولمب من السّفر في المُحيط الأطلنتي لعلَّه يكتشف أرضاً جديدة كان من الأُمُور التي اهتمَّت بها الكَنيسة، وحكم مجمع سلامانك بأنَّه مُخالف لأُصُول الدِّين، ثُمَّ أُعيد النَّظَر فيه على أقوال الآباء من كريز يستوم وأُوغستين وجيروم وغريغوار.. وعلى رسائل الرُّسُل والأناجيل والنُّبُوَّات والزّبور والأسفار الخمسة، ولم يُنتج هذا العرض شيئاً، ولكنْ؛ ساعده على ما قصد بعض المُلُوك رغم الكَنيسة كما هُو معلوم. قال كريستوف كولمب: إنَّ الذي أوحى إليه هذا القصد النّبيل هي كُتُب ابن رُشد. ومن هُنا؛ نفهم لِمَ قامت له الكَنيسة، وقعدت.

---

(1) سُورة الأنبياء، آية: 44.

ما أشدّ تمسُّك الكَنيسة بهذا الأصل الجليل "السُّلطة للقسوس، والطّاعة على العامّة". كُلُّ رأي لم يصدر عن ذلك المصدر الدِّيني الذي يربط ويحلّ في الأرض والسّماء فهُو باطل تجب مقاومته بكُلّ ما يُستطاع. لهذا حُكم على غاليلي الذي ذهب إلى أنَّ حَرَكَة الكوكب هي على النّظام المعروف عند الفلكيِّين اليوم[1].

محكمة التّفتيش ومُراقبة المطبوعات[2]:

أُنشئت المُراقبة على المطبوعات، وحتِّم على كُلّ مُؤلِّف وكُلّ طابع أنْ يعرض مُؤلَّفه أو ما يُريد طبعه على القسِّيسين أو المجلس الذي عُيِّن للمُراقبة. وصدرت أحكام المجمع المُقدَّس بحرمان مَنْ يطبع شيئاً لم يُعرَض على المُراقب، أو ينشر شيئاً لم يأذن المُراقب بنَشْره، وأُوعز إلى هذا المُراقب أنْ يُدقِّق النَّظَر حتَّى لا ينشر ما فيه شيء يُومئ إلى مُخالفته العقيدة الكاثوليكيَّة، ووُضعت غرامات ثقيلة على أرباب المطابع، يُعاقبون بها فوق الحرمان من الكَنيسة (كأنَّ الحُكُومة العُثمانيَّة على ما تنشر بعض الجرائد أخذت نُسخة من قرار المجمع المُقدَّس لتُجري عليه مُراقبة المطبوعات، ولكنْ؛ للسِّياسة، لا للدِّين).

وأُنشئت محكمة التّفتيش لمُقاومة العلم والفلسفة عندما خيف ظُهُورهما بسعي تلامذة ابن رُشد وتلامذة تلامذته، خُصُوصاً في جنوب فرنسا وإيطاليا.

---

(1) الإسلام والنّصرانيَّة، الشّيخ مُحمَّد عبدو، طبعة ثانية، عام 1323هـ، ص43ـ44.

(2) الإسلام والنّصرانيَّة، الإمام مُحمَّد عبده، مُفتي الدّيار المصريَّة.

وقامت المحكمة بأعمالها حقّ القيام، ففي مُـدَّة ثمـاني عشـرة سنة مـن عام 1481 إلى 1499، حكمت على عشرة آلاف ومـائتَيْن وعشـرين شـخصاً بأنْ يُحرقوا وهُم أحياء، فأُحرقوا، وعلى ستَّة آلاف وثمانمائة وستِّين بالشّـنق بعد التّشهير، فشهِّروا، وشُنقوا، وعلى سبعة وتسعين ألفـاً وثلاثة وعشـرين شخصاً بعُقُوبات مُختلفة، فنُفِّذَتْ، ثُمَّ أُحرقت كُلُّ توراة بالعبريَّة.

ووسيلة هذه المحكمة الحبس والتّعذيب بـأنواع حتَّى الاعـتراف بـالجُرم المطلوب والمنسوب إليه للحُكْم عليه، والتّنفيذ.

ثُمَّ قرَّر مجمع لاتران عام 1502، أنْ يلعن كُلَّ مَنْ نظر وينظر في فلسفة ابن رُشد، وطفق الدُّومينكان يتَّخـذون مـن ابـن رُشـد ولَعْنـه، ولِمَـنْ ينظر في كلامه شيئاً من الصّناعة والعبادة، لكنَّ ذلك لم يمنع الأُمراء وطُـلاَّب العُلُـوم من كُلِّ طبقة من تلمُّس الوسائل للوُصُول إلى شيء من كُتُبـه وتحليـة العُقُـول ببعض أفكاره.

اشـتدَّت محكمـة التّفتيـش في طلـب أُولئـك المُجرمـين طُـلاَّب العلـم والسُّعاة إلى كَسبه. ونيط بها كَشْف البدعة والحُكم فيها مهما اشـتدَّ خفاؤهـا في المُدُن والبُيُوت والسّراديب والأنفاق والمخازن والمطابخ، حتَّى في المغـارات والغابات، وفي الحُقُول، فوفَّت بما كُلِّفَـتْ بـه مـع البهجـة والسُّـرُور اللاَّئقَيْـن بأصحاب الغَيرة على الدِّين؛ عملاً بالقول الجليل (ما جئـتُ لأُلقـي سـلاماً، بل سيفاً).

كـان يُؤخـذ الرُّهبـان مـن صوامعـهم، والقسـوس مـن كَنائسـهم، والأشـراف مـن قُصُورهـم، والتُّجَّـار مـن بـين بضائعـهم، والصُّنَّـاع مـن

مصانعهم، والعامَّة من بُيُوتهم ومزارعهم، وحيثُما وُجدوا، وأينما ثقفوا، ويُوقَفون أمام المحكمة، وتصدر الأحكام عليهم يوم اتِّهامهم.

قرَّر مجمع لاتران أنْ يكون من وسائل الاطِّلاع على أفكار النّاس الاعتراف الواجب أداؤه على المذهب الكاثوليكي أمام القسِّيس في الكَنيسة (أيْ الاعتراف بالذُّنُوب طلباً لغُفرانها) تذهب البنت أو الزَّوجة أو الأُخت لأجل الاعتراف بين يدَيْ القسِّيس يوم الأحد، فيكون ممَّا تُسأل عنه عقيدة أبيها أو زوجها أو أخيها، وما يبدو على لسانه في بيته، وما يظهر من أعماله بين أهله. فإذا وجد القسِّيس مُتلقِّي الاعتراف شيئاً من الشُّبهة في طلب العلم غير المُقدَّس على مَنْ سأل عنه رفع أمره إلى المحكمة، فينقضّ شهاب التُّهمة عليه. فإذا سأل عن الشّاهد الذي عُوِّل عليه في اتِّهامه لا يُجاب، وإنَّما يُقام التّعذيب مقام شخص الشّاهد، وهُو من أهله حتَّى يعترف.

هذه المحكمة المُقدَّسة أوقعت الرُّعب في قُلُوب أهل أُورُوبا، ممَّا خُيِّل لكُلٍّ مَنْ يلمع في ذهنه شيء من نُور الفكر إذا نظر حوله، أو التفت وراءه أنَّ رسول الشُّؤم يتبعه، وإنَّ السّلاسل والأغلال أسبق إلى عُنقه ويدَيْه من وُرُود الفكرة العلميَّة إليه، وقال باغلياديس ما كان يقوله جميع النّاس لذلك العهد: (يقرب من المُحال أنْ يكون الشّخص مسيحيّاً، ويموت على فراشه).

حكمت هذه المحكمة من يوم نشأتها عام 1481 إلى عام 1808، على ثلاثماية وأربعين ألف نسمة منهم مائتَا ألف أُحرقوا بالنّار أحياء[1]..

---

(1) مقالة الإمام مُحمَّد عبده مُفتي الدّيار المصريَّة، كتاب الإسلام والنّصرانيَّة، 39 ـ 43.

المرأة المسيحيَّة كَهَنُوت المرأة:

لم يكن ثمَّة نساء بين الرُّسُل، بيد أنْ تحوُّلاً ظهر يوماً؛ إذْ حلَّ رُوح القُدُس على التّلاميذ المُجتمعين حول "مريم وبعض النّساء".

فالنّداء كان مُوجَّهاً للنّساء، وقد سُمع. وإنْ تكنْ الطّوائف الفلسطينيَّة الأولى قد استبعدت فكرة الكَهَنُوت النّسائي، ولو على الصّعيد المادّي البحت، فإنَّ الضّرورة سُرعان ما فرضت نشاطاً رسوليّاً على النّساء، فربَّات البُيُوت هُنَّ اللّواتي كُنَّ يستقبلنَ في دُورهنَّ سرّاً ـ مُعظم الأحيان ـ الجمعيَّات المسيحيَّة/ شأن مريم أمّ مرقس الإنجيلي، التي اختبأ عندها بُطرُس ليلة هُرُوبه[1].

وقد قامت المسيحيَّة في أوَّل عهدها على جهد النّساء إلى حدٍّ كبير، فكُنَّ مُبشّرات، وكُنَّ يهبنَ لها المال، ويذعنها في حماسة، وقد اعتُرف بهنَّ قسّيسات[2]. وبلغت القسّيسات عشرات[3]، وأظهرت المُبشّرات كثيراً من ضُرُوب الشّجاعة والإيمان والتَّمسُّك بالعقيدة، واحتملنَ العذاب راضيات[4].

يذكر الكاهن الرُّوماني والشّهيد المسيحي هيبوليتس أعمال مريم المجدليَّة، التي يُطلق عليها اسم رسولة الرُّسُل، والإسكندراني كليمنتس يُؤكّد على الأهمّيَّة البالغة لمُشاركة النّساء في نشاط الرّجال التّبشيري، بُغية حمل تعليم السيِّد المسيح إلى بُيُوت النّساء من دُون إثارة الشُّكُوك.

---

(1) المرأة عبر التّاريخ، مونيك، 104.

(2) المرأة في الشّعر الجاهلي، دجوني، 41.

(3) تاريخ العالم عدد 7، مُجلَّد 1، ص193.

(4) المرأة عبر العُصُور، أحمد زكي، 31.

وقد جاء في رسالة بعث بها بلينوس الفتى حاكم بيثينيا بعد الميلاد إلى الإمبراطور تراجانوس في عام 111-112م (لقد رأيتُ من الضّرورة أنْ أنتزع باللُّجُوء إلى التّعذيب، معلومات من خادمتَيْن يُطلقون عليهما اسم شمّاسة) والحال أنَّ الرُّومان ما كانوا يلجؤون إلى هذا الأُسلُوب (التّعذيب) إلاَّ مع الرّقيق، إذنْ؛ فكان بلينوس يعتبر تلك الشّمّاستَيْن من الفئة الدُّونيَّة.

ففي كَنائس اليُونان في القرن الثّالث وكَنائس المشرق، كانت وظيفة الشّماسة تُمارَس من قبَل نساء، ولخدمة النّساء، تماماً كما كانت وظيفة الشّمَّاس يُؤدِّيها الرّجال من أجل الرّجال.

ووظيفة شمَّاس تنطوي على جُملة من المهامّ الخيريَّة والتّربويّة والوُقُوف على أبواب الكَنائس للاستقبال، والسّهر على استتباب الأمن والنّظام في الجمعيَّات الدِّينيَّة وقراءة الكُتُب المُقدّسة.

والشّمَّاسات كُنَّ يُساعدنَ الكَهَنَة على مَنْح الأسرار في الحالات التي كانت فيها الحشمة تقضي تدخُّلاً نسويّاً، وكُنَّ يحملنَ القُربان المُقدّس للنّساء المريضات.

إنَّ ولادة الرّهبنة النّسويَّة أعطت النُّور، فالشّمَّاسة أُطلق - في البداية - على الرّاهبة الحبيسة، التي تُشرف على إدارة الدّير، وكانت ترتقي المنبر لقراءة الإنجيل، وتتمتّع بحقّ التّبخير، وتناول القُربان للرّاهبات، بل للنّساء والأولاد في غياب الكاهن. ثُمَّ انتقلت هذه الصّلاحيّات - فيما بعد - إلى رئيسة الدّير، ثُمَّ تراجعتْ، وبقي من الوظائف النّسويّة التي عرفتها الكَنيسة.

1 ـ دور رئيسة الدّير في القُرُون الوُسْطَى وُجُودها في عمادة النّساء البالغات .

2 ـ نشيد جوقة الرّاهبات الحبيسات .

3 ـ نشاط الرّهبانيّات النّسائيّة في عيادة المرضى ، وفي تعليم الأولاد والفتيات والنّساء ، وفي توجيههم الرُّوحي .

غير أنَّ المرأة لم تقم ذات يوم بخدمة عباديَّة حقيقيَّة .

أمَّا الدُّخُول إلى القسوسة ، أيْ إلى الكَهَنُوت الفعلي ؛ كان ـ ومايزال ـ محظوراً ـ تماماً ـ على المرأة[1] .

الكَنيسة والمرأة:

تميَّز موقف الكَنيسة من المرأة في القُرُون الوُسْطى بازدواجيَّته ، وبتأرجحه المُستمرّ بين التّعظيم والتّشهير بين مريم وحوَّاء ، وقد كانت لدى الكَنيسة رغبة في ترقية المرأة ، ولكنْ ؛ كان لديها ـ أيضاً ـ رغبة في الإبقاء على خُضُوعها المُزمن ، اعتقاداً منها بأنَّه ينسجم مع نظام الكون والأشياء .

القانون الكَنَسي :

إنَّ القانون الكَنَسي الذي وُضِعَتْ نُصُوصه الأساسيَّة في القرنَيْن الثّاني عشر والثّالث عشر[2] لم يُعد النَّظَرَ في مُساواة الرّجل والمرأة من منظور

---

(1) الحياة الكَهَنُوتيَّة والحياة الاجتماعيَّة ، أنطوان هامان ، 68 . المرأة عبر التّاريخ ، مونيك .

(2) مرسوم غراسيانوس عام 1140 ، ومراسيم غريغوريوس عام 1234 ، وصلاة السّاعة السّادسة لبونيفاسيوس الثّامن عام 1298 .

خلاصهما، لكنّه عندما حدَّد مكانة المرأة في الحاضرة الأرضيَّة لـم يكفّ عن التّذكير بأنَّ هذه المكانة لابُدَّ أنْ تكون ثانويَّة.

هذا، وقد مُنعت المرأة من الدُّخُـول إلـى الكَهَنُوت، كمـا حُرِّم عليـها مُمارسة أيّ وظيفة طُقُوسيَّة. لم يكن يُسمَح لـها بـأنْ تُصبـح حتَّـى قندلفتـة، كذلك لم تُقبَل في أيَّة هيئة قضائيَّة كَنَسيَّة.

كـان الأسـاس القـانوني لـهذه المحظـورات مُسـتوحى مـن القـانون الرُّوماني، فالوظائف العامَّة والمناصب المسؤولة وَقْفٌ على الرّجال، إنَّـها وظائف رُجُوليَّة لاهوتيَّة كما أبرزها القدِّيس بُولُس. كـانت تـتردَّد باستمرار بقلم قانونيٍّ الكَنيسة ورجال القانون بصُورة عامَّة، 'المرأة هي علَّة الخطيئـة"، لذا؛ فهي من زاوية ما عُضو ناقص وعُضو غير كامل من الشّعب المسيحي، "فـهي ليسـت علـى صُورة مجـد الله، وإنَّمـا علـى صُـورة الإنسـان الـذي صُنعت منه"[1].

إذا ما طرأت استثناءات على القواعد المنصوص عنها، فما كـان يجـوز تبريرها بالاستشهاد في السَّوابق التَّوراتيَّة.

(ذلك أنَّ الشّريعة القديمة قد أضحت باطلة، وحلَّ مكانها نظام النّعمـة الذي ينبغي على المرأة في ظلّه أنْ تكون مُحتشمة وخاضعة للرّجل؛ لأنَّها هي علَّة الخطيئة الأصليَّة التي قادت المسيح إلى عذاب الصّلب)[2].

---

(1) المادَّة 133 والحاشيَّة العاشرة من القانون الكَنَسي.

(2) مرسوم غراسيانوس.

الواقع التّاريخي:

إنَّ الواقع التّاريخي فَرَضَ مواقف أكثر مُرُونة.

فالمؤسَّسات الفرنسيَّة تطوَّرت تحت تأثير الأعراف الجرمانيَّة بوجه خاصٍّ، وقد أُتيحت للمرأة فُرصة الارتقاء إلى مناصب مسؤولة. وقد اضطُرَّت الهيئات العُليا في الكَنيسة إلى أنْ تعهد إلى ملكات وإلى وصيَّات على العرش بمهمَّات زمنيَّة، بل رُوحيَّة أيضاً، مع منحهنَّ سُلطات قضائيَّة.

فالقدِّيس غريغوريوس عهد إلى الملكة "برونوهو" بمهامّ قمعيَّة، وبسُلطة قضائيَّة على رجال الدِّين، أمَّا غريغوريوس الخامس؛ فقد دعا الملكة كونستانس زوجة الملك روبير الورع إلى التَّدخُّل في شُؤُون الأُسرة المالكة خدمة لمصلحة الكَنيسة.

كذلك تغلَّب العُرْف الإقطاعي على القانون الرُّوماني.

فاعترف البابا إينوشنسيوس الثّالث بمَنْح الملكة آليينور داكويتين ـ دوقة آكويتين ـ الطّلاق، فتزوَّجت لويس السّابع ملك فرنسا، ولمَّا طلقها، تزوَّجت ـ ثانية ـ من هنري بلانتاجينه، الذي أصبح ملك إنكلترا.

حقّ مُحاكمة النّاس، فالنّظام الإقطاعي كان ـ في الواقع ـ قد ربط السُّلطات والحُقُوق بالأرض، لا بالشّخص.

لذا؛ كانت ملكات الإقطاعات يُمارسنَ سائر حُقُوق الحُكْم والعدل المُتعلِّقة بأملاكهنَّ، حتَّى ولو كان أتباعهنَّ أو رَعَاياهُنَّ من رجال الدِّين[1].

---

(1) تاريخ الحضارات، الحياة الكَهَنُوتيَّة والحياة الاجتماعيَّة، ا. هامان.

سُلطة رئيسات الأديرة:

كانت رئيسات الأديرة قد ورثنَ عن شمّاسات الماضي سُلطانهنّ وصلاحيّاتهنّ في ارتقاء المنبر، وفي تلاوة الأناجيل، وفي منح البركة للرّاهبات الحبيسات، وفي تعليمهنّ، وكذلك في تعليم الرُّهبان العاملين والرّاهبات العاملات، وكُنَّ يُعرِّفنَ راهباتهنّ، ويُحلّلنَ خطاياهنّ.

وعندما نزع النّظام الإقطاعي إلى تحويل الأديرة إلى إقطاعات فعليَّة، مُنحت رئيسات الأديرة سُلطات واسعة، فقد أصبحنَ من كبار مسؤولي الكَنيسة.

يُعيِّنَّ منْ يشأنَ لمناصب الكَنيسة، ويدعنَ إلى عقد سينودس، بل يُحاكمنَ الكَهَنَة عن طريق القاضي الأُسقُفي التّابع لهنّ.

حتّى إنَّ البابا باسكال الثّاني مَنَحَ الرّئيسة سُلطة واسعة على الرّاهبات الحبيسات لكلمات المسيح على خشبة صلبه لأُمِّه وهُو يُشير إلى يُوحنّا: يا أيّتها المرأة! هذا ابنك، وإلى تلميذه الحبيب، وهُو يُشير إلى أُمِّه، هذه أمّك.

هذا؛ وكان القانون الكَنَسي يسعى جاهداً إلى الحَدِّ من استقلاليَّة الرّاهبات الحبيسات، وبوَضعهنّ تحت سيطرة الذُّكُور عليهنّ من الأساقفة ورُؤساء الأساقفة.

وعلى الرّغم من القُيُود التي فرضها القانون الكَنَسي على الرّاهبات الحبيسات، فإنَّ الهيبة والعزَّة اللّتَيْن أحاطتا بالأديرة النّسويَّة ساعدتا على تحقيق ترقية أكيدة للمرأة.

فالقدِّيس سيزير فرض نظام على الرّاهبات أنْ يُجدنَ القراءة، وقد أثبتت الرّاهبات قبل أنْ تُصبح الثّقافة علمانيَّة أنَّ النّساء لسنَ دُون الرّجال مقدرة على الاغتراف من منهل العلم[1].

عداء الكَهَنَة للمرأة:

أبدت الكَنيسة عن عطف وتفهُّم واقع المرأة القاسي، وأخذت تسعى إلى تحقيق ترقية المرأة معنوياً لما تسديه من الاهتمام بمصير الضُّعفاء البُلهاء المعتوهين فاقدي الأهليَّة والأهليَّة العقليَّة، والمرضى والمرض المُزمن النّفسي، لا إلى تحريرها لما فيها من شرّ وعار وصُعُوبة وآلام ويُؤس الحقّ النّسائي فيها، لأنَّ المرأة هي التي تُقوِّي على الإغواء بالخطيئة، وتقود إلى التّهلكة على إبعاد الرّاهب عن الطّريق القويم الذي يهدي إلى الله. هذه الصُّورة تُهيمن على أدب كَنَسي بأكمله، لأمل أنْ تصرف الكَهَنَة عن الزَّواج، والعبارات المُستخدمة بينهم هي من الحدَّة والفظاظة؛ بحيثُ يصعب على قلم مُهذَّب نَقْلها.

هذا الموقف الصّارم جاء في الواقع كردَّة فعل على الفُسق الذي ساد في القُرُون الوُسْطى التّاسع والعاشر والحادي عشر، وحتّى الكُرسي الرّسولي لم يكن بمنأى عن المكايد النّسائيَّة، ونخصُّ من بينها بالذِّكْر دسائس الأميرة تيودورا وابنتها ماروزيا خليلة البابا سيرجيوس الثّالث، وقاتلة البابا يُوحنَّا العاشر، والتي استطاعت أنْ تجعل ابنها يُوحنَّا الحادي عشر يجلس على عرش بُطرُس.

---

(1) وضع المرأة في الكَنيسة، هنري رولية.

وقد سعت قوانين الأديرة جاهدة لنصب حاجز منيع بين الرّاهب والمرأة .

فقوانين دير كلوني على سبيل المثال كـانت تمنـع منعـاً باتّـاً أنْ تجتـاز أيُّ امرأة سياج الدّير الخارجي ، وأمَّا رُهبـان سـيتو (بلـدة في فرنسـا) ؛ فقـد كـانوا يرفضون اليد العاملة النّسائيَّة في مزارعهم[1] .

وقد سعت قوانين الأديرة جاهدةً لنصب حاجز منيع بـين الرّاهـب والمرأة ، ولو كانت المرأة التي تطرق باب الدّير متسولّة لكان البوّاب مُلْزَماً بطَرْدها .

وقد أبـرز الفـنُّ اللاَّتيني صراع الرّاهـب ضـدَّ ابنـة حـواء مُؤكِّداً على صُورة "المرأة الأفعى" ؛ ممَّا يلفت الانتباه أنَّ هذا الرّمز قد رأى النُّور في منطقتَيْ نُفُوذ الكاتاديِّين .

لكنَّ موقف اللاَّهوتيِّيـن كـان يعتمـد علـى حُجـج مُستقاة مـن الطّبيعـة والعقل ؛ فالطّبيعة البشريَّة تبلغ ذروة كمالها في الرّجل ، أمَّا المرأة ؛ فهي شكل من أشكال قُصُور الطّبيعة ، وهي بطبيعتها دُون الرّجل قيمة وكرامة .

لقد خُلق الرّجل لأنبل الأعمال ، في حين خُلقَت المرأة لتأمين النّسل .

غـير أنَّ القدِّيس تُومـا يعـترف بعـد أرسـطوطاليس بـأنَّ اتِّحـاد الرّجـل والمرأة يتجاوز مهمَّـة الإنجـاب ، وهُـو يشـير إلـى تعـاون الزَّوجَيْـن في الحيـاة المنزليَّة ، مع تأكيده على أولويَّة الأب الذي يستحقُّ الحبَّ أكثر مـن الأُمّ . مـع رفض خُضُوع المرأة للرّجل بالإذلال ، كما أنَّه أقام تمييزاً بـين الطّبيعـة الخاصَّـة التي تعتبر المرأة بالنّسبة إليها قُصُوراً وبين الطّبيعة الشّاملة والكَونيَّة ؛ أيْ نظـام الخلق الذي لا مكان فيه للقُصُور والعيُوب .

---

(1) تاريخ الأديرة وقوانينها ، المؤلِّف مجهول .

لكنْ؛ ندَّد جان كلوبينـل "ومونـغ" - باسـم الطّبيعـة والعقـل - بالرُّوحانيَّة الفُرُوسيَّة وبالحُبِّ الغزلي، اللّذَيْن جعلا من المرأة موضُـوع عبـادة. بيـد أنَّه لـم يُعاد المرأة بعقليَّة رجل الكَنيسة، ولم تعـد المرأة ترمـز إلاَّ إلـى الغـدر والفسـاد، وما عاد الحُبُّ إلاَّ غريزة، وحتَّى ذلك التّاريخ من أواخر القرن الثّالث عشر لـم تكن الرُّوحانيَّة الغزليَّة قـد اصطدمـت بعقبـات أُخرى غـير الإباحيَّـة والـهجاء، ومع هذا الفكر تحولَّت النّزعة المُعادية للمرأة إلـى مذهـب وإلـى جُزء من نظام كامل. فالبُورجوازيَّة نزعت إلى فرض تصوُّر منيق للغاية عن دور المرأة، فيرى فيليـب دُو نُوفـار أنَّ المـرأة لا تحتـاج إلـى تعلُّـم القـراءة والكتابـة إلاَّ إذا كـانت ستُصبح راهبة، وأنَّ مجالها الوحيد هُو أسرتها، وفضيلتها المُثلى الطّاعة[1].

وقد أضاف الكَهَنَة صوت مزمارهم إلى جوقة البُورجوازيَّة كجيرسـون اللاَّهوتي البارز وعميد جامعة كراكوفيا، الذي أكَّد أنَّ كُلَّ تعليم للنّساء لابُدَّ أنْ يُعتبر مشبوهاً..

مِمَّا تقدَّم؛ نستغرب كيف كانت مراحل تحرُّر المرأة قد تطابقت - في مُعظـم الأحيـان - مـع مراحـل عَلْمَنَـة الفكـر؟ فـالحُبُّ الغزلـي سـجَّل انتصـار الرّجـل العلماني على رجل الدِّين، وهذا ما سيحدث في عصر النّهضة أيضاً[2].

إلاَّ أنَّ الصَّوت المُعارض ارتفع ضـدَّ تشـهير دُو مُونـغ بـالمرأة؛ كصـوت كريستين دي بيزان الفرنسيَّة (مواليد البُندقيَّة) وهي تُندِّد بما تنطوي عليه عبادة الطّبيعة مـن تجـنٍّ خبيـث ومُلتبس علـى المـرأة، وطـالبت للنّسـاء بحقِّـهنَّ في

---

(1) تاريخ الأدب الفرنسي، جُورج لانسون. وتاريخ الحضارات والمرأة عبر التّاريخ.

(2) حاضرة السيِّدات، كريستين.

التّحصيل العلمي، ودافعت عن بنات جنسها المُفترى عليهنّ في مُؤلّفاتها التي حملت عبيق أجواء جديدة سبح بها القرن الخامس عشر، ودشّنت بهم احتجاجات النّسوة، التي لن يعرف هوادة حتّى عصر النّهضة الزّاحف الذي بات على أبواب قرن النّهضة الخامس عشر[1].

تحرير المرأة والعناية بها في نظام العائلة البلشفي الشُّيُوعي الرُّوسي:

قامت العائلة على أُسُس جديدة مُنذُ الثّورة الحمراء البلشفيّة، فنرى العائلة التّقليديّة المبنيّة على دُونيّة المرأة وعلى طابع الزّواج الدّيني المُمتنع الانفساخ وسُلطة الأب المُطلقة تنهار بفعل عَلْمَنَة الزّواج وزوال سُلطة الزّوج المُطلقة.

وقد حدّدت الثّورة حيال الأولاد حُقُوق الرّعاية والتّمثيل وواجبات العناية في استشارات طبّيّة للحبالى والرُّضّع، وأجازت للحبالى لمُدّة 35 يوماً قبل الوضع و28 يوماً بعده في مُؤسّسات الدّولة ومشاريعها، ولمُدّة شهر قبل الوضع، وشهر بعده لنساء التّعاونيّات الزّراعيّة، كُلٌّ ذلك أدّى إلى تخفيض نسبة الوفيّات بين الأطفال، وخاصّة في تقديم الثّورة الحمراء البلشفيّة المجهود في مجّانيّة الخدمات الطّبّيّة من تجهيز البلاد بالمُؤسّسات الصّحّيّة من مُستوصفات، ودُور توليد، ومُستشفيات، ومُستشفيات التّدريب، والتّربية والتّعليم. وبرز مفهوم جديد للعلاقة بين الزّوجَيْن، التي بُنيت على المُساواة الكُلّيّة بينهما، وشرعيّة الزّواج الواقع المُعفى من كُلّ تسجيل، والطّلاق برضى الطّرَفَيْن، أو بناءً على رغبة أحدهما المُعلَنة، وإبطال التّمييز بين الأولاد الشّرعيّين والأولاد غير الشّرعيّين.

---

(1) رواية الوردة، جان دي مُونغ.

واستهدف قانون صدر في عام 1920، حول حماية صحّة المرأة، ومنع الإجهاض في الخفاء، وبإجازة الإجهاض تحت شُرُوط مُعيَّنة.

وهكذا تحـرَّرت المـرأة والأولاد مـن وَضْعـهم القـانوني الدُّونـي، بينمـا خفَّفت ملاجئ الأطفال وحدائقهم ومحـلاَّت البيـع مـن العُمَّـال في المشـاريع والمطـاعم النّقابيّـة والتّعاونيّـة وتبييـض الأنسـجة الصّناعيّـة.. مـن أعبـاء أُمّ العائلة، وحرَّرتها من عُبُوديَّات الحياة المنزليَّة، وذلك نتيجة لسَعْي المسـؤولين وراء تحقيق المُساواة المُطلقة بين الجنسَيْن، التي ينصُّ عليها القانون، وهـذا ما أتاح للأُمَّهات تمثيل نسبة كُبْرَى في الصّناعة حتَّى الثّقيلـة منـها؛ حيثُ بلغـت هـذه النّسبة 50٪، والعمـل في مـهن تُعتبَر في البُلْـدان الأُخـرى محصُـورة في الرّجـال، ومُمارسـة وظـائف قياديّة في مزارع التّعاونيّة (20٪ مـن وظـائف المُديرين أُسندت إلى النّساء) أو المصانع والمجالس على مُختلف مُستوياتها[1].

قـال لينـين: إنَّ تحرُّر المـرأة المظلومـة علـى أيـدي المظلومـين في البُلـدان الآسيويَّة ثورة وضعـت حـداً لعُزلتـها، ولارتـداء الحجـاب، وفتحـت أمامـها أبواب المدارس والجامعات والمصانع والحياة العامَّة.

لا، بل إنَّ التّدابير الكثيرة التي حسَّنتْ وَضْع المرأة الحبلى أو أُمّ العائلـة واستقرار المُجتمع عند تنفيذ الخُطط الخمسيَّة الذي اسـتلزم يـداً عاملـة نسـائيَّة وفيرة وزيادة الطّاقة البشريَّة التي اسـتوجبت اتِّبـاع سياسـة تشـجيع الـولادات والعائلات، التي بـرزت مُنـذُ عـام 1936، بمَنْـع الإجـهاض إلاَّ تحـت شـروط مُعيَّنـة، وبتدابير اسـتهدفت إرسـاخ وثـائق الـزّواج بـالحَدِّ مـن عـدد الطّـلاق

---

(1) تاريخ وأنظمة رُوسيا الحمراء، العهد المُعاصر، مُوريس كروزيه، 138.

وتكراره، ويفرض عقوبات صارمة على مَنْ يتخلّى عن عائلته، أو يمتنع عن دفع النّفقة المترتّبة للأمّ والأولاد[1].

الشّيوعيّة الجنسيّة:

إنّ نظام الزّوجة الواحدة أقرب أنظمة الزّواج إلى الطّبيعة الإنسانيّة. في هذا النّظام تكون الملكيّة الفرديّة والخاصّة - وهي غير ملكيّة الثّروة طبعاً - هي الحاكمة في هذا النّظام، ويرى كُلٌّ من الزّوجَيْن المشاعر والعواطف والتّوجّه الجنسي لدى صاحبه ملكاً خاصّاً به، ولا حقّ لغيره فيه.

يُقابل هذا النّظام نظام تعدّد الزّوجات، أو الزّواج الاشتراكي، ويُمكن تقسيم هذا النّظام إلى عدّة أنواع؛ منها:

النّوع الأوّل: طلب الرّجل البنت من أبيها للزّواج، فيدفع المطلوب، فتنتقل إليه، ومن حصيلته الولد المولود معروف الأب.

النّوع الثّاني: أنْ يُرسل الزّوج زوجته إلى رجل للاستبضاع من أجل أنْ تلد له ولداً أفضل، وتبقى تحته حتّى يظهر الحمل.

النّوع الثّالث: أنْ يتّفق أقلُّ من عشرة رجال مع امرأة، ويُواقعونها، فإذا حملت ووضعت استدعتْهُم، وعيّنتْ مَنْ أرادت أنْ يكون أباً لولدها.

النّوع الرّابع: الزّواج من المرأة التي تُعرَف بالفاحشة، والتي يستطيع أيُّ رجل من إتيانها، وإذا حملت ووضعت استدعَتْ

(1) تاريخ وأنظمة رُوسيا الحمراء، العهد المُعاصر، موريس كروزيه، 306.

النّوع الرّابع : الزّواج من المرأة التي تُعـرَف بالفاحشـة ، والتـي يستطيع أيّ رجل مـن إتيانـها ، وإذا حملـت ووضعـت استدعَتْ الجميع الذين واقعوهـا وكاهنـاً وعرّافـاً لبيـان لمَنْ يُنسَب المولود ، ويُصبح الولد رَسْميّاً وقانونيّاً .

ومن هذا نفهم أنّ الشّيوعيّة الجنسيّة لا تختصّ أحداً من أحـد إطلاقـاً ؛ أيْ لا تختصّ امرأة برجل مُعيَّن ، ولا رجـل بـامرأة مُعيَّنـة ، ولـذا أُطلـق عليـه اسم الشّيوعيّة . . حتّى إنّ الأب الثّـاني للشّيوعيّة في القـرن الأخـير فردريك إنجلـس اقـترح هـذه النّظريّة ، إلاّ أنّ العـالَم الشّـيوعي رفضـها ، ويُقـال إنّ الحُكُومـة السّـوفيتيّة عـام 1938 ، سنّت قوانـين تُؤيِّد قيـام العائلـة ، وتعتـبر الاقتران بزوجة واحدة هُو الزّواج الرّسْمي الشّيوعي[1] .

المرأة الفارسيّة:

لم تسمُ المرأة الفارسيّة إلى مكانة عُليا ، على أنّها كانت في نَظَر الرّجـال مُستمتعاً ، وهشّ العامّة لها ، ورضي بعض الخاصّة بها ، حتّى ناصرهـا الملـك قياذ عشر سنوات .

ثُمّ إنّه كان للفارسي أنْ يتصرّف في المرأة كما يتصرّف في سلعة ، بل لقد كان له أنْ يحكم عليها بالموت[2] .

ولم تتعلّم النّساء شيئاً سوى تدبير منازلهن[3] .

---

(1) نظام حقُوق المرأة في الإسلام ، الشّهيد آية الله مُرتضى المطهري .
(2) تحرير المرأة ، قاسم أمين ، 23 .
(3) تاريخ التّربيّة ، لقطان ، 1/ 116 .

ولا يُناقض هذه المكانة أنَّ ملَّك الفُرْس عليهم سنة 630م بُوران بنت كسرى أبرويز، فلبست التّاج، ووعدت الحاضرين أنْ تسير فيهم بأحسن سيرة، فنثروا عليها الجواهر، وأظهروا البشائر، ودام ملكها نحو سنة وأربعة أشهر، وماتت. ثُمَّ ملَّكوا بعدها آزرم دخت بنت كسرى نفسه، فلبست التّاج، ووعدت أنْ تعدل كما وعدت أختها، ولكنَّ مُلكها لم يمكث إلاَّ نحو أربعة أشهر، وماتت، أو سُمَّت[1].

وكان قُدماء الفُرْس يُبيحون للرّجل أنْ يتزوَّج ابنته وأخته الشّقيقة أو غير الشّقيقة[2]، ويُبيحون الأُمَّهات، والجَمْع بين الأُختَيْن[3]، فيتزوَّج الأب ابنته، والابن أُمَّه، والأخ أخته؛ لأنَّ الزّرادشتيه تُبيح ذلك[4].

وإذا كان الإيرانيُّون وبخاصَّة الـ (كبر) قد ادَّعوا في القُرُون الوُسْطَى أنَّ العقائد المجوسيَّة لم تحلّ المحارم، فإنَّهم يُخالفون الحقيقة الواقعة[5].

على أنَّ تعدُّد الزَّوجات كان مُباحاً، أقرَّتهُ شريعة زرادشت، كما أباحت التَّسرِّي واتِّخاذ الحظايا والخليلات[6].

وكان الحجاب شديداً على نساء الطّبقة الرّاقية، حتَّى لقد كُنَّ لا يخرجنَ إلاَّ في هوادج مُرخاة عليها السُّدُول، وكان محظوراً عليهنَّ أنْ

---

(1) الشّاهنامة للفردوسي، 2/ 261ـ262، ترجمة عزّام، وتاريخ الطّبري، 2/ 168، والمعوي.
(2) الأُسرة والمجتمع، 47.
(3) صُبح الأعشى، 13/ 295.
(4) قصَّة الحضارة الفارسيَّة، 59، ول ديورانت. وتاريخ الحضارة الإسلاميَّة، 62، بارتولد.
(5) تاريخ الحضارة الإسلاميَّة، 92.
(6) قصَّة الحضارة الفارسيَّة، 58ـ90.

يُخالطنَ الرّجال في مُجتمع عامٍّ أو خاصٍّ، بل لقد حيل بين المُتزوِّجات ورُؤية آبائهنَّ، أو إخوتهنَّ، أمَّا الفقيرات؛ فكُنَّ أحراراً في التَّنقُّل لاضطرارهنَّ إلى الكَدِّ والعمل، وكانت الخليلات والحظايا يتمتَّعنَ بقسط عظيم من الحُرِّيَّة؛ لأنَّ المفروض فيهنَّ أنَّهن يُرفِّهنَ عن سادتهنَّ، وعن ضيوفهم[1].

وكان الفُرْس يتشوَّقون إلى ولادة الذُّكُور، ويُغالون في تقديرهم، ويعدُّونهم ثروة اقتصاديَّة لآبائهم، وعُدَّة حَرْبيَّة لمُلوكهم.

أمَّا البنات؛ فكانت ولادتهنَّ تجلب اللَّوعة والحسرة، لأنَّ الغرض من تربيتهنَّ إعدادهنَّ لمنزل رجل آخر يجني فائدتهنَّ. وممَّا قاله الفُرْس إنَّ الرّجال لا يبتهلون إلى الله مُطلقاً من أجل البنات، وكذلك الملائكة لا تعتبر البنات بركة يجوز منحها للبشر[2].

---

(1) قصَّة الحضارة الفارسيَّة، 58 ـ 90.

(2) قصَّة الحضارة الفارسيَّة، 61، ول ديورانت.

الفصل الثّامن:

المرأة في عصر النّهضة

عصر النّهضة:

ـ لمحة:

عصر النّهضة وُلد في إيطاليا وسط فيض من الحياة والنُّور والإبداع الفنِّيّ.

وقد انتشر في بلاد الإنكليز قبل أنْ ينطفئ فيها تحت المَدِّ الرّجعي لمثل أعلى يدعو إلى التّزمُّت وإلى تحطيم الأيقونات.

لقد كان عصر النّهضة خالق حُرِّيَّات، فاحتُضر في العصبة الدِّينيَّة.

ولقد وُلدت تحت شارة الأفلاطونيَّة والمرأة المرفوعة إلى مصافّ المثال.

وانتهى العصر حيثُ كانت أسباب بدايته؛ أيْ في الفُسق والفُجُور وسُلطان المحظيَّات.

إنَّ عصر النّهضة ثورة العالم الحديث الأُولى، أوجدت المُعطيات الأُولى لتحرُّر المرأة، ثُمَّ أُغلق عليها بإحكام أبواب دارها، وفتح لها الدُّرُوب العريضة للثّقافة العقليَّة، وأوجد لها عالماً عقلانيَّاً من العلم والتّقنيَّة المُميّزة.

وحُكم على عداء الكَنيسة للمرأة بالتَّقهقر، بعد أنْ علمنَ الفكر، ونهلنَ من المنابع الوَثنيَّة.

غير أنَّ هذا العصر حثَّ المُشرِّع على التَّصلُّب بإصلاحاته للقانون الرُّوماني.

ممَّا تقدَّم يعني أنْ نتحدَّث عن فشل عصر النّهضة؟ وإنْ لم يكن هذا العصر قد مُني بالفشل، وإلى أيِّ حدٍّ نجح في زرع بُذُور تقدُّم حقِّ المرأة وتحسُّنه.

إنَّ مصير المرأة في الواقع مُنذُ ذلك العصر حتَّى أيَّامنا هذه لن يكفَّ عن التَّأرجح بين عالم مفتوح وآخر مُغلق في حياة المرأة ومكانتها الاجتماعيَّة وبين الوضع القانوني والعائلي المفروض عليها.

عصر النّهضة المفتوح:

إنَّ عالم النّهضة المفتوح يُقرُّ بعدم جواز لجم النّساء وإبعادهنَّ عن الملذَّات الشّريفة... إلى حُدٍّ حملهنَّ على الاندهاش بكُلِّ ما يُشاهدنَ، أُسوة بسُجناء طالت فترة حَبْسهم[1]، وكلماته التي تنضح بالعقليَّة اللِّيبراليَّة تشهد على أنَّ تزمُّت التّقاليد وقسوتها تجاه المرأة قد سجَّلا تراجعاً في القرن الخامس عشر بفعل إرادة الرّجل.

لقد كانت الظُّرُوف التّاريخيَّة مُؤاتية - حينذاك - لانفتاح العالم على المرأة، وقد لعبت المرأة - بالمُقابل - دوراً هامَّاً في ولادة مُثُل أعلى جديدة للإنسانيَّة.

---

(1) أنطونيو إيفانون، كاتب إيطالي، عام 1468م.

ففي وقت كانت فيه سائر الأقطار الغربيَّة ماتزال مُنهمكة في تشييد الكاتدرائيَّات، كانت إيطاليا تفتتح عصر القُصُور المبنيَّة حسب الذَّوق الشّخصي لأُمرائها وكبار تُجَّارها، وكان ذلك نذير تحوُّلات عميقة؛ فكان:

- صُعُود النّزعة الفرديَّة؛

- وعَلْمنة الفكر والفنّ؛

- وإيلاء الثّروة والغنى ومظاهر البذخ والفخامة أهمِّيَّة خاصَّة في المُجتمعات الجديدة.

وسوف تُصبح المرأة مُنذُ ذاك: محور حياة بلاطيَّة تطبعها بطابعها الخاصّ، وسوف ترعى الجمال والرّهافة والرّزانة، وتنشر فنّ المُحادثة ورُوح الحياة الاجتماعيَّة اللّذَيْن هُما من أشكال عطاء الذّات.

إنَّ بعض سيِّدات إيطاليا وضعنَ قوانين حياة المُجتمع التي استلهمتْهَا أُورُوبا برُمَّتها.

وثمَّة اسم في فرنسا يرمز إلى التّحالف النّسائي بين صفات العقل والقلب، فشقيقة الملك فرانسوا الأوَّل مارغريت اجتمع والتقى في شخصها عصر النّهضة وحركة الإصلاح الدِّيني[1].

وقد أدركت لويز لابيه الشّاعرة الفرنسيَّة عام / 1524 - 1566/ أهمِّيَّة السّاعة بالنّسبة إلى مصير المرأة، فكتبت تقول: لقد جاء الزّمن الذي لم تعد فيه قوانين الرّجال الصّارمة قادرة على مَنْع النّساء من السّعي وراء العلم والأدب.

---

(1) المرأة عبر التّاريخ، مُونيك بيتر.

وينبغي أنْ نُشير أنَّ رئيسة دير سان هُوتُورا قد أسَّست مُنتدياً في تاراسكون[1].

إنَّ سُؤدد المرأة سُؤدد الجمال والرّشاقة ترك بصمته العميقة حتَّى في الحجر، فأجمل القُصُور المُشادة على ضفاف نهر اللُّور شاركت نساء في وَضْع تصاميمها.

هذا؛ وكانت الفضائل النّسائيَّة تتوزَّع في الواقع على مروحة واسعة:

الفضيلة ـ حسب تصوُّر النّهضة ـ لم تكن تُحرِّم السُّمُوم والاغتيال والزّنى وغيرها من التَّصرُّفات اللّطيفة، التي لم تعد من امتيازات الرّجل.

وكانت التّرقية الثّقافيَّة بالطّبع وقفاً على نُخبة محدودة من النّساء.

والحقُّ أنَّ النّهضة هي التي دشَّنت فعلاً العصر الحديث في مضمار تبرئة المرأة من تُهمة التَّواطؤ مع الشّيطان، وأنَّ لعنة الرّهبانيَّة التي بقيت حوَّاء ترزح تحت وطأتها، والتي هيمنت على القُرُون الوُسْطَى، ففقدت مصداقيَّتها[2].

النّهضة العاجلة:

إنَّ النّهضة التي قامت في أُورُوبا من أجل إحقاق الحُقُوق المُهتضَمَة؛ إذْ أزاحت عن المرأة مجموعة تعاسات، ومنحتْهَا كثيراً من الحُقُوق، وفتحتْ بوجهها الأبواب المُغلقة، ولكنَّها ـ في المُقابل ـ جاءت بتعاسات ومشاكل جديدة للمرأة وللمُجتمع الإنساني كُلِّه. ومن المُسلَّم به أنَّ إحقاق حُقُوق المرأة لو لم

---

(1) ن.م.

(2) مُونيك، المرأة عبر التّاريخ.

يتمّ بهذه العجلة لاتّخذ صُورة أفضل، ولما ارتفعت صيحات الحُكماء إلى السّماء من سُوء أوضاع الحاضر ومخاطر المُستقبل، ولكنّ الأمل مايزال باقياً في أنْ يجد العلم طريقه في النّهضة النّسائيّة، وتعود هذه النّهضة لتنهل من العلم بدلاً من التّأثُّر بالمشاعر كالسّابق، وآراء عُلماء أُورُوبا في هذا المجال تُبشّر بأنّ الأُمُور تسير في هذا الاتّجاه، والذي يظهر أنّ الأُمُور التي تُبهر اليوم مُقلّدي الغرب في باب علاقة المرأة والرّجل قد تخطّاها الغربيُّون أنفسهم[1].

النّهضة عالم مُنغلق:

وصل العَالم السُّوسيُولُوجي الأمريكي مارشال ماك لُوهان ـ الذي درس الوسائل التي لجأت إليها البشريّة عبر القُرُون لنشر العلم والمعرفة ـ إلى القول: إنّ الوسائل الخفيفة ـ ورق البُردي والرّقّ ـ قد ساعدت على ولادة الإمبراطُوريّات العُظمَى، في حين أنّ الوسائل الثّقيلة ـ الكُتُب ـ كانت مُؤاتية لولادة النّزعات القوميّة.

إنّ هذه الرُّؤية غنيّة بالإيحاءات، وإنْ كانت منهجيّة أكثر ممّا ينبغي، والواقع أنّ عصر النّهضة قد شجّع ظاهرة استبطان الفكر، فأضاف إليها الإصلاح البرُوتستانتي فيما بعد؛ التّأمُّل في الكتاب المُقدّس وانطواء الأُمم والدّيانات والطّبقات الاجتماعيّة على ذاتها.

وقد انطلقت الحضارة ـ علاوة على ذلك ـ من الجنوب إلى الشّمال، فكان أنْ حلّ تأثير المُجتمعات الشّماليّة التي يعيش فيها المرء داخل البيت مكان تأثير المُجتمعات المُتوسّطة التي يعيش فيها المرء في الخارج.

---

(1) نظام حُقُوق المرأة في الإسلام، الشّهيد آية الله مُرتضى المطهري.

هكذا أضحت العقليَّة البُورجوازيَّة أكثر انغلاقاً، ومن هذا تأثَّر الحقُّ النّسائي سلباً من هذه التَّضيُّقات.

فالإصلاح البروتستنتي قد بُجِّل من قبيل ردِّ الفعل على التّقاليد الإيطاليَّة، ومُغالاة عصر النّهضة المُحتضر، ومجد البيت النّظيف الشّريف، الذي لا بطالة فيه، ولا أولاد غير شرعيِّين. ولقد رسم اللأَّهوتي والمُصلح الدِّيني الألماني لُوثر صُورة عن المرأة القويَّة مُستوحاة من تلك التي وردت في الأمثال "المرأة الورعة، والتي تخاف الله هي نعمة نادرة.. إنَّها تُدخل المُتعة إلى قلب زوجها.. تكسب قُوتها في بيتها، وتُشبه سفينة التّاجر التي تعود بالخيرات والسّلع من البلاد النّائيَّة، تنهض باكراً في الصّباح.. ولا تتقاعس عن العمل مع قُدُوم اللّيل، بل تمدُّ يدها إلى مغزلها.. والعمل والنّظافة هُما حليها".

ومن هذا لُوحظ أنَّ هذه الصُّورة لا تدع مكاناً لنشاطات الفكر، وإنَّها تمتدح - بشكل خاصٍّ - القيمة الاقتصاديَّة للزَّوجة المكدّة، مُقابل هذه الصُّورة أشار لُوثر إلى تقشُّف الذُّكُور: في: تقشُّف المهنة، في المكتب، وفي المتجر.

وقد شدَّد المُصلح الدِّيني الفرنسي - أيضاً - على الفَصْل بين اختصاص الرّجل والمرأة:

فالأوّل: بمكتبه.

والثّانية: وراء طناجرها.

ذلك هُو قانون الحياة البُورجوازيَّة اليوميَّة.

والحقُّ أنَّ الآمال الكُبْرَى التي كانت قد عُقدت على انفتاح المرأة على الثّقافة والعلم قد بدأت تتضاءل يوماً بعد يوم، فقد قُلِّصت برامج تعليم الفتيات، وأُلغي تعليم الكتابة بالتّدريج؛ لأنْ تعليم القراءة كان يبدو كافياً ووافياً، ثُمَّ أُلغي تعليم اللاّتينيَّة؛ لأنَّها خاصَّة بالرّجال والباباوات، وثمَّة كتاب واحد كان يستقطب المديح والثّناء على حساب سائر الكُتُب الأُخرى التي روَّج لها عصر النّهضة: إنَّه الكتاب المُقدَّس.

ففي إنكلترا؛ كانت أجواء التَّقشُّف السّائدة في البيت وأُمِّيَّة النّساء من العوامل التي شجَّعت على إنشاء أندية للرّجال أُطلق عليها اسم "دار القهوة".

وفي إسبانيا؛ تجسَّد انغلاق البُيُوت بقُضبان حديديَّة تُوضع على النَّوافذ حتَّى اشتُهرت مُغامرة فتاة صبيَّة في التَّنكُّر بلباس ثياب شباب للحصُول على رُتبتها الجامعيَّة في القرن السّابع عشر أُسوة بمُواطنة شابَّة في القرن الرّابع عشر.

وظلَّت ظُلمات الجهل تتحكَّم بالحياة الاجتماعيَّة في بعض المناطق الإيطاليَّة، فكانت تحجر على بناتها، وأمَّا في الجنوب وصقلية اللّذَيْن عانيا من وطأة القانون النُّورماندي ومن التّأثيرات الإسبانيَّة؛ فإنَّ تقاليدهما الاجتماعيَّة قد ظلَّت حتَّى أيَّامنا هذه قاسية جداً بحقِّ المرأة.

وفي فرنسا؛ تسبَّبت الحُرُوب الدِّينيَّة في تدمير العديد من المدارس، وكان تدنِّي الثّقافة وتراجعها أمراً عامّاً، فقد اشتكى القدِّيس منصور الكاهن الفرنسي مُؤسِّس العديد من المُؤسَّسات الخيريَّة للأخذ بيد الفُقراء، بعد أنْ

عايش البُؤس من جهل الكَهَنَة، وشاركتْهُ الشّكوى الآنسة دي غُورناي من جهل النّساء.

ويُضاف إلى ذلك ازدهار الرّقّ النّسائي: فقد جيئ بحسناوات من بلاد الشّركس، ومن رُوسيا، وكانت مرافئ جنوى والبُنْدُقيَّة وأنكوم هي مراكز تجارة الرّقيق الأساسيَّة، وكانت أُمّ شارل دي مديشي جارية شركسيَّة.

وفي مطلع القرن السّادس عشر؛ ثار الجَدَلُ حول حقّ المرأة، وكان واحداً من أشدّ أعداء المرأة رجلُ قانون هُو المُحامي أندريه تيراكو مُستشار قانوني فرنسي جَمَع سائر الحُجج في الكُتُب المُناوئة للمرأة القديمة؛ منها والمسيحيَّة واللاّهوتيّين والشُّرّاح، وذلك كي يُثبت أنَّ المرأة بحاجة إلى وصاية في سائر أعمالها القانونيَّة، وأنَّه ينبغي إقرار عدم أهليَّة المرأة المُتزوِّجة.

ولهذا؛ قامت الحُجج والجَدَل بين العُقلاء وأصحاب الفكر القانوني وأصحاب الإرادة والإدارة وقتئذ بإعادة النَّظَر للمنطق والأعراف بأنَّ عدم أهليَّة المرأة المُتزوِّجة في القانون القديم كان نتيجة مُغالاة في المعرفة التّاريخيَّة الخاطئة(1).

لقد قُورنت المرأة بالقاصر، فحُرمت من حقّ القيام بأيّ عمل قانوني باستثناء كتابة وصيَّتها.

وقد شهد هذا التَّصلُّب على التَّقدُّم الذي حقَّقته بعض الأيديُولُوجيَّات الجديدة، فمفهوم السُّلطة الرُّومانيَّة عاد إلى الظُّهُور من جديد، واندمج

---

(1) كتاب الأعراف، بينو، 160.

بالمبدأ الملكي، فسُلطة الأمير التي لا حُدُود لها يجب أنْ تُناظرها سُلطة ربّ الأُسرة، وأيضاً سُلطة المالك، هذا ما يُفسِّر التيّار الذي وضع المهن تحت قيادات الذُّكُور المحضة، فالإدارة هي بحُكْم الطّبيعة مُلك الرّجل.

ورغبة في مُعالجة ضُرُوب أُخرى من الشّطط، ألحّ مجمع ترانت على ضرورة تقيُّد الرّاهبات بالقوانين الصّارمة، وعلى عودتهنّ إلى حياة رهبانيّة مُغلقة، خلافاً لبعض العادات الرّائجة. وقد جاءت إصلاحات القدّيسة تيريزيا الافيلاويّة في هذا الاتّجاه عينه[1].

لكنْ؛ في وقت انتشر فيه البُؤس والشّقاء، واشتدّت الحاجة إلى تضميد جراح البُؤساء، حيل بين المرأة وبين بَذْل العون ومَدّ يد المُساعدة.

والواقع أنّ المرأة كانت تحتاج كي تُقدِّم مُساعدتها إلى مُؤسَّسة تبشيريّة علمانيّة كالتي سعت إليها ماري وارد في إنكلترا، فمع أنّ وارد كانت تنتمي إلى الطّبقة الرّاقية، فإنّها ما كانت تخشى زيارة الحانات والأحياء السّيّئة السُّمعة. كانت تودُّ لو يتّسع نشاط النّسائي التّبشيري، وأنْ تخرج الرّاهبات من أديرتهنّ للمُشاركة فيه، وإنْ كان الكُرسي الرّسولي قد أشاد بعملها، فإنّه لم يتجرأ - بالمُقابل - على أنْ يجعل منها قُدوة.

وقد وجدت هذه القضيّة مَنْ يعيها أيضاً في شخص أُسقُف جينيف فرانسوا دُوسال، وقد أسّس بمُساعدة جان دُوشانتال رهبانيّة نسائيّة مُنفتحة؛ حيثُ تُكرِّس الرّاهبات أنفسهنّ للأعمال الخيريّة خارج الدّير، من زيارة الفُقراء والمرضى، إلى ما هُنالك من هذا المُستوى. وقد تمّ تأسيس أوّل دير في

---

(1) المرأة عبر العصُور، مُونيك بيتر، ص161.

مدينة أنيس بمُقاطعة سافوا المُستقلّة، دُون أيِّ إشكال، لكنْ؛ عندما أراد فرانسوا دُوسال أنْ يُؤسِّس ديراً آخر في ليون اصطدم برَفْض رئيس الأساقفة الحريص على أنْ يظلّ وفيّاً لرُوح المجمع.

إنَّ حصيلة عصر النّهضة، المُنفتح والمُنغلق وما بينهما للمرأة عالم إيجابي، فالمرأة لم تفقد ثمرة عصر التَّحرُّر.

إنَّ حضارة الكتاب في هذا العصر نمَّا المُجتمعات المُغلقة، فأثارت حُبَّ الاستبطان، وعمَّقتْ معنى الصّلاة، واستشفَّت المرأة من التَّأمُّلات الفكريَّة والرُّوحيَّة قُوَّة لا مثيل لها، وعرَّفتها بالأنا.

هذا؛ وإنَّ صُعُود النّزعة الفرديَّة في عصر النّهضة، وتراجع حُدُود العالم القديم الذي انفتح على الكون جاءا ـ بدورهما ـ ليُبشِّرا بترقية جديدة للمرأة.

الفصل التّاسع:

الطّبيعة والتّاريخ في حقّ المرأة

الطّبيعة والتّاريخ:

لقد استعرضنا بعض ما عانى منه الحقّ النّسائي من سلبيّات تحت عطاء مفهوم الطّبيعة.

فقد اعتمد أرسطوطاليس والقدّيس تُوما على تصوُّر أنترُوبُولُوجي مُعيّن؛ ليُعرّفا المرأة بأنّها "رجل ناقص".

وقد استهدفت نزعة جان دُوفونغ الطّبيعيّة القضاء على المثل الأعلى للحُبّ الغزلي، وخلق تيّار مُناهض للمرأة.

أمّا تيراكو؛ فقد عاد إلى التّاريخ والطّبيعة ليقوم بجرده لكُلّ الاعتبارات والدّوافع التي تدعو إلى رفض الأهليّة المَدَنيّة للمرأة.

أمّا رُوسو؛ فقد نذر المرأة باسم الطّبيعة لأنْ تكون في خدمة الرّجل.

لكنّ الموقف الأكثر جَذْريّة على الصّعيد المذهبي يبقى موقف الفلسفة الوُجُوديّة.

فقد عارضت سيمون دو بوافوار مفهوم الطّبيعة بإنشاء التّاريخ.

فالأُنُوثة هي من صُنْـع المُجتمـع، مـن نتـاج التّربيـة، بـل إنَّـها أُسطُورة صنعها الرّجل عبر العُصُور؛ ليجعل من المرأة المُطوِّع للذّاته، أو لخدمته، فليس هُنالك ماهيَّة نسائيَّة.

والوُجُوديَّة هي التي ترفض كُلّ فكرة جبريَّة وجَبْريَّة فيزيُولُوجيَّة.

غير أنَّ الطّبيعة ليست زوجة أب فقط بالنّسبة إلى المرأة. فقـد منحتـها بعض التّعويضات - أيضاً - مثل: جمال المظهر، الذي يحسدها عليه الرّجـل، وأفراح الأُمُومة، مع هالة القداسة التي تُحيط بها.

وقد تكون المُشكلة في نهاية المطاف معروفة ما إذا كان هُنالك:

قبول: يُحررٌ.

أو رَفْض: يستعبد ويستلب.

إنَّ التّعارض بين الطّبيعة والتّاريخ يبقى موضُوع نقاش مفتوح أبداً.

ومـن الواضـح أنَّ الحـقَّ النّسـائي قـد أُخضـع عـبر العُصُور لإكراهـات الطّبيعة والمُجتمع على حَدٍّ سواء.

فالمُجتمعـات هـي التـي حـدَّدت - وفـق خياراتـها الثّقافيَّـة - المكانـة التـي ينبغي أنْ تُمنَح إلى المرأة، وقداستها، أو عبوديَّتها، حُرِّيَّتها، أو اضطهادها.

والقضيَّـة النّسـائيَّة تبقـى اليـوم - كمـا كـانت بـالأمس - وثيقـة الاتِّصـال بقضايا حضارتنا.

إنَّها قضيَّة حضارة قبل أيّ شيء آخر.

لقد خلقت الحضارة الصّناعيّة نمطاً مُجتمعيّاً جديداً تماماً.

كما أنّ قيام الدّيمُقراطيّة وشُيُوع ظاهرة وسائل الاتّصال الجماهيري قد أوجدا أنماط نُفُوذ مُبتكرة.

فهل سيظلُّ عالم التّقنيّة العصري هذا الذي وُلد من دُون مُشاركة المرأة؟!

وهل سيظلُّ مُحصّناً ضدَّ طريقة نسويّة مُعيّنة في التّفكير وفي الوُجُود؟!

لقد علّمنا التّاريخ أنّ المرأة - بشكل عامٌّ - لم تغب في مراحل ولادة الحضارات، ولا في لحظات تحوُّلها الحاسمة.

ولقد أنقذت - أكثر من مرّة - مُجتمعات هدّدتها الذُّكُوريّة المُفرطة. كما حافظت على قيَم كانت مُهدّدة بالزّوال.

فلمَ لا تكون ترقية المرأة - إذنْ - أمل عصرنا الكبير؟!

لقد أصبح البحث عن تفتُّح الشّخصيّة مطلباً مشروعاً، وما من امرأة اليوم إلاّ وتسعى وراء تحقيق ما تُسمّيه بيتي فريدان بـ "بُعْدها الرّابع" (علاوة على أبعاد المرأة الثّلاثة كزوجة وكأُمّ وكربّة بيت).

لا ريب في أنّ بعض الأشكال القديمة لنُفُوذ المرأة قد اختفت.

فأيُّ امرأة حاكمة اليوم تستطيع أنْ تدّعي سُلطة ملكات أيّام زمان؟!

أمّا إشعاع راهبات القُرُون الوُسْطَى، اللّواتي كُنَّ يتميّزنَ بثقافتهنَّ العالية من جُمُوع النّساء؛ فقد أضحى مُلك الماضي.

والواقع أنّ المرأة قد لا تعرف ذات يوم التّقدير والاحترام اللّذَيْن كانا من نصيبها في القرن الثّاني عشر.

الفصل العاشر:

واقع المرأة عبر العصُور

خلاصة واقع المرأة عبر القرُون:

هذه الرّحلة الطّويلة والسّريعة عبر القرُون أتاحت لنا - على الرّغم من نواقصها - أنْ نستعرض التّقلُّبات التي كان حقُّ المرأة عُرضة لها عبر الأزمان والاتّجاهات المُختلفة التي اضطرّ إلى أخذها تحت ضغط مثل الشُّعُوب العُليا.

واليوم نعيش - على ما يبدو - طور الحضارات الثّلاث.

طور توسُّع العالم وانفجار البنى الذي يُرافقه عادة عتق المرأة.

ونُقاط التّشابه مع الفترات التّحرُّريّة التي أعطت عبر التّاريخ إيقاع المرحلة الثّالثة للمُغامرة النّسائيّة: وهي عديدة في الواقع.

هذا؛ وكيف لا تستوقفنا مثلاً نقاط التّشابه العديدة بين العصر الهنلنسي والعصر الحالي؟!

هذا؛ وتوسُّع العالم، وتداخل الحضارات، وتقدُّم العلم، وانتشار الثّقافة، ومسكونيّة الدّين مع انتشار المذاهب والطّوائف، وتطوُّر فلسفات الشّخصيّة الإنسانيّة إلى جانب فلسفات المُتعة، وولادة رُوحانيّة زوجيّة مع

جُمُوح النّزعة الإيرسيَّة، ومن هذه الطّوائف والمذاهب التي فاقت في فلسفتها وارتقت سُمُوّاً في غُلُوِّها بتعزيز المرأة لما لها من العظمة والفضل في وُجُودها الحُكماء والعُقلاء وعُقلاء الحُكماء والعُظماء والسّادة، فالكُلُّ والكُلُّ يخرج في سرّ من مخبوء المرأة الصّغير العظيم بتكوين باهر لعطاء الكون مكنون العُلُوم وذخائر الفُنُون وخزائن الأسرار في هندسة مطلوبة طلب الكون بفكر حُكماء البنّائين للأُسر والمُجتمع والوطن والعالم بحضارة حضارة الوقت، فعبدت هذا المخبوء، وقدّسته، وسجدت عليه، وقبّلته عجباً وتعظيماً وقداسة!!.

فعجباً لفكر عظيم عظم هذا المخبؤ المركوب من ذكر بذكر، وهُو الذي داس مُحطّماً القيَم، فحطّم القيَم، وجار جبراً جبّاراً في كُلّ العُصُور الغابرة واللاّحقة حقّ المرأة.

وكذلك كان الحال في السّابق مع عتق المرأة المصريّة، الذي انطلق في عهد الإمبراطُوريَّة الجديدة نهاية الألف الثّانية في جوٍّ من الحُرِّيَّة والإقبال على مُتع الدُّنيا؛ ليكتمل في مُنتصف الألف الأوّل قبل الميلاد في إطار مُجتمع أوّل انغلاقاً في ذاته.

وعندما توسّعت رُوما بدورها، وأضحت إمبراطُوريَّة، وانهارت بناها العائليَّة والاجتماعيَّة القديمة، فَقَدَ القانون بعضاً من صرامته، وألحّ الفرد على استقلاليَّته إزاء الدَّولة، وأفصحت الفلسفة عن اهتمام خاصٍّ بالشّخص، فكان أنْ دقَّت ساعة تحرير المرأة.

هذا؛ وصُعُود النّزعة الفرديَّة في عصر النّهضة وتراجع حُدُود العالم القديم الذي انفتح على الكون، جاءا - بدورهما - ليبشّرا بترقية جديدة للمرأة، كما أشرنا سابقاً.

والحال أنَّ عالمنا القاسي يصبو بكُلِّ أمانيه إلى الاهتداء ثانية إلى المرأة الشّفيعة في امتلائها البشري لدُخُول مُتعة الجنَّة في عوالم التّاريخ عبر التّأريخ من بين فخذَيْها وتحت قدمَيْهَا.

والمخبوء الهائل المعبود لدى بعض الفلاسفة وعُقلاء الفكر يصفه الشّاعر بقوله:

الورد من أطراف فخذك يُقطَف	والشّهد من جَنَبات فَرْجِك يُرشَفُ
وقِوامه الميَّاسُ أزهى إنْ ثَنى	عَطْفَيْه من غُصنِ الخِلافِ وأهْيَفُ
قالوا لي: صِفْهُ، وَزِدْ لنا في وَصْفِه	فأجَبْتُ والشّمسُ المُنيرةُ تُوصَفُ
قمرٌ مُنيرٌ بُدرٌ تمٌّ طالعه	حُلْوُ الشّفائرِ مُزدان فيه الشَّفائفُ
ويجودِه وينافِرِ جوذتِه سما	وبخالِه الأحمرِ عزَّ المليكُ الأشرفُ
مدحي وحمدي فيك قد زادني	وَلَهاً وتقديساً به أتشرَّفُ

الفصل الحادي عشر:

المرأة العَرَبيَّة

ـ لمحة[1]:

إنَّ بحث المرأة في التّاريخ العَرَبي لن يدخل الأبواب الكُبْرَى اللاَّمعـة في التّاريخ العَرَبي ؛ أيْ أبواب القيادة السِّياسيَّة فحسب ؛ ليُثبت أنَّ المرأة كان لـها دورها الفعَّال في بناء هذا التّاريخ ، وإنَّما سيطرق جميع أبواب الفعاليَّات التي عاشها المُجتمع العَرَبي ، الـذي شـيَّد ذاك التّـاريخ ؛ مـن أُمُـور اقتصاديَّـة واجتماعيَّة وسياسيَّة ؛ فكْريَّـة وفنِّيَـة ، وسيُحاول أنْ يُوضِّـح ـ بحسـب توافر المصادر لديه ـ ما أسهمت فيه المرأة في هذا الصَّرْح .

وقد يتشبَّث ـ نتيجة ذلك ـ بمفهومه التّقليدي بـأنَّ المـرأة لـم يكـن لـها في هذا التّاريخ سوى تلك الأُمُور التي لا تبني ، ولا ترفع . .

ولو لم تكن المرأة تقوم بتلك الأُمُور التي يُنظَر إليـها علـى أنَّـها تافهـة ، وهي في واقعها الأساسي الحيوي الأوَّل في تكوين المُجتمع وبنائه .

ولو حملها الرّجل العظيم وحده أ كان سيُصبح عظيماً يا تُرى ؟ !

---

(1) مُقدِّمة الدُكتُورة ليلى صبَّاغ .

أو كان هُناك أُولئك القادة الكبار الذين قدَّموا للإنسانيَّة عطاءهم؟!

ألم تكن تلك المُنمنمات قد بـدَّدت طاقاتـهم، وصرفتـهم عـن الأُمُـور التي تبدو كبيرة كما فعلت مـع المرأة نفسـها خـلال العُصُـور، وحتَّـى الوقـت الحاضر إلى حَدٍّ ما؟!.

فـالخفيّ عنـها في مُعظـم الأُصُول هُـو إلـهام، والخطـير والكبـير وهُـو الأصيل والحقيقي.

إذاً؛ كان من المُدرك بديهيّاً ـ ودُون تعريف ـ أنَّ المـرأة هـي الشّـقُّ الثّـاني من الإنسان المُعمِّر لهذه الأرض.

فمضمـون التّـاريخ العَرَبـي هُـو مضمـون واسـع وعميق لامتـداد هـذا التّاريخ بعيداً في الزّمن.

فالتّاريخ العَرَبي هُـو تـاريخ المُجتمـع العَرَبـي في حَرَكَتـه علـى الأرض؛ أرض الوطن العَرَبي، وخارجه، مُنذُ أنْ ظهر الإنسـان العَرَبـي علـى أرضـه، وحتَّى الوقت الحاضر.

ولمّا كان التّاريخ العَرَبي بهذه العملاقيَّـة، وكـان مـن العسير بحثـه كُـلاً واحـداً، فقـد جُزِّئ اصطلاحـاً ـ كمـا هُـو معـروف ـ إلـى مراحـل بحسـب التَّطوُّرات الكُبْرَى التي عاشها هذا المُجتمع.

والتّقسيم الاصطلاحي التّقليـدي المُتّبـع حتَّـى الآن يُمـيِّز بـين مرحلَتَيْـن كبيرتَيْن وأساسيتَّيْن؛ هُما:

1 ـ تاريخ المُجتمع العَرَبي قبل ظُهُور الإسلام (الجاهليَّة) (التّاريخ القديم للعَرَب).

2 ـ تاريخ المُجتمع العَرَبي إسلامياً: إذْ مَّا لا شكَّ فيه أنَّ الإسلام كان بالنّسبة لهذا المُجتمع نهاية حياة قديمة، وبداية حياة جديدة، تختلف عن الأُولى كُلّ الاختلاف.

فالإسلام أعطى المرأة الحقَّ بالعدالة الإلهيَّة، ورفع مقام المرأة وحقَّها برعاية وعناية فائقة، حتَّى جعل الجنَّة من تحت قَدَمَيْهَا.

وإنَّ كُلَّ ما وضعه الإسلام من تنظيم لحياتها إنَّما أُريد به خيرها وخير المُجتمع، ومن خيرها أنْ تظلَّ أُنثى، وألاَّ تتحوَّل صُورة مكرَّرة للرّجل، وألاَّ تتبذَّل، فتفقد مكانتها من قلبه، أو تُمعن في التَّشبُّه به، فتكون كالغُراب[1].

إنَّ ماضي المرأة سيمفونيَّة مُتطاولة أكثرها من اللّحن الحزين، وسلسلة فيها غير قليل من الحلقات المُمزّقة، وليس من اليسير أنْ تتمسَّك بأوَّل حلقة في هذه السّلسلة، ولا أنْ تقصَّ قَصَصَهَا قبل التّاريخ المكتوب، وإنْ كان لا يزال في الأرض أنسال[2] إنسانيَّة تعيش العيشة الأُولى، التي يهتدي بها الدّارسون شيئاً ما في معرفة هذه الحياة. ولقد ورَّثت العُصُور القديمة أبناءها أنماطاً من السُّلُوك نجمت عن طبيعة الجوِّ والأرض[3].

---

(1) كتاب القراءة للصّفّ الثّالث الثّانوي، المصري، وزارة التّربية، عام 76، ص91.

(2) خلق، ولادة أجيال.

(3) كتاب القراءة للصّفّ الثّالث الثّانوي، المصري، وزارة التّربية، عام 76، ص91.

هذا؛ وحاول أهل الفكْر أنْ يُسوُّوا بين المرأة والرّجل، فأبت الطّبيعة أنْ تكون التّسوية كاملة، مع اختلاف طبيعتها، وطبيعته، ومع أنّه يستطيع أنْ يسير في ظلام المدينة فينجو: ولا تستطيع ذلك.

وهُنا للإسلام موقف عادل منها: رَفَعَ مكانتها؛ لأنَّ خلقها من خلق الرّجل، ونفسها من نفسه؟! وهي - بهذا - مُساوية له، وليس في اختلافها عنه اتّضاع[1]، أو هوان، وإنّما هُو اختلاف الطّبيعة لا اختلاف الرّسالة[2].

(1) اتّضاع: ذلّة أو مهانة.

(2) المرجع السّابق.

الفصل الثّاني عشر:

تاريخ المرأة العَرَبيَّة القديم
البداوة

البداوة وحياة أهلها:

ـ المدخل:

إنَّ اللُّغة العَرَبيَّة والأدب العَرَبي القديم انبثقا أوَّل ما انبثقا من بيئة بدويَّة صرفة، كانت هي الأساس للحياة العَرَبيَّة الحضريَّة، وكانت هي العالم الرّئيس، الذي أكسب الحياة العَرَبيَّة كثيراً من مُميِّزاتها البدويَّة، ومن حُسن الحظِّ للباحثين أنَّ أكثر البوادي العَرَبيَّة لا تزال ـ حتّى الآن ـ هي هي، وأنَّ حياة أهلها البدو لا تزال هي هي، وأنَّ البدو بمُختلف قبائلهم لا يزالون يتكلَّمون لهجات شديدة الصّلة بتلك التي كان أجدادهم القُدامى يتكلَّمونها، بل لا تزال طُرُق تعبيرهم كما كانت مُنذُ نحو ألف وخمسمائة سنة، بل إنَّ كثيراً من تراكيب العبارات وصُور الكلام وضُرُوب البيان من مجازات وتشابيه واستعارات كانت هي ممَّا تألفه في اللُّغة الأدبيَّة اليوم[1].

---

(1) البدو والبادية، د. جبرائيل جبُّور، ص17 ـ 18.

البداوة:

ترجع كلمة بداوة من: بدا القوم بدواً؛ أي خرجوا للبادية، والبداوة خلاف الحضر، ومَنْ تبادى تشبَّه بأهل البادية، وحيثُ جاء في القُرآن الكريم على لسان يُوسُف الصِّدِّيق﴿ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ ﴾ الآية[1]، وحيثُ جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ ﴾[2].

وللبداوة أنواع وأركان:

- فأركان البداوة:

تقوم البداوة على أركان أربعة رئيسيَّة، إذا انهدم أحدها تزعزع بناء البداوة، واختلَّ نظامها.

أمَّا هذه الأركان؛ فهي:

1 - بادية أو صحراء: يتردَّد في أرجائها البدوي وراء الكلأ والماء.

2 - إبل: أيْ جمال ونياق ينتقل البدوي عليها هُو وأهله، ويتغذَّى بلبنها ولحمها، ويستدفئ بنار رجيعها حين ينشف وييبس، وهي نار القرى التي يؤمُّها الضِّيفان.

3 - بيت من شعر الماعز يسكن فيه البدوي؛ ليقيه برد الشِّتاء وحَرَّ القيظ.

---

(1) قُرآن كريم، سُورة يُوسُف، آية 100.

(2) قُرآن كريم، سُورة الأحزاب، آية 20، بادون في الأعراب: أهل البادية دُون الحضر.

4 - بدوي ترتبط حياته ارتباطاً وثيقاً بالأركان الثّلاثة الأُولى ؛ أيْ البادية والإبل والبيت، ويستغلُّها للانتفاع بها.

إنْ لم تُؤمّن هذه الأركان الأربعة لا تكون هُناك حياة بدويَّة صحيحة، ولا يقوم بناء البداوة إلاَّ بها.

حياة البدو:

تقوم حياة البدو في البادية والعيش فيها بين الإقامة والتّنقُّل من مكان إلى مكان وراء الماء والكلأ سعياً لحياتها وحياة مواشيها، وعلى الغزو والسّلب بين العشائر ومن أطراف الأقاليم المُجاورة، وقد فرضت هذه الحياة على البدو وماشيتهم حياة خاصَّة، أكسبتْهُم عادات ومُميّزات خاصَّة، ومن هُنا؛ فقد اختلفت حياة العَرَبي البدوي عن حياة أخيه الحضري، برغم ما بينهما من روابط وصلات، بالإضافة كونهما ابنا التُّراب.

أهل البدو:

الأُسرة أساس القبيلة، وهي النّظام الاجتماعي في بلاد العَرَب كُلّها، ويُمكن تلخيصه في أنَّ القبيلة هي الوحدة السِّياسيَّة والاجتماعيَّة[1]. وقد أبطلتها البُحُوث الحديثة التي قام بها العلاَّمة رُوبرت لوي؛ لأنَّه أثبت أنَّ الأُسرة هي أصغر وحدة اجتماعيَّة، وأنَّ الجماعات الكبيرة كالعشيرة والقبيلة قد نشأت من نُمُوِّ الأُسرة، وبهذا؛ نقض ما ذهب إليه من قبلُ ماك لنان وسميث من أنَّ العشيرة أصغر وحدة اجتماعيَّة[2].

---

(1) قالها: العلاَّمة رُوبرتسن سميث.

(2) النُّظُم الاجتماعيَّة والسِّياسيَّة عند قُدماء العَرَب والأمم السّاميَّة، وتاريخ العَرَب، فيليب حتّي.

أنواع البدو:

تتدرَّج البداوة من سُلَّم طويل، أوَّله يُلامس الحياة الحضريَّة، ويتَّصل بها بين الفينة والفينة اتِّصالاً مُباشراً متيناً، وآخره ثابت في الصّحراء، لا تكاد تُزعزعه من موطنه قُوَّة ما. والبداوة على أنواع ثلاث رئيسيَّة؛ هي:

الأولى: في أسفل السُّلَّم: وهي عريقة ثابتة تقوم على تربية الإبل وحسب، وأصحابها سريعو التَّنقُّل بين أنحاء البادية وأطراف البقاع المعمورة، وهي التي تأنف من الخُضُوع للسُّلطة والنّظام، وتأبى الجُنُوح إلى التَّحضُّر[1]، وهم أهل انتهاب ما في أيدي النّاس ورزقهم في ظلال رماحهم[2].

الثّانية: مُتوسِّطة بين البداوة العريقة والبداوة نصف الحضريَّة، ويستعين أهلها على عيشهم بالإبل والغنم، وهم أقلُّ حركة وانتقالاً من أصحابهم أهل البداوة العريقة.

الثّالثة: البداوة نصف الحضريَّة: تقوم على تربية الماشية من غنم وماعز وقليل من الإبل، ولأهلها علاقات وثيقة مع الأهلين في القُرى المعمورة، وفي المُدُن.

والبدو لم يندمجوا كُلِّيّاً في الحياة الحضريَّة، ولا يزالون في أكثر البقاع العَرَبيَّة إلى يومنا هذا يُشكِّلون أقلِّيَّة اجتماعيَّة كبيرة العدد[3].

---

(1) مُقدّمة ابن خلدون.

(2) مُقدّمة ابن خلدون.

(3) البدو والبادية، د. جبُّور، ص35.

وهُنا يجب أنْ لا ننسى أبداً التّمايز الطّبقي في مجموع المُجتمع العَرَبي قبل الإسلام، فهُناك:

أوَّلاً: فئة الأحرار وفئة العبيد، شأنَّ المُجتمعات القديمة كُلّها.

ثانياً: طبقة الأشراف أو الأسياد وطبقة العامَّة.

ثالثاً: طبقة الأثرياء من مُلاَّك الأرض، ومن مُلاَّك الماشية في البادية والأرض للمُجتمع الزّراعي، ومن التُّجَّار.

رابعاً: طبقة المُتوسِّطة من أصحاب الحرَف الرّفيعة.

خامساً: طبقة الفُقَراء أو المُستضعفين من أصحاب الحرَف الوضيعة[1].

ويُضاف إلى هذا التّمايز الطّبقي التّمايز الدِّيني، فهُناك:

أوَّلاً: الوَثنيُّون الذين يكوِّنون أغلبيَّة العَرَب.

ثانياً: النّصارى المُوزَّعون في بلاد الشّام؛ حيثُ الغساسنة، وفي بلاد العراق؛ حيثُ المناذرة، وفي نجران في اليمن.

ثالثاً: اليهُود المُتوافرون في يثرب واليمن وواحات الشّمال لخيبر وفَدَك وتيماء.

ضمن كُلّ فئة من تلك الفئات كان للمرأة وُجُود قد يكون مُختلفاً عن وُجُودها في الفئة الأُخرى، وإنَّ المرأة هي علاقة ضمن كُلّ المُجتمعات والفئات[2].

---

(1) المرأة في تاريخ العَرَب قبل الإسلام، ص34.

(2) المرأة في التّاريخ العَرَبي، د. ليلى صبَّاغ. ص35.

بدو البدو (الصّلبان):

بدو البـدو هُـم بـدو الصّلبـة أو الصّلبـان أو الخلاويّـة أو النَّـوَر، وليس لهؤلاء البدو منطقة واحدة، بـل كـانوا يجوبـون أكـثر بقـاع الجزيـرة وأطـراف البادية بادية الشّام، وهي أعرف القبـائل ببـوادي الجزيـرة وواحاتـها وأوديتـها وغُدرانها وجبالها وهضابها[1].

وهي أوهن القبائل بأساً، وأحقرها مكانة، وأوضعها نسباً، وليس لها نسب معروف عند العَرَب، بل يُشـار إليـها أنَّـها مـن ضحايـا كارثـة أو حـرب قديمة فظيعة، وهي التي أوصلتْهَا إلى هذه الحالة من الذُّلِّ والمَسْكَنَة[2].

وقيـل إنَّ قبيلـة صليـب غريبـة ضـاع أصلـها في مجـاهل الأسـاطير. ويقولون هُم عن أنفسهم إنَّهم من بقايا الصّليبيِّين[3].

وذكـر البُستاني أنَّ بـدو البـدو الصّلبـان[4]، هُـم ـ عُمُومـاً ـ قـذرون في هيئتهم، والعَـرَب يُسـلِّمون أنَّ نساء صليـب أجمـل نسـاء الباديـة، ويتمتَّعـون بقسط وافر من الحُرِّيَّـة، وتغيـب عـن بيـت الزَّوجيَّـة شُـهُور، دُون السُّؤال عـن مغيب الزَّوجة، والنّساء تقوم بالرّقص في حفلات العُرس والختـان وغيرهـا مـن سمر الشُّيُوخ والوُجهاء، ويشترك الرّجل معها، ويُقبِّلها لحظات الرّقص[5].

---

(1) مُعجم قبائل العَرَب، جـ2.

(2) صُور من حياة البدو في بادية الشّام، د. جبرائيل جبُّور.

(3) قبائل البدو في سُوريا والسُّلطة الإنكليزيَّة أواخر انتدابها.

(4) المُقتطـف، جـ12، عـام 1887، خُطبـة للبُسـتاني أُلقيـت في جمعيَّـة شـمس البرّ في بـيروت، ودائرة المعارف للبُستاني، مُجلَّد 11، عام 1900.

(5) البدو والبادية، د. جبُّور.

أمَّا الزَّواج عندهم؛ فيتمّ بالاتِّفاق بين الطَّرَفَيْن بعد مُوافقة الوالدَيْن[1].

المرأة العَرَبيَّة قبل الإسلام "البدويَّة هي الجاهليَّة":

يحترم البدو المرأة في كُلّ الظُّرُوف، فهي محترمة عند الأباعد، كما هي مُحترمة عند أهلها وذويها، وهي تُشارك الرّجل في كُلّ أعماله، كما تُدير المنزل، وتُربِّي الطّفل[2]، وهي صاحبة الأمر من الوُجهة العمليَّة، فهي:

أوّلاً: الشّخص الذي يُوكل إليه أمر بناء الخيمة، فالرّجل يُعيِّن المُوضع، وهي تُباشر العمل، وتُنفِّذه، مُستقلَّة أحياناً هي وبناتها، وبمُساعدة الرّاعي أو الأبناء أحياناً أُخرى، تدقُّ الأوتاد، وتربط إليها الأطناب، ثُمَّ تنشر الخيمة، وترفعها على العمد، وهي التي تُقوِّضها حين يرتحل القوم.

ثانياً: تجمع الحطب من رجيع الإبل وغيره، وتُهيِّئ الطّعام، وتقوم بما تتطلَّبه خدمة البيت من نسج قماش للرّواق أو حياكة أكياس للمُؤن، وكثيراً ما تسير المرأة مع الإبل لتوريدها إذا لم يكن لربّ البيت راع لإبله، وتملأ الأسقية ماءً من العيُون، وتحملها على ظهرها إلى الخيمة[3].

ثالثاً: تستقبل الضّيف بغياب زوجها، وتُعتبر كَرَبِّ البيت في غيابه.

رابعاً: تُسمِّي أولادها؛ لأنَّه حقّها إلا فيما ندر، وتختار الاسم حسب ظرف الولادة، أو الظّرف الذي هي فيه.

---

(1) البدو والبادية، د. جبُّور.

(2) البادية، عبد الجبَّار الرّاوي، ص318.

(3) البدو والبادية، د. جبرائيل، ص235.

خامساً : تختلط المرأة البدويَّة بالرِّجال، فهي ليست مُنعزلة كأختها الحضريَّة في المدينة، حتَّى ولا كالكثيرات من أخواتها القرويَّات، وهي لهذا تعرف أكثر رجال العشيرة الذين يعيشون معها في معذب واحد[1].

تبدو المرأة الجاهليَّة (البدويَّة) ذات سُلطة دُون سُلطة الرِّجل في المُجتمع[2]، فقُوَّة شخصيَّتها وبُرُوزها في المُجتمع لا تستمدّها من الرِّجل، وإنَّما من أساسيَّات كامنة في ذاتها، واستعدادات ذهنيَّة مُتفوِّقة، كما هُو الحال في أيِّ مُجتمع. إنَّ هذه القُوَّة في الواقع تدور في حلقة مُفرغة على نفسها؛ أيْ قُوَّة شخصيَّتها الذّاتيَّة وتكوينها الأوَّلي قد يدفعها لخوض غمار العمل بكُلِّ ألوانه، ومهما كانت الفئة التي تنتمي إليها المرأة البدويَّة (الجاهليَّة) الحُرَّة فهي امرأة بالمجموع، زاخرة بالقوى الحيويَّة الكامنة، وعاشت للشّدائد أكثر ممَّا عاشت للتّرف والرّخاء حتَّى في أوساط الأشراف[3].

والبدويَّة مُخلصة لزوجها أقوى الإخلاص، فهي تُساعده في كُلِّ نواحي حياته، وتُهيِّئ له ما يحتاجه في الحلِّ والتّرحال[4].

الأُمُّ البدويَّة:

الأُسرة عند العَرَب ـ بصُورة عامَّة، وعند البدو بصُورة خاصَّة ـ أصل الحياة الاجتماعيَّة، ونُواة الفخر والعصبيَّة. فإنَّ العَرَبي يحفظ نسبه، ويغار

---

(1) البدو والبادية، د. جبرائيل جبُّور، ص236.

(2) تاريخ العَرَب قبل الإسلام، د. ليلى صبَّاغ، ص459.

(3) المرأة في التّاريخ العَرَبي، د. صبَّاغ، ص468.

(4) البادية، عبد الجبَّار الرّاوي، ص321.

على سُمعته وشرفه من أنْ يعتريهما دَنَس أو رجس. فالمرأة أُمٌّ يُجلُّونها إجلالاً عظيماً (ولا يعزون المرأة إلاَّ أنْ تكون أُمّاً)[1].

الأُمّ: هي التي تفيض بالأفراد والأُسر والجماعات، وهي التُّربة الخصيبة التي ينبت فيها الحبُّ، فإذا ما نضج أنبت حبّاً آخر.

الأُمّ: "هي التي تمنح بنيها بعد الخالق - سُبحانه وتعالى - الحياة، فَهُم فخارها وذراها، وخُلُودها فيهم، وهي الأجدر بالتّقدمة على الزَّوجة؛ لأنَّها بالأُمُومة ذات صفتَيْن: فهي زوجة لرجل، وأُمّ لبنين"[2].

الأُمّ: "هي التي تُرضع وتحضن وتُربِّي الولد في البادية بصُورة عامّة، ولكنَّ علية القوم على الأكثر يجعلون حضانة الولد ورضاعه من غير أُمِّه، على أنْ تكون الحاضنة والمُرضعة من قوم حُمِدَتْ سجاياهم، وطهرت ألبانهم"[3].

الأُمّ: تُربِّي أبناءها على عظمة نُفُوسهم وشُهرتهم ومجدهم وسلامة أبدانهم والجُود والكرم والإغاثة والفخر والمدح الذّاتي والقبلي، وصلتهم بنسب الأُمّ وعشيرة الأب؛ "حيثُ كانت المرأة وعشيرتها تلعبان الدَّور الأساسي في المُجتمع البدوي، وحيثُ كان الولد ينتسب إلى عشيرة أُمِّه، وإلى أُمِّه لدور السّيادة النّسائيّة"[4]، وقد تكون نسبة الولد لأُمِّه دُون أبيه لتفوُّق الأُمّ في الخُلُق والأرومة والشّجاعة، وقد تكون دلالة على أنَّ المنسوب لا يُعرَف له أب، كأنْ يكون ابن أَمَة لم يستلحقه أبوه، أو ابن بغي"[5].

---

(1) العقد الفريد، ج2، ص264.
(2) المرأة في الشّعر الجاهلي، د. أحمد مُحمَّد الحوفي، ص77.
(3) البادية، عبد الجبَّار الرّاوي، ص325.
(4) فيليب حتّي، ج1، ص33.
(5) المرأة في تاريخ العَرَب قبل الإسلام، د. ليلى صبَّاغ، ص220.

الأُمّ: تستخدم الأُمّ البدويَّة بناتها، وتُعلِّمهنَّ شُؤُون (الخيمة ـ البيت)، فيُساعدنها في ملء الأسقية ماءً، وحملها للخيمة والماشية، وفي جمع الحطب، والقيام بشُؤُون البيت من نظافة وترتيب وطهي، وفي مجالس النّساء تتعلّم الفتيات عند البدو من أُمّهاتهنَّ كثيراً عن مُجتمعهنَّ وحياتهنَّ في المُستقبل حين يُصبحنَ ـ بدورهنَّ ـ ربَّات بُيُوت[1].

الأُمّ: المُطلَّقة لها الحقُّ بأنْ تحمل معها كُلَّ ما تملك في بيت الزَّوجيَّة، وتعود إلى أهلها، ولها أنْ تتزوَّج دُون أنْ تنتظر قضاء عدَّتها ستَّة أشهر، كما هُو عند عَرَب الرُّولة، ولها أبناؤها حتَّى السّابعة من العُمر[2].

الأُخت البدويَّة:

اعتزَّت وأحبَّت الأُخت أخاها، وكثيراً ما كانت تُؤثره على زوجها؛ لأنَّ روابط العاطفة في الجماعات الأُولى كانت بين الأب وابنته والأخ وأخته أقوى منها بين الزَّوج وزوجته، وكثيراً من الحالات كان الزَّوج يُقيم مع أُسرة أُمِّه وقبيلتها، ولا يرى زوجته إلاَّ زائراً[3].

وقد عانت المرأة الجاهليَّة (البدويَّة) أُختاً للرّجل العواطف المأساويَّة الحادَّة بسبب الصّراع بين القبائل والغزو، ممَّا كان يُودي بشباب الأُسر، وقد اكتست هذه العواطف صُورة مأساويَّة حقّاً؛ لأنَّه قد يحدث أنْ يكون زوج الأُخت قاتلاً لأخ زوجه[4].

---

(1) البدو والبادية، د. جبرائيل جبُّور، ص238.

(2) ن.م.

(3) المرأة في الشّعر الجاهلي، د. أحمد الحوفي، ص316 ـ 317.

(4) المرأة في التّاريخ العَرَبي، د. ليلى صبَّاغ، ص251.

إنَّ علاقة الأُخت بالأخ وعلاقة الأخ بالأخت علاقة حُبٍّ وودٍّ مُتبادلَيْن وصافيَيْن[1]، فهُو الرّجل القوي وهي المرأة الضّعيفة، ومن مبادئ المُرُوءة العَرَبيَّة وقرابة الدّم أنْ يكون نصيراً لها وعوناً في كُلِّ المُناسبات ماعدا إخلالها بالشّرف وسُمعة القبيلة[2]. والأخ وليُّ الأُخت في زواجها، وإليه ترجع في شدَّتها ومحنتها[3]، ولا يرضى بإساءة زوجها القوَّام عليها، ولا يغفر له إنَّ استذلَّها، ويغار عليها إنْ تغزَّل فيها شاعر؛ لأنَّ في غزله تشهيراً بها، وجرحاً لشرف آلها[4]، ومن حبِّه لها أنَّه يُقاسمها ماله مرَّات[5]، ويُذعن لرأيها، ويستمع لمشورتها في أُمُور شتَّى[6].

أمَّا إذا كان الأُخوة من أُمٍّ وأو أب مُختلفَيْن، فإنَّه لابُدَّ أنْ يشوب العلاقة العاطفيَّة بينهما بعض فُتُور، مُتأثِّرة بعلاقة أُمٍّ كُلٍّ واحد منهما بالأُخرى بصفتهما ضُرَّتَيْن، أو بعلاقة أب كُلٍّ واحد بالآخر، أو بمدى نُمُوِّهما في وسط واحد، أو معاً[7]، ومَرَدُّ ذلك إلى أنَّ الأُمَّ الواحدة تُقرِّب ما بين بنيها، أمَّا الضّرائر؛ فيُباعدنَ بينهم بالوقيعة والدَّسِّ، وبثّ عوامل الغَيرة والتّنافس والتّحاسد[8]. هذا؛ وإنَّ الأُخوة لأُمٍّ يكونون أكثر تعاطفاً وتراحماً وتواداً من الأُخوة لأب[9].

---

(1) المرأة في تاريخ العَرَب قبل الإسلام، د. ليلى صبَّاغ، 250.
(2) المرأة في التّاريخ العَرَبي، د. صبَّاغ، ص252.
(3) المرجع السّابق، ص249.
(4) المرأة في الشّعر الجاهلي، د. الجوني، ص317.
(5) المرأة في التّاريخ العَرَبي، د. ليلى صبَّاغ، ص252.
(6) المرجع السّابق، ص315-316.
(7) المرأة في التّاريخ العَرَبي، د. ليلى صبَّاغ، ص252.
(8) المرأة في الشّعر الجاهلي، د. أحمد الجوني، ص129.
(9) ن.م. ص128.

الزّوجة البدويّة:

كان العَرَب يجرون على نظام الزّواج من العشيرة، ومن غير العشيرة، لكنّهم كانوا يُؤثرون الاغتراب؛ لأنّهم يرون أنَّ ولد الرّجل من قرابته يجيء صاوياً نحيفاً[1].

هذا النّظام الذي سار عليه العَرَب في الاغتراب يُشبه ما كان سائداً في بعض الدُّول المسيحيَّة الأُورُوبيَّة؛ إذْ كانت تُحرِّم التّزاوج بين أولاد الأعمام والعمّات والأخوال والخالات، ومازال العُرْف الأُورُوبي بعد إباحة الزّواج بهنَّ يُفضِّل غيرهنَّ عليهنَّ[2].

ولعَرَب البادية عناية شديدة بانتقاء زوجاتهم من ذوات النّسب الشّريف البعيد عن كُلِّ شائبة. وهُم حين يُفتِّشون عن امرأة للزّواج منها يتخيَّرون أخوالاً لأولادهم من ذوي السِّيرة الحسنة، إضافة إلى النّسب المحمود والمنزلة التي لا تقلُّ عن منزلة الزّوج بين العشيرة، ويُبالغون في التّحقيق عن سيرة أُمِّ الفتاة المخطوبة، ولم يخفنَ تعدُّد الزّوجات من شدَّة التّحقيق في هذا الشّأن[3].

والبدوي كثيراً ما يتحمَّل المشاقَّ والمهالك للحُصُول على زوجة لائقة تتناسب ومنزلته، وأهمّ العراقيل التي تقف حائلاً دُون الظَّفَر بأُمنيّته في أكثر الأحيان:

1 ـ وُجُود عداء بين الأُسرَتَيْن أو العشيرتَيْن.

---

(1) المرأة في الشّعر الجاهلي، د. أحمد الحوفي، ص163.

(2) الأُسرة والمُجتمع، ص47.

(3) البادية، عبد الجبّار الرّاوي، ص311.

2ـ رضا الخطية: فهي تعتزُّ بمكانتها، فلا ترضى بكائن مَنْ كان زوجاً لها.

يعلم البدوي أنَّ الزَّوجة سَكَنُهُ ومتاعه وقسيمته في إنتاج أولاده، يرثون منها كما يرثون منه، وينطبعون على كثير ممَّا تطبعهم عليه، وتأخذهم به مُنذُ الحداثة، لذلك تخيّر الزَّوجة جهده، وكانت الزَّوجة المُثلى مُمتازة بصفات تحبِّبها إلى الرّجل. وبعض هذه الصّفات راجع إلى حسبها وشرف قومها، وليس الحسب في نظر العَرَبي هُو الغنى، وإنَّما المجد وحُسن الأُحدُوثة والاشتهار بمكارم الأخلاق، سواء اقترن به ثراء أم لم يقترن[1].

ولقول الشّاعر:

ليس الجمال بمئزر وإنْ رديته بردى

إنَّ الجمالَ معادن ومناقب أورثن حمدا

والبدوي يُحبُّ المرأة الولود لكثرة الأولاد، وخاصَّة الذُّكُور؛ ليعتزَّ بهم، ويتكاثر، وهذا من بواعث إيثار الشّابَّة البكْر.

وتأبى أُنُوثة المرأة إلاَّ أنْ تستعلن في تفضيلها المرأة الولود، وتقول ابنة الخس: أفضل النّساء.. مُتوركة جارية في بطنها جارية تتبعها جارية[2].

والزَّوجة العاقر أخوف من الضُّرَّة، فهي أرعى للزَّوج حتَّى تلهيه بتبعُّلها عن عُقمها، فلا يجنح الزَّوج إلى الزَّواج من غيرها.

(1) المرأة في الشّعر الجاهلي، د. أحمد مُحمَّد الحوفي، ص150.

(2) الأمالي لأبي علي القالي، ج2، ص257.

وقد راعت الفتاة وقومها أنْ يكون الزَّوج عَرَبيّاً؛ لأنَّ العَرَب كانوا ذوي حميَّة وأنفة واعتداد بالنّفس والجنس إلى حدِّ الغُلُوِّ يرون أنَّهم أرقى الأُمم وأصفاها.

وقال تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾[1] الآية، فليس شعب بكُفْء بأنْ يصهر إليهم، وما من شكٍّ في أنَّ المُصاهرة كانت لحمة قويَّة بين الأفراد والعشائر، تُقوِّي ما بين الأقرباء، وتُقرِّب ما بين البُعداء، وتُطفئ نار العداوة والشّحناء؛ لأنَّها صلة جديدة مُختارة من شأنها أنْ تمزج المُتصاهرين[2].

الزَّوجة الصّليبيَّة:

المرأة الصّليبيَّة لا تُكرَه على الزَّواج بمَنْ لا ترضاه، بل يُؤخَذ رضاها، ويندر أنْ ترى لها ضُرَّة في بيتها، وهي تتمتَّع بقسط أوفر من الحُرِّيَّة لدى أُختها البدويَّة، وقد يحدث أنْ تُفارق زوجها إذا لم ترض عن العيش معه، وتنال نصيباً من المهر، وإنَّها تغيب عن البيت، فلا يسألها زوجها أين كانت حتَّى ولو غابت أشهراً[3]، وترفض الزَّواج من عبد، ومن صانع قروي، رغم أنَّ أكثر الصّلبة صنَّاع.

وللنّسوة الصّليبيَّات فنّ الرّقص في حفلات الأعراس والختان والسّحر وأعماله، وينظمنَ القصيد البدوي في المدح والرّثاء والغزل، وتُزيّن خدَّيهَا بالوشم أحياناً، وتركب الحمير، وهُنَّ أجمل من أخواتهنَّ البدويَّات[4].

---

(1) سُورة آل عُمران، آية 110.
(2) المرأة في الشّعر الجاهلي، د. أحمد مُحمَّد الجوني، ص149.
(3) البدو والبادية، د. جبرائيل جبُّور، ص355.
(4) عشائر العراق، جـ1، 322ـ325، (العزَّاوي).

البنت البدويّة:

البنت هي أساس الأُسرة في المُجتمع، منها وإليها الرُكُون والعطف والحنان، وفيها تعاظم الكون، وهي الأرض والسّماء والنُّور والشّمس والحياة.. إلى ما هُنالك من هذه الأسماء الحيَّة المُؤنَّثة تأنيث البنات، وللبنات واقع قاس عليهنّ لعظمة سرِّهنّ في نُفُوس الجبابرة القساة وأرقَّاء القُلُوب والنُّفُوس، حتّى يكتمل مكنون حقيقة التّكوين لقوامة الرّجل في شدّته وبطشه وقيادته.

البنت: هي الأُخرى طاقة اقتصاديَّة كبيرة للمُجتمع، فإنّ الرّجل كان يشعر وكانت تُشاطره المرأة ذلك الشُّعُور، أكانت زوجة أو أَمَة أو ابنة، فإنّ هذه القُوَّة لن تبقى لبيته، وإنَّما ستكون لبيت آخر، وإنَّ فائدة البنت للعشيرة أضعف من فائدة الولد طالما أنَّ القُوَّة البدنيَّة هي العُنصُر الأساسي في تقويم مُحتوى القُوَّة[1].

البنت: قد تكون عند زواجها مصدر رزق ماديّ لوالدها، فتأتي له بحُلوان مهرها. ولذا؛ فإنَّه كان يُقال للأب عند ميلاد ابنة له "هنيئاً لك النّافجة"؛ أيْ المُعظّمة لمالك[2]. وكانت تُكرَم مرضاة لأبيها، وتعظيماً له، ولم يمدحها المادح إلاّ لأنَّه يعلم عزازتها على أبيها، وإنَّ مدحها تبجيل له. يدلُّ على ذلك لمّا أغار النُّعمان بن وائل الكلبي على بني ذبيان، وسبى سبياً من غطفان، وأخذ عقرب بنت النّابغة؛ فسألها: مَنْ أنت؟ قالت: أنا بنت النّابغة، فقال لها: والله ما أحدٌ أكرم علينا من أبيك، ولا أنفع لنا عند

---

(1) المرأة في التّاريخ العَرَبي، د. ليلى صبَّاغ، ص81.

(2) لسان العَرَب، ج9، ص382.

الملك. ثُمَّ جهَّزها، وخلاَّها، ثُمَّ قال: والله ما أرى النّابغة يرضى بـهذا منّا، فأطلق له سبي غطفان وأسراهم[1].

وكان لقيط بن زرارة يرجع إلى رأي ابنته دختنوس، ويستصحبها معه في غزواته، ويعود إلى رأيها[2]. وقد بلغ بالبنت حُسن الرّأي وعُلُوّ القدر إلى أنْ تصلح ما بين أبيها وجدّها لأُمّـها كما فعلت جُمانة بنت قيس بن زهير العبسي في إصلاح الأمر مع الرّبيع بن زياد العبسي، هذه المرأة في الشّعر الجاهلي وتاريخه بتاريخ البنت البدويّة.

البنت البدويّة تتعلّم شُؤُون الخيمة من الأُمّ، وتُساعد في مـلء الأسقية ماءً، وحملها إلى الخيمة، وجمع الحطب، وإطعام وسقاية المواشي وقطعانهم، وتقبع في مجالس النّساء حتّى تتعلّم حياة مُجتمعها لحياتها المُستقبليَّة كَرَبَّة بيت وزوج، وكذلك تتردَّد لمجالس الرّجال[3].

لذلك؛ لم يكن عجباً إنْ أحبَّ العَرَب البنات، وعطفوا عليهنَّ، ولم يكن عجباً إنْ أبغضهنَّ بعضهم، فأخذوا بقَتْلهنَّ ووأدهنَّ والتّواري عن البيت لولادة البنت.

والوأد: هُو دَفْنُ الأب لابنته المولودة وهي حيَّة، عن طريق دسّها في التُّراب، وهذا يعني قَتْلها بأشدّ أنواع القتل وحشيَّة، وذكر أنَّ الأب كان يُغرقها أحياناً، أو يذبحها[4]. وقد لا يجري القتل مُباشرة بعد الولادة، بل

---

(1) المرأة في الشّعر الجاهلي، د. أحمد مُحمَّد الحوفي، ص284.
(2) الكامل لابن الأثير، 1/ 212، من كتاب المرأة في الشّعر الجاهلي، ص285.
(3) البدو والبادية، د. جبرائيل جبُّور، ص238 ـ 239.
(4) تاريخ العَرَب، جواد علي، ج5، ص89.

يُبقى عليها حتَّى تغدو سُديسيَّة، فيطلب من والدتها تطييبها وتزيينها، ويأخذها معه، فيدفعها في حُفرة حفرها لها في الصّحراء، ويُهيل عليها التُّراب، وقد تبلغ به القسوة مبلغها، فيطلب من الأُمّ أنْ تفعل ذلك[1].

وعزا القُرآن الكريم الوأد للفقر والوضع الاقتصادي الذي يُصيب الصّحراء لقوله عزَّ من قائل ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ الآية[2].

ويتساءل أيضاً: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾[3].

المرأة في قبائل[4]:

كالا هاري:

في صحراء كالا هاري: زواج المرأة يكون:

يبدأ بتعبير عن الحُبّ بتصويب قوس صغير نحو الفتاة التي أغرت الشّابّ، وبالتقاطها السّهم: تعني له أنَّ الحُبَّ مُتبادل ومشروع الزَّواج تكلل.

وفي السُّلُوك اليومي للحياة الزَّوجيَّة يظهر فظاظة الرّجل الذي لا يتورَّع عن ضَرْب امراته بعصا غليظة لدى أدنى احتكاك، وتُبادله المرأة كذلك بالضّرب..

---

(1) تفسير الطّبري، ج8، ص38، وبُلُوغ الأرب، ج2، ص42، والمرأة في تاريخ العَرَب قبل الإسلام، ص230ـ231.

(2) سُورة الإسراء، آية 31.

(3) سُورة التّكوير، آية 8ـ9.

(4) غرائب وعادات من العالم، د. قُبيسي مُحمَّد.

الطّوارق:

شعب رُحَّل في الصّحراء الإفريقيَّة، يُقدِّسون الحُبَّ، ويؤمنون به إلى أقصى الحُدُود، ويتميَّز بالطُّهْر والعفَّة، ومهر المرأة عندهم في طبقات ثلاث:

الطّبقة الأُولى: النُّبلاء: مهرها سبع ناقات.

الطّبقة الثّانية: الأتباع: مهرها ثلاث ناقات.

الطّبقة الثّالثة: باقي القبائل: مهرها ناقة واحد وبعض الغنم.

البابو:

قبيلة، بل عدَّة قبائل في بطن وادٍ كبير، وزعيم قبائل البابو يملك خمسة وأربعين امرأة.

وللرّجل من أفراد البابو الحقّ في تعدُّد الزَّوجات طبيعيًّا، ومهر المرأة ثلاثة خنازير، وفي حال تخلَّت المرأة عن الرّجل تُعيد المرأة الخنازير إلى مالكها إذا رغب.

والنّساء والخنازير عند البابو سواسية من حيثُ الدّلال، ولدى هذه القبائل سبي، ومازال.

الغجر:

شعب غامض مُنغلق على ذاته، يتأثَّر بالمُجتمعات المُتحضِّرة، ويستمدُّ منها السُّلُوك وعادات انطباعيَّة، إلاَّ أنَّ الدُّخول إلى خبايا هذا الشّعب المُنغلق في حياته وتقاليده صعب إلاَّ بمقدار مصلحته.

والمرأة عندهم تُباع بيعاً، وتُشترى، ويُقـدّر قيمتـها ارتفاعـاً وانخفاضـاً حسب صباها وجمالها، والأب الذي يبيع ابنته يكون قد تخلّـى عـن مصـدر رزقه ودخْله، وكثير ما تفرُّ المرأة من بيت الزَّوج إلى بيت العشيق، وبذلك؛ يُطالب الزَّوجُ العشيقَ بدَفْع ما دَفَعَ.

البشمن:

اسم أطلقـه الـهُولنديُّون على سُكَّان صحـراء كلـهاري، الذين كـانوا يعيشون بين غابات الكُونغُـو ومدينـة الـرّأس سـكناً، مُتنقّلين مُعتمدين على الصّيد، وما يجمعونه من خيرات الطّبيعة.

والنّساء عندهم يجمعنَ الحطب، يجلبنَ الماء، ويصدنَ الحيوان الصّغير.

أمَّا عادات الزَّواج فيهم؛ فهُم ينقسمون إلى طبقتَيْن مُتنوِّعتَيْن:

طبقة:

1 ـ يختار الرّجل عروسه من الجوار.

2 ـ يهدي إزاراً جلديّاً حيوانيّاً يوم العُرس لعروسه.

أمَّا الطّبقة الأُخرى:

1 ـ يصيد بقرة وحشيَّة، ويهديها تقديماً لأهل العُروس لوليمة العُرس.

2 ـ يوم الزّفاف ينهال ذوو العروس ضرباً على العريس، فإذا أفلح، تمَّ الزَّواج، وإلاَّ عليه أنْ يجتاز المرحلة مرَّة ثانية، مُثبتاً يد عُروسه بيده.

الفصل الثّالث عشر:

البغـاء

بغاء المرأة:

إذا كـان لكلمـة بغـي معـان عديـدة في اللُّغـة، فكلمـة بغـي: الظُّلـم والفسـاد، والعُـدُول عـن الحـقّ، والاسـتطالة عليـه، وبَغَـت الأَمَـةُ زَنَـتْ، وفجرتْ، وإنَّ ما يعنينا تحت هذا العُنوان ما ينطبـق علـى المرأة ليُصبـح وسـم السّمة بالموسوم المرأة الفاجرة الزّانية.

ولمّا كانت النّظرة إلى البغيّ تختلـف مـن مكـان إلـى آخـر، ومـن زمـان لآخر، احتراماً أو شفقة أو احتقاراً! فقد قيل فيه: إنَّه الاتِّصال الجنسي مُقابل مادَّة، أو إنَّه عمليَّة جنسـيَّة بـين رجـل وامـرأة لتلبيـة حاجـة الرّجـل الجنسـيَّة، وتلبية حاجة المرأة الاقتصاديَّة.

وعرَّفه البعض بأنَّه كُلُّ اتِّصال جنسي غير مشروع تُمارسه المرأة بقَصْد المنفعـة الماديَّة، أو إنَّه استخدام الجنس إرضاءً لشهوات الغير، نظير أجر، وبدُون تمييز.

وبتعريف مُختصر؛ البغي:

هـي المـرأة التـي تبيـع اللّـذَّة الجنسيَّة لعـدد مـن النّـاس غـير محـدود، ولا مُنتقى، لقاء مبلغ من المال، وتتَّخذ من جسدها حرفة للتّكسُّب.

إذنْ: لابُدَّ لهذا التّعريف من توافر شُرُوط ثلاثة لكي يصحَّ الاسم على المُسمَّى:

1 ـ أنْ تتَّخذ المرأة من جسدها سلعة للبيع.

2 ـ البدل: مبلغ من المال عيناً أو نقداً.

3 ـ أنْ تجعل من هذا العمل حرفة للتّكسُّب.

ومن البغايا: حالات النّساء المُتزوِّجات اللاّئي يُكرهنَ أزواجهنَّ أو يُكرههنَّ أزواجهنَّ، ويُضطررنَ تحت وطأة ظُرُوف مُعيَّنة، اقتصاديَّة أو اجتماعيَّة أو نَفْسيَّة، إلى الاستمرار بالمُعاشرة والبغاء تحت قبَّة الزَّوجيَّة.

أمَّا البغاء:

فهُو رغم ارتباطه بالجنس لا يُحقِّق المُتعة الجسديَّة للبغي، بل إنَّه يُؤدِّي وظيفة مُغايرة تماماً؛ هي:

1 ـ كسب المال.

2 ـ المال مُقابل الجنس.

وبذلك؛ تختلُّ المُعادلة من الأساس.

فليس هذا الجنس لسبب المُتعة الرُّوحيَّة أو اللّذَّة الجسديَّة، أو تطميناً لحاجة بيُولُوجيَّة، أو من أجل إنجاب الأطفال استجابة لغريزة حفْظ النَّوع.

بل الجنس من أجل المال. الجنس مهنة.

والبغي شأنها شأن أيّ تاجرة، تنظر آخر النّهار إلى كيس وصُنْدُوق المال، وليس إلى شيء آخر سواه.

دوافع البغاء:

للبغاء دوافع عديدة:

وليس حكْراً على فئة من الطّبقات.

وليس للجمال أو القبح أو الأرستقراطيَّة والسُّلطانيَّة والرّئيسيَّة والبدويَّة والحضريَّة وذات السُّلطة والمال في كُلِّ وقت وزمان نصيب في مسألة اعتزام المرأة احتراف البغاء!!.

بل الجميع ينطوي في ظلِّ دوافع جنسيَّة ومادِّيَّة وماليَّة ورئاسيَّة من وفي كُلِّ الطّبقات والاختصاصات والفئات.

كما أنَّ احتراف هذا العمل الوبائي النَّفْسي والجسدي والاجتماعي والاقتصادي والقيادي الإمبراطُوري والدِّيني هُو الدّافع الجنسي والمادِّي والجهل واللاَّإدراك والأب أو الأخ أو الزَّوج وحتَّى الحبيب والمُجتمع، الذي يُعاقب على الخطأ ويتسامح مع الخطيئة، والذي يستنكر الرّزيلة، ويتعامل معها.

فلقد أثبتت الإحصائيَّات أنْ ليس للجمال أو القبح نصيب في مسألة اعتزام المرأة احتراف البغاء، فمنهنَّ الجميلات والقبيحات ومُتوسِّطات الجمال، شأنهنَّ شأن وُجُود المرأة في أيِّ مهنة أُخرى، مع ما للغريزيَّة الجنسيَّة من سطوة على مُجمل أفعال وتصرُّفات الأسوياء حتَّى قيل عنها: إنَّها الامتداد الطّبيعي لغريزة الحياة، ومع أنَّ الغريزة الجنسيَّة تخلد إلى السّبات العميق عند كثيرات من البغايا!! وأغلبهنَّ ليست لديهنَّ القُدرة على الاستجابة الجنسيَّة[1].

---

(1) فرويد، الجنس.

الدّافع الدِّيني للمومس:

في مُدُن الحضارات القديمة بابل وآشور وأثينا ورُوما ومصر كانت المعابد مُنتشرة آنذاك، وتحمل شتَّى الأسماء، وتدين بالولاء للآلهة ذاتها، فهي أفروديت حيناً، وهي نانا وعشتار وفينوس حيناً آخر.

إنَّ بغايا المعابد في تلك الفترة كُنَّ يُمارسنَ العمل نفسه والطُّقُوس عينها مع اختلافات بسيطة؛ حيثُ كانت المرأة تُعتبر خالقة قُوَّة الحياة، وتُعبد كالآلهة الكُبْرَى منبع كُلِّ النّشاط الاجتماعي في العصر الحجري، وأوَّل مَنْ رفعنَ الإنسان من مرتبة الحيوان عندما بدأنَ أوَّل مُجتمع آدمي.

لكنَّ المنحى العامّ هُو: جَمْع المبالغ، وهي مبالغ جزلة، ولا شكَّ لإدامة العمل في المعابد وتعميرها وتجميلها وتسديد مصاريفها، حتَّى تعاظمت واردات المعابد من حصيلة عمل بنات الرَّبِّ القدِّيسات، وشكَّلت تلك الواردات جُزءاً من ميزانيَّة الدَّولة.

ولهذا؛ لم يكن عمل بغايا المعابد مُعيباً أو مُخجلاً أو مُشيناً، بل على العكس، أضفى عليهنَّ من الاحترام ما يُوازي أو يفوق احترام النّساء المُتزوِّجات، وكان نخبهنَّ يُشرَب إثر كُلِّ انتصار في حرب، أو إثر الخلاص من وباء يُهدِّد المدينة.

ولمَّا كانت المرأة هي المثال الحيّ للآلهة، استخدمت النّساء ككَاهنات في العُصُور الأُولى في طُقُوسها ورقصاتها تُمثِّل الصّلة بين الخالق والإنسان، وبدأت كاهنات هذه المعابد في مُمارسة الدّعارة الدِّينيَّة؛ حيثُ كُنَّ كاهنات ومُومسات في الوقت نفسه.

إنَّ تُراث المُجتمعات الأدبي للبغايا كان مُرتفعاً، فهُنَّ كاهنات المعابد، وقد خُلِّدنَ في الأشعار ضمن قصيدة جلجامش والفُنُون الرّاقية من مُوسيقى ورقص وشعر للآلهة عشتار وعلاقات إنسانيَّة وشفاء.

ففي هذا الوسط التي يتحلَّق حول المرأة الحُبُّ والمُتعة والمعرفة التي تُمثِّل في الكاهنة البغي (مُومس).

وفي مخطوطات سُومر القديمة كان الزَّواج المُقدَّس داخل المعابد يُعبِّر عن طلب الملك الاقتران من إحدى الكاهنات لحياة بركة الرَّبِّ واكتساب حكمة الشّرع اللاَّزمة، بذلك تكتسب كاهنة المعابد البغي القُوَّة والمركز.

وإذا كانت الدَّوافع الدِّينيَّة هكذا، فهي - إذنْ - حثَّت الفتيات وأولياء الأُمُور ورجال الكَهَنُوت والسُّلطة إلى تشجيع هذا العمل.

لكنَّ الرّادع الدِّيني - فيما بعد - كان له الأثر نفسه في الحَدِّ من مُمارسة البغاء. فبعد أنْ سادت تعاليم الشّريعة الموسويَّة والمسيحيَّة والإسلام، وتكشَّفت نظرة الدِّين الزّاجرة نحو البغي ومهنة المُومسات بدأ الدّافع الدِّيني طُعماً مُغرياً لكثير من نساء العُصُور القديمة والوُسْطَى ولرجال السُّلطة والكَهَنُوت.

الدّافع الاقتصادي:

فما من سبب واحد مُجرَّد يدعو المرأة للاحتراف، إنَّها جُملة أسباب تختلط وتتشابك وتتعقَّد، وتُؤلِّف حبلاً غليظاً. لا شكَّ أنَّ السّبب المادِّي أكثر الخُيُوط وُضُوحاً وغُلظة، فالحاجة المادِّيَّة مع توافر سبب واحد أو أكثر يدفعان بالمرأة للوُقُوع في حبائل المهنة؛ حيثُ لا مفرَّ بعد الخُطوة الأُولى، ولا خلاص.

والذين يعزون لُجُوء المرأة للبغاء من أجل سدِّ الرّمق لا يجدون تعليلاً منطقيّاً لنساء ثريّات يُواصلنَ مُمارسة البغاء من أجل المزيد من مظاهر الثّراء والرّفاهيّة والتّرف والمُتعة والحرمان وللانفعال الفيزيُولُوجي الغريزي لبُرُود وعنة الرّجل الذي حار في غريزته المكبوتة لحرمانه من أنواع الإثارة الزّوجيّة الظّاهرة في تعفُّف المرأة الظّاهرة المانعة الرّاغبة وانسياقها لعشيق شرّك حياتها، وهوت إليه لفُنُون المُتعة المُترفّعة عن الزّوج، وللكبرياء وإظهار التّعفُّف وعدم المعرفة وطلب النّفس، أو الحفظ للمثاليّات النّفسيّة والانضباط والمُحافظة على الجمال، أو لعدم الرّغبة في المُمارسات التّمتُّعيّة الجنسيّة الجسديّة لاعتبارها حيوانيّة مُتدنّية.

لقد حاول أنصار النّظريّة الماركسيّة أنْ يُعززوا صحّة نظريّتهم المادّيّة بتطبيقها على ظاهرة البغاء، ولأنّ استغلال الإنسان للإنسان هُو أساس مشاكل العالم، فقد اعتبروا أنّ ظاهرة البغاء شرٌّ من شُرُور الاستغلال الرّأسمالي، ونتيجة من نتائجه. وظلّت البغي بالنّسبة للاشتراكيّين ضحيّة الظُّلم والفساد واللاّعدالة، وهي - بذلك - مُحصّلة الخُرُوقات والانتهاكات التي تُكرّسها الرّأسماليّة، وتُغذّيها، فالعاهرة تُمثّل استعباد الرّجل للمرأة، وهي - بذلك - استغلال مَنْ يملك لمَنْ لا يملك، استغلال المُحتالين الرّأسماليّين للشّغّيلة، وتحالف الكنيسة ورجال الشّرطة وأصحاب البُنُوك ضدّ الضّعفاء.

إذن؛ البغاء بالنّسبة للاشتراكيّين مُشكلة عرضيّة نتجت عن الحاجة الاقتصاديّة للبغي أو لأُسرتها، وستزول - حتماً - بإنقاذ المرأة من براثن الفقر. ولقد أثبت هذا التّبسيط الشّديد للمُشكلة قُصُوره الواضح عند التّطبيق.

ويذهب كارل ماركس بعيداً في هذا الاتّجاه، مُؤكّداً أنَّ البغاء سيبقى قائماً في المُجتمع، ومُتحكّماً في أخلاقيّة الفرد ما بقيت الرّأسماليّة قائمة على هذا الكوكب، ولن ينتهي هذا الانتهاك أو يزول إلى أنْ يتحقّق النّظام الشّيُوعي.

ولقد ذهب إنجلز أبعد من هذا، حينما رأى أنَّ الزَّواج البُورجوازي القائم على المنفعة، أيّ منفعة، ما هُو إلاّ نوع من البغاء.

الدّافع النّفسي:

لا ينبغي النّظر إلى عمل البغي "المُومس" بمعزل عمّا يضطلع به الرّجل من دور أساس. فالرّجل وكيس دراهمه هُما المُشجّع الأوّل للبغي على الاستمرار، وإليه يرجع الفضل في إطالة عُمر مهنة البغاء.

وإنّه لأمر مُحيّر كما يبدو، فإنَّ مُعظم زُوّار بُيُوت البغاء ودُور الدّعارة هُم من الرّجال المُتزوّجين.

وعلى ذلك؛ فإنَّ أيّ دراسة للدّافع النّفسي التي تدفع بالمرأة إلى اتّخاذ البغاء حرفة ينبغي أنْ يستنتج بالإشارة الدّافع النّفسي التي تدفع بالرّجل شاباً وكهلاً، مُتزوّجاً وعازباً، إلى بُيُوت البغاء، وبين أحضان البغي.

ورغم تأكيد العُلماء على أنَّ الحاجة الجنسيّة للرّجل تتساوى تماماً مع حاجة المرأة، فإنّهم لا يُعطون تعليلاً ناجعاً لسبب زُهد المرأة بالجنس بعد الزّواج، وازدياد شهيّة الرّجل وشَبَقه.

الدّافع الفسيُولُوجي:

بعض النّساء خُلقنَ ليَكُنّ بغايا عاهرات، ارتضين هذه المهنة، ولم يرتضينَ عنها بديلاً، رغم أنَّ كثيرات منهنّ تسنّى لهنّ الزّواج المُستقرّ

والعيش الرّغد والثّروة، إلاّ أنّهنّ رفضنَ وأعرضنَ عن كُلّ المزايا الاجتماعيّة العاليـة والأُمُومـة وتأسـيس الأُسـرة، ورَكَلْـنَ كُـلّ الفُـرص لتركيبتـهنّ الفسيولُوجيّة المُغـايرة للطّبيعـة السَّويّ، ولتقدير الخالق لـهنّ ولسُوء تربيـة النّفس والذّات الأنا، ولوقُوع النّشأة الأُولـى في الحياة العائليّة والاجتماعيّة اللاأخلاقيّة، والمُحافظة على السَّواء وسُمُوّ شـرائع السّـماء في حياتـهنّ، وارتضينَ القبوع في بيُوت البغاء وبيع المُتعـة. ولا شكّ أنّ لبعض مـن النّسـاء الفـاضلات والبغايـا القُـدرة علـى فَتْـح شـهيّة الرّجـل بطريقـة لا تبلغـها الأُخريات. وإنّ حاجة المرأة إلى الجنس هي حاجة الرّجل نفسها.

دوافع أُخرى سياسيّة أمنيّة اقتصاديّة:

وثمّة دوافع لا يُنتَبَه إليها ولا يُشار إلى أهمّيّتـها إلاّ إذا رافقتـها فضيحة أو اقترنت بجريمة أو جنحة مُتفرّدة من بين تلك الدّوافـع التي تجرّ الفتاة إلى ساحة البغاء. ومن الدّوافع السّياسيّة أو الابتزازيّـة أو التّجنيـد مـن قبَل جهة اقتصاديّة أو مُخابراتيّة لجَمْع المعلومـات عـن رجـال الإدارة أو الزّبـائن أو الحُصُول على أرقام الأرصدة أو مجالات العمل الأُخـرى، وكثيراً مـا سلّط حزب على حزب يُعارضه ليكشف عن فضائح أخلاقيّة أو تورّطات ماليّة أو اتّصالات مشبوهة للإيقاع بالحزب مـن الدّاخـل، وغالبـاً مـا تُجنّـد لمثـل هـذه المهمّات امرأة.

وتشتدّ الحاجة لهذه المهمّة في أوقات الحُرُوب والأزمات وأثنـاء المعارك الانتخابيّة في مُحاولـة لمعرفة مـا يـدور في ذهـن الخصـم للتّصـدّي لـه، أو الإيقاع به.

وحيثُ تستدرج البغي الشّخصَ إلى المخدع، ويجري تصْويره في أوضاع مُشينة، وتُسجِّل أحاديثه ومفاتيح أسراره، ويجري بعد ذلك ابتزاز ماديّ أو اجتماعيّ وحتّى نفسيّ.

وهُناك بغايا لا يكتفينَ ببيع اللّذّة وقبض المُساومة، بل يعمدنَ إلى سرقة الزّبُون وإيقاعه وإرضاخه لما تصبو إليه البغي.

روادع:

- الرّادع الدِّيني:

في قديم الزّمان كانت الرّوادع الدِّينيَّة هي التي حثَّت الكثيرات للُّجُوء إلى المعابد والأكل من خُبز الهيكل والصّيرورة إلى خدمة الرَّبّ والكَهَنُوت وسُلتطهم. وبدأت كاهنات المعابد في مُمارسة الدّعارة الدِّينيَّة؛ حيثُ كُنَّ كاهنات ومُومسات في نفس الوقت[1].

كان المعبد المركز الأدبي للمُومسات مُرتفعاً، فهُنَّ كاهنات المعابد، وقد خُلِّدنَ في الأشعار في مثل قصيدة جلجامش، وكانت الآلهة عشتار آلهة الفُنُون الرّاقية من مُوسيقى ورقص وشعر وعلاقات إنسانيَّة وشفاء.

وفي وسط هذا كان تُراث المُجتمعات التي تتحلّق حول المرأة هُو الحُبّ والمُتعة والمعرفة التي تُمثّل في الكاهنة المُومس.

إنَّ كَهَنَة اليهُود يُردِّدون أنَّ كُلَّ النّساء ينبغي أنْ يكنَّ تحت سيطرة الرّجال، أبائهنَّ أو أزواجهنَّ، وإنَّ المرأة غير المُتزوِّجة وغير البكْر هي امرأة مُحتقرة، وينبغي نَبْذُها من المُجتمع.

---

(1) البغاء عبر التّاريخ، مُحمَّد صادق صبُّور، 7.

بهذه الأُسُس وضع اليهُود أُسُس العفَّة الجنسيَّة للنّساء، وبشَّر كَهَنتهم أنَّ مُمارسة الجنس للنّساء مع غير أزواجهنَّ هُو رجس من عمل الشّيطان، وأنَّ المُومسات هُنَّ شياطين الإنس.

هكذا تحوَّلت الطُّقُوس الدِّينيَّة الجالبة للنّشوة والابتهاج الغامر في مرحلة عبادة الإلاهيَّات؛ إلى الخطيئة الكُبْرَى، وتحوَّلت كاهنات المعبد إلى كبيرات الخطايا.

ـ رادع نفسي:

خلافاً لكثير من الرّجال الذين يجدون مُتعة في الاتّصال بالبغايا، نرى نفراً آخر ينفر من هذا النَّوع من النّساء. وتقترن عنده بيُوت البغاء بمعاني الفُحش والرّزيلة والابتزاز.

لهذا؛ فإنَّ عُلماء النّفس قد برَّروا أمر ارتياد الرّجال للمباغي بأسباب نفسيَّة، وبرَّروا ـ أيضاً ـ نُفُور البعض منها لأسباب نفسيَّة.

فالرّادع النّفسي هُو الأب الرُّوحي لكُلّ الرَّوادع الدِّينيَّة والأخلاقيَّة والصّحيَّة والماليَّة.

ـ رادع صحِّي:

جماع البغي مع عدد لا محدود من الرّجال كُلّ يوم يجعل نظافتها أمراً مشكوكاً فيه، لهذا:

إنَّ شبح الإصابة بالأمراض الوبائيَّة ظلَّ يُلاحق أولئك المُتردِّدين على بيُوت البغايا، ويُقلقهم، ويقضُّ مضاجعهم.

اللّواط من البغاء:

ومن النّاس مَنْ يُحبّ اللّواطة بالذُّكور، وإتيان النّساء في أدبارهنّ، والأصاغر من المردان. . .

فأصل اللّواطة عندهم تفحُّل في الشّهوة، وغلبة فيها، وهُو قسم من البغاء، ودليل ذلك أنّ في حَدّ النّفس شهوة بها لُطف وظَرْف، فإذا زاد خُبث النّفس وغلُظ الحسّ طلباً بحسب طبعهما، فتطلب قذر الموضع وخُشُونة الأست، وجفاء الطّبع، ومُخالفة العادة، وربّما كان صاحبها شديد الشَّبَق، رخو الذّنب، وربّما ألهبت الشّهوة والمكايدة حرارته، ففتحت يسيراً من سده، فأنزل ماءه مَنْ يأتيه، وهُو أشدّ النّاس بغاءً لما يسترق له من تتابع اللّذّتَيْن والشّهوتَيْن[1].

"وإنّ هذه العادة تغزو النّفس، وتُؤثّر في الأعصاب تأثيراً خاصّاً، إحدى نتائجه الإصابة بالانعكاس النّفسي في خلق الفرد، فيشعر في صميم فُؤاده بأنّه ما خُلق ليكون رجلاً، وينقلب الشُّعُور إلى شُذُوذ به ينعكس شُعُور اللاّئط انعكاساً غريباً، فيشعر بمَيْل إلى بني جنسه، وتتّجه أفكاره الخبيثة إلى أعضائهم التّناسليّة.

ولا يقتصر الأمر على إصابة اللاّئط بالانعكاس النّفسي، بل هُنالك ما تُسبّبه هذه الفاحشة من إضعاف القوى النّفسيّة الطّبيعيّة في الشّخص كذلك، وما تُحدثه من جَعْله عُرضة للإصابة بأمراض عصبيّة شاذّة وعلَل نفسيّة شائنة تفقده لذّة الحياة، وتسلبه صفة الإنسانيّة والرُّجُولة، فتُحيي فيه لوثات

---

(1) رُجُوع الشّيخ إلى صباه، أحمد بن سلمان الشّهير بابن كمال باشا، 51 ـ 52.

وراثيَّة خاصَّة، وتظهر عليه آفات عصبيَّة كامنة تُبديها هذه الفاحشة، وتدعو إلى تسلطها عليه. بالإضافة للاختلال العقلي"[1] وضعف الإرادة والقلب إلى ما هُنالك من أمراض وعلَل نَفْسيَّة وجسديَّة عامَّة واجتماعيَّة.

"إنَّ جريمة اللّواط من أكبر الجرائم، وهي من الفواحش المُفسدة للخُلُق وللفطرة وللدِّين والدُّنيا، بل وللحياة نفسها، وقد عاقب الله عليها بأقسى عقُوبة، فخسف الأرض بقوم لُوط، وأمطر عليهم حجارة من سجِّيل جزاء فعلتهم القذرة"[2].

السُّحاق:

السُّحاق: من البغا، وهُو شُذُوذ عن الطّبيعة الخلابيَّة، والشُّذُوذ خَلَل ميكانيكي في الجهاز الجنسي، ومرض نفسي عميق عبر العُصُور. وهُو اضطراب وانحراف جنسي عند النّساء في كُلّ المُجتمعات.

"وفي المُجتمعات طبقات من النّاس، كُلٌّ حسب بنيته وبيئته يرى العشق والمحبَّة إحدى سجايا النّفس اللاّزمة، وإنَّه لابُدَّ لكُلّ نفس من أنْ تنصرف محبَّتها إلى لون من الألوان"[3].

ومن النّاس المرأة، والمرأة تُحبُّ المرأة، وتأتيها كما يأتي الرّجل المرأة؛ أيْ يلتحمان لفاف السّاق بالسّاق، والتصاق الجسد بالجسد، ويتعاطينَ القُبلات والغنج، ويتحسَّسنَ المُتعة واللّذَّة حتَّى الوُصُول إلى قمَّة النّشوة في نهاية مطافٌ التَّحسُّس الجنسي بحَكٌ البَظَر بالبَظَر، ويُسمَّى هذا سُحاقاً.

---

(1) فقه السُّنَّة، السيِّد سابق، المُجلَّد الثّاني، 429 ـ 430.

(2) فقه السُّنَّة، السيِّد سابق، المُجلَّد الثّاني، 427.

(3) رُجُوع الشّيخ إلى صباه، أحمد بن سلمان الشّهير بابن كمال باشا.

وما هذا السُّحاق إلاَّ مرضاً من الأمراض النّفسيَّة الشّاذَّة، أصاب النّسوة ضعاف البنية والفكر الخلقي لضُمُور الوعي العائلي في سُلُوك تربية الآباء لأبنائهم و(تفضيل بعضهم على بعض، وخاصَّة على الفتاة، التي لم تتلقَّ إلاَّ الكبتَ والحرمان والزّجر والرّدع)[1] في بيئة مُنحرفة غير سويَّة سُلُوكاً، تربَّينَ ونشأن بها ممَّا حمَّلها الحمل النّفسي للمَيل إلى جنُوح الشُّذُوذ، فهذا هُو وليد الشُّذُوذ، وفي الاعتبار أنَّ سُلُوك التّربية والوعي الفكري وعدالة المُعاملة والقرار المنطقي في البيت هُم الأساس في التّكوين الطّبيعي بسُلُوك أبناء الأُسرة بسجايا النّفس السّامية والشّخصيَّة المثاليَّة، فيحفظون ويترفَّعون صحَّة ومرضاً عن الصّراع النّفسي المُميت والشُّذُوذ بكُلّ معانيه السُّلُوكيَّة في السّريرة النّفسيَّة والشّخصيَّة الظّاهريَّة.

وإنَّ واقع التّحليل النّفسي والسّيكيُولُوجي واللّواعج المضمورة في ذات الأنا لهؤلاء المنحرفين الشّاذّين عن طبيعة الخالق بسبب الوضع العائلي والاجتماعي وسياسة الدَّولة، تجده لدى كُلّ سُحاقيَّة صراعات وجدانيَّة عميقة ولا شُعُوريَّة على نحو واسع تعود أُصُولها إلى مرحلتَيْن: الطّفولة والمُراهقة اللّتَيْن تتّصفان بأنّهما مصدر كُلّ حياة إنسانيَّة[2].

إلاَّ أنَّ الواقع الاجتماعي في سياسة الدَّولة القاهريَّة تدفع النّاس في مملكتها إلى الخطأ في خُطوات الانحراف والشُّذُوذ من جرَّاء الإدارة الفاسدة والعمل المُجحف غير الحقّ، فيشلّ النُّظُم وسُلُوك النّاس الأسوياء في

---

(1) سيكيُولُوجيَّة المرأة، باسمة كيَّال، ص61.

(2) الاضطرابات والانحرافات الجنسيَّة عند النّساء، د. عماد تميم، د. نادر سعادة، ص50.

أُسرهم، فيظهر العنت والضّعف والانحراف والشُّذُوذ من مدرسة البيت إلى رُكن المُجتمع والدَّولة، ومنه تكوين الأفكار.

والدِّين الإسلامي الحنيف: الحنيف في تشريعه الجامع لكُلِّ الأديان في التّربية الأخلاقيَّة السّامية بقول سيِّد البشر صلَّى الله عليه وسلَّم: لا ينظر الرّجل إلى عورة الرّجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضي الرّجل إلى الرّجل في ثوب واحد، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثَّوب الواحد.[1]

أمَّا قول العزيز الجبَّار الخالق المُبدع في حُكْمه للمُؤمنات بكتابه المُنزل رحمة للعالمين؛ إذا انحرفتُنَّ أيَّتها المُؤمنات عن أُسُس سُلُوك الحشم، وشذَذْتُنَّ عن نُظُم السّماء، فتلقَّيْنَ حُكْم الله.

﴿ وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾[2] الآية.

وكذلك الخطاب التّأديبي إلى أعلى مكانة وطهارة في النّساء أُمَّهات المُؤمنين؛ إذْ يحكم ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾[3] الآية.

---

(1) الحديث رواه أحمد ومُسلم وأبو داوود والتّرمذي.

(2) سُورة النّساء، آية: 15.

(3) سُورة الأحزاب، آية: 30.

الفصل الرّابع عشر:

الإسلام والمرأة

تقديم:

رسالة الإسلام نزلت على كُلِّ جيل من الأجيال البشريَّة.

على الإنسان الأوَّل..

على كُلِّ قوم من بعده..

الغاية من هذه الرّسالة:

أوَّلاً: وعي الإنسان بما فيه من قوى فطريَّة.

ثانياً: مُطالبة الإنسان بتشغيل فطرته:

أ ـ في معرفة الحقيقة في الإنسان.

ب ـ في معرفة كُلّ شيء في الكون لمعرفة الله تعالى.

ج ـ في معرفة القيَم الأخلاقيَّة.

الرّسالة الإسلاميَّة هذه بيَّنت وتُبيِّن للإنسان أنَّ الإنسان في الوُجُود واحد في كُلِّ إنسان، وأنَّ ما يُطالبه به الإسلام، يُطالبه من كُلِّ إنسان آخر، وأنَّ التّمييز بين إنسان وإنسان آخر بسبب الاختلاف في الجنس أو العرْق أو اللَّون أو اللّسان إنكار لحقيقة أنَّ الإنسان واحد في كُلِّ جماعة بشريَّة، وأنَّ

القيم التي ينبغي أنْ تحكم علاقاته بغيره من بني الإنسان هي القيَم الإنسانيَّة التي تتولَّد من نظرته إلى عالميَّة الإنسان.

هذا الإنسان في منهجه في طلب معرفة الحقيقة، وفي طلب معرفة الحقّ، وفي اجتهاده في النّظر المطلوب، وفي تحصيل المعرفة، والتَّوجُّه بها، وفي تحرُّره من عصبيَّة الانتماء إلى الجماعة التي يُولد وينشأ فيها، وفي تخلُّقه بالقيَم التي تقترن بعالميَّة الإنسان.

فالإسلام العظيم في فلسفته المعطاءة أنَّ من أعظم نِعَمِ الله على الإنسان أنَّه سخَّر له كُلَّ شيء في السّماوات وفي الأرض؛ لينعم ويعمل في فكر مكنون الإيمان وحقيقة النّفس الزّكيَّة ومكنون المعرفة، وكيفيَّة توظيف قواها في معرفة الحقيقة ومنهج السُّلُوك الإيماني والتّطبيقي الاجتماعي.

القُرآن الكريم: أبدع الإنسان المخلوق بالعدل والعدالة وإنصاف الخلق البشري من رجل وامرأة بقوله تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ ﴾ الآية[1].

ورفع المظالم: أوَّل ما بدأ: عن المرأة، وقضى قضاءً مُبرماً على تلك المظالم، وأشعر الرّجل المُنْجبُ منها أنَّ المرأة مخلوق مثله في الإنسانيَّة، بقول جلَّ من قائل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾[2].

وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ الآية[3].

---

(1) سُورة البقرة، آية: 228.

(2) سُورة الأعراف، آية: 189.

(3) سُورة النّساء، آية: 1.

فالإسلام - إذنْ - دين الحقّ والعدالة، ورافع الظُّلْم، ومُعطي كُلّ ذي حقٍّ حقّه باتّفاق الصّديق والعدوّ من المُفكّرين والفلاسفة وأُولي الألباب والرّاسخين في العلم وذوي الفكر لما جاء في القُرآن من إحياء حُقُوق المرأة في عصر نُزُوله، وقد خطا خُطوات كبيرة لصالح المرأة وحُقُوقها الإنسانيّة، إلاّ أنّه لن ينسى كون المرأة امرأة، ولا الرّجل رجلاً، حين دعا إلى إحياء إنسانيّة المرأة، ومُشاركتها للرّجل في الإنسانيّة وحُقُوق الإنسان، لأنّ المرأة والرّجل كوكبان يدوران في مداريْن مُختلفيْن، فيجب ألاّ يخرجا عن مداريْهما ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ الآية[1]. وفي حقيقة أساس سعادة المرأة والرّجل اجتماعيّاً، أنْ يدور كُلٌّ منهما في المدار الخاصّ به[2].

والإسلام: دين المروءة العالية والخُلُق الرّفيع يُوجب أنْ يكون الإنسان مُؤسّساً على طلب صفات الكرم والمعاني الجميلة والخُلُق الطّيّب والعمل الصّالح؛ لأنّه مجبول بالصّلاح لكُلّ صالح.

ويأبى الإسلام على أهله أنْ يكون المرء في زواجه مُستمتعاً بالجمال أو الحسب والمال فحسب، بل الزّواج من أهدافه نشدان النّسل الطّيّب، فيتطلّب الصّفات الحميدة المُوجبة للوُدّ والأُلفة؛ لأنّ الودود في معناها المودودة لما هي عليه من حُسن الخُلُق والتّردّد إلى الزّوج.

ويكاد الوحي لا يذكر الرّجال في مكرمة أو تشريع أو ترغيب أو ثناء إلاّ ذكر النّساء معهم.

---

(1) سُورة يس، آية: 40.

(2) مُقدّمة الشّهيد مُرتضى المطهري، نظام حُقُوق المرأة في الإسلام.

إبطال الإسلام المظالم عن المرأة:

إنَّ وحي السّماء كرَّر ويُكرِّر الإشارة إلى أنَّ الرّجل والمرأة خُلقا من نفسٍ واحدة.

والوحي وحي السّماء يُريد إظهار استئصال امتهان المرأة وعنت الجاهليَّة عبر العُصُور في الشُّعُوب وإرهاقها، بعد أنْ عانت ما عانت منهما، ومنها:

أوّلاً: الوأد.

ثانياً: الذّم.

ثالثاً: القَذْف.

رابعاً: السّبي.

خامساً: البغاء.

سادساً: تعدُّد الزَّوجات.

سابعاً: نُكاح ما نَكَحَ الأب.

ثامناً: حقّ المهر.

تاسعاً: الفُضُول.

عاشراً: حقُّ الإرث.

فالإسلام بمثاليَّته العالية وهيئته الرَّبَّانيَّة الوحدانيَّة في اللّمسات الإلهيَّة والأداء الإلهي العظيم للمعاني والأحكام في قانون ناموسه السّماوي حَكَمَ وقضى بنُصُوصه المُوجبة لإبطال ورفع المظالم عن المرأة مخلوقته بآياته القُرآنيَّة آية آية بقوله جلَّ وعلا فوق كُلّ الموادّ الوضعيَّة الدّانية لقوله العالي:

أوّلاً بأوّل: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾[1].

---

(1) سُورة التّكوير، آية: 8ـ9.

ثانياً: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا ﴾[1]، النّفس بالنّفس.

ثالثاً: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً ﴾[2].

رابعاً: ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ ﴾[3].

خامساً: ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[4].

سادساً: ﴿ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴾[5].

﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾[6].

سابعاً: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[7].

ثامناً: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾[8].

---

(1) سُورة النّساء، آية: 92.
(2) سُورة النُّور، آية: 4.
(3) سُورة النّساء، آية: 92.
(4) سُورة النُّور، آية: 33.
(5) سُورة النّساء، آية: 3.
(6) سُورة النّساء، آية: 129.
(7) سُورة النّساء، آية: 22.
(8) سُورة النّساء، آية: 4.

تاسعاً: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾[1].

عاشراً: ﴿ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾[2] ﴿ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ﴾[3].

ممّا رأينا في النُّصُوص العالية نرى حقّاً عدالة الإله في شريعته الكونيَّة.

فشريعة السّماء بقوانينها القُرآنيَّة وموادّها الآياتيَّة رَفَعَ منزلة المرأة الأدبيَّة والاجتماعيَّة، واستنقذها من الحضيض، وبوّأها الأوج بشفافيَّة لمسات الإله بأحكامه المُحكمة بميزانه العادل في إعطائه الحُقُوق.

فالمرأة بقيت ـ ومازالت ـ في سماء المُجتمع الإسلامي شيئاً مُقدّساً تتطاول إليه الأنظار بالحُرمة والرّعاية، حتّى كان يخدمهنَّ في بُيُوتهنَّ الخُلفاء والأُمراء أنفسهم، 'وحيثُ إنَّ الحجّاج السّفّاح سُئل: أ يداعبُ الأميرُ زوجَهُ؟ قال: والله؛ إنّي لأُقبِّل أخمص قَدَمها'[4].

إكرام الإسلام للمرأة:

إنَّ المرأة إنسان، وأجمل ما في الإسلام العطاء الكريم بالقسطاس المُستقيم المُعمَّم من كوثر الرّحمن الرّحيم لأجمل ما في الإنسان إنسانيَّته وحقيقته المُشرفة وصفاته المُحبَّبة من إنسانيَّة عالية رفيعة.

---

(1) سُورة النّساء، آية: 19.
(2) سُورة النّساء، آية: 7.
(3) سُورة النّساء، آية: 12.
(4) عيُّون الأخبار، ابن قُتيبة، جـ10.

فإذا أوتيت المرأة حظّها من ذلك، فقد أوتيت حظّها من الجمال الحقّ.

فإذا صرف الرّجل نَظَره عن ذلك، وراح ينشد الجمال الظّاهري أو المال أو نحوه فهُو سقُوط في الهمّة وفساد في النّظر إلى حقائق الحياة.

وقال الشّاعر في هذا:

ليس الجمال بأثواب تُزيِّننا إنَّ الجمالَ جمالُ العلم والأدب

هذا؛ وإنَّما تستقيم لنا الحياة وتسعد إذا نحنُ أجريناها على حقائقها السّليمة، ولم نحملها على غير ما سنَّ الله لها.

فالزَّواج السّعيد بسُمُوِّ الخُلُق ورجاحة العقل ونُور الفطرة.

فالمرأة ذات الخُلُق جميلة ولو شهدت مقاييس الشّهوة البهيميَّة بغير ذلك، وهي بخُلُقها أحقُّ ما تكون بالزَّواج، وهذا معنى قوله عليه الصّلاة والسّلام: تُنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفرْ بذات الدِّين، تربتْ يداك. الحديث[1].

فالإسلام الحنيف يأبى على أهله في قول خير البشر أنْ يكون الاستمتاع بالجمال والمال أو الحسب والجاه من أهداف الزَّواج، بل نُشدان الخُلُق الرّفيع في الدِّين لتأسيس بُنيان المُجتمع من الأُسرة الأمّ، وللأُمّ هذه المرأة عطاء سماوي على لسان مبعوث الرّحمة سيِّد الخَلْق والخُلُق بعدما خطا في بدء ومطلع الدّعوة الإلهيّة الأزليَّة للدِّين القويم الحنيف السّمح العالي السّامي بالتَّوحيد الإيماني إلى رفع الظُّلم والمظالم وحفْظ الحُقُوق، ومن الحُقُوق حقُوق كيان المرأة، والوصاية بها؛ ليُبوِّءها مقام السُّمُوِّ في بيتها

(1) هداية الباري إلى ترتيب أحاديث البُخاري، ج1، ص320.

والمُجتمع: فحرَّر قُيُودها من الاستعباد والرّقّ، وأطلق لها عنان الحُرِّيَّة في اختيار الزَّوج عند رشدها لتأسيس البيت من أُسرة، ثُمَّ المُجتمع من الأُسرة، فَفَرَضَ لها ما فَرَضَ من حُقُوق؛ ومنها:

1 ـ الطّاعة ضمن الحُدُود الإلهيَّة.

2 ـ حافظ عليها كزوجة واحدة.

3 ـ الجنَّة من تحت قَدمَيْهَا.

4 ـ مَنَحَ لها الحقَّ في الزَّواج والاختيار.

5 ـ مُعاشرة الزَّوج بالمعروف لها.

6 ـ لها ما لها من الأمر السِّياسي والاجتماعي والاقتصادي.

والبيان السّامي العالي لكُلِّ مادَّة من هذه الموادّ قول العزيز الرّحمن في ناموسه القُرآني: أوَّلاً بأوَّل:

1 ـ ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ الآية[1].

2 ـ ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ الآية[2].

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً ﴾ الآية[3].

3 ـ ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[4] الآية، قال في حديثه الشّريف [الجنَّة تحت أقدام الأُمَّهات][5].

---

(1) سُورة العنكبوت، آية: 8.

(2) سُورة النّساء، آية: 129.

(3) سُورة النّساء، آية: 3.

(4) سُورة النّجم، آية 3 ـ 4.

(5) كتاب زواجر ابن حجر، من ص 64 كتاب دُرُوس الوُعّاظ والإرشاد، ج 1، للتُّونسي زين العابدين، وفي المتجر الرّابح للحافظ الدّمياطي شرف الدّين، ص695، الحديث رَقْم 1435، وما بعده.

4 ـ عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أنَّه قال:

[إنَّ جارية بكْراً جاءت النَّبي الكريم صلوات الله عليه، فقالت:

إنَّ أبي زوَّجني من ابن أخ له، ليرفع خسيسته، وأنا له كارهة:

قال: أجيزي ما صَنَعَ أبوك.

قالت: لا رغبة لي فيما صَنَعَ أبي.

قال: فاذهبي، فانكحي مَنْ شئت.

قالت: لا رغبة عن ما صَنَعَ أبي، ولكنْ؛ أردتُ أنْ أُعلِّم النّساء أنْ ليس للآباء في أُمُور بناتهم شيء] الحديث[1].

5 ـ ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ الآية[2].

6 ـ أ ـ الوضع السِّياسي:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[3].

---

(1) سُنن ابن ماجه، ج1، ص578، كما جاء في كتاب نظام حُقُوق المرأة في الإسلام، ص61، للسيِّد مطهري.

(2) سُورة النِّساء، آية: 19.

(3) سُورة المُمتحنة، آية: 12.

ب ـ الوضع الاجتماعي:

﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ الآية[1].

ج ـ الوضع الاقتصادي:

﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ﴾ الآية[2].

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ ﴾ الآية[3].

ومن إكرام الإسلام للمرأة في مُعاملته السّامية العالية بشفافيَّة لمسات الإله العلي العظيم، الذي أدخل في ناموسه السّماوي المُحكم في قُرآنه المُنزل بكلامه الأزلي على عبده مُحمَّد صلوات الله عليه، والمُرسل رحمة للعالمين آيات: حرباً ضدَّ الأفكار التي كانت مُنتشرة قبل الإسلام، ويُبرِّئ المرأة ممَّا كان يُنسَب إليها من كونها عُنصُر وسوسة وخطيئة وشيطاناً صغيراً. ومن الأفكار التي تتعلَّق بالرِّياضة الجنسيَّة، وتُقدِّس العُزُوبيَّة؛ إذْ إنَّ العلاقة الجنسيَّة تُعتبر في بعض الشّرائع القديمة قذرة في حَدِّ ذاتها، وأتباع هذه الشّرائع

(1) سُورة الأحزاب، آية: 33 ـ 35.
(2) سُورة النّساء، آية: 6.
(3) سُورة البقرة، آية: 228.

يعتقدون أنَّ الإنسان لا يبلغ الرُّتب الرُّوحيَّة العالية إلاَّ إذا صفى وقضى عُمره أعزب.

ومن آياته القُرآنيَّة المُقدَّسة في هذا المضمون؛ إذْ يقول جلَّ جلاله:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ الآية[1].

﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ الآية[2].

﴿ وَخَلَقْنَـٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ الآية[3].

﴿ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ الآية[4].

﴿ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ الآية[5]، أي "التحام الجسدين وضمهما لبعضهما والتصاقهما" (الزَّوجين).

﴿ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ الآية[6].

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ الآية[7].

---

(1) سُورة الحجرات، آية: 13.

(2) سُورة النّساء، آية: 1.

(3) سُورة النّبأ، آية: 8.

(4) سُورة النّساء، آية: 3.

(5) سُورة الفُرقان، آية: 47.

(6) سُورة النّمل، آية 72. سُورة الشُّورى، آية: 11.

(7) سُورة الرُّوم، آية: 21.

المرأة في البيت المُسلم:

إنَّ المرأة إنسان كريم، وأسمى ما فيها إنسانيَّتها الرّفيعة، وقد قضت سنَّة الله أنْ تجعل كرامتها منوطة برعاية أماناتها الخاصَّة. وأنْ تجعل سعادتها منوطة بأداء وظائف تلك الأمانات:

1 ـ زوجة. 2 ـ ربَّة بيت. 3 ـ أُمّ.

وبهذا؛ تهتف غريزة المرأة، ويشهد وُجدانها الأزلي العميق.

فإنْ كانت زوجة صالحة، فهي أفضل ذُخرٍ يستفيد المرء من دُنياه بعد تقوى الله.

وإنْ كانت أُمّاً، ففي طاعتها رضوان الله، وتحت أقدامها الجنَّة، ومنها المُجتمع وأبناؤه.

وإنَّ هي حقّاً ربَّة بيت: فإنَّ البيت هُو المكان الطّبيعي والمصدر الرُّوحي لرسالة المرأة، وفيه تسعى لأسمى واجب تعتزُّ به بعد عبادة الله عزَّ وجلَّ: بإشعاع الرّحمة والمودَّة على زوجها وأولادها.

وهي بهذه المثابة المهاد الذي يلقى فيه الحنان والدّعة والعطف والسّكينة، وليس هذا بالأمر الهين الذي يتصوَّره المحرومون المحجوبون عن حقائق الأُمُور، فإنَّ الدُّنيا كُلّها بما فيها من ذهب وثروة ومتاع لا تُساوي في ميزان الحقّ مثقال ذرَّة إذا هي خلت من المودَّة والرّحمة.

ومن سرِّ المرأة في البيت أنَّها: جهاز رُوحي عجيب يُلقي في رَوْع الرّجل أسرار القُوَّة ومعاني الثّقة بالنّفس، وإنَّ كلمة واحدة منها وهُو يشكو

جور الزّمان أو مُنافسة الأصدقاء والأخوان أو مكائد الرّجال كفيلة أنْ تمدَّه بطاقات عجيبة من الهمَّة والأمل والثّقة بالنّفس، حتَّى لا ينهار، وينهار البيت، الجُزء من أُسرة المُجتمع.

والمرأة تستطيع أنْ تخلق الرّجل كُلّ يوم مرَّة أو مرَّات!.. وهي بقيامها على المهد ورعاية طُفُولة ولدها إنَّما تصنع مُستقبل وطنها، ولسنا ندري عملاً للمرأة في الحياة يفوق في شرفه وسُمُوّ غايته هذا العمل.

وإنَّ المرأة في البيت تصنع للطّفل رُجُولته، وخلقه العملي النّاجح، وتُنشئه على ما تطلب الحياة الكريمة من فضائل.. فَمَنْ يمنحه ذلك إذا تركته للخَدَم أو سواهم، ومضت إلى عملها في الخارج؟!.

إلاَّ أنَّ خُرُوجها إلى الحقل أو السُّوق أو إلى أيّ مكان لا إثم فيه لشراء ما يحتاج إليه بيتها وقضاء حاجتها لها، ولها أنْ تخرج إلى الصّلاة، وأداؤها في البيت أفضل، وضرورات العلاج وقاعات العلم والمُحاضرات للتَّزوُّد بما يثقف عقلها، ويُهذِّب نفسها، ويُفقِّهها في دينها، ويُعرِّفها بواجبها في الحياة.. على ألاَّ تكون في تلك القاعات عُرضة لمُجُون العابثين وفساد مرضى القُلُوب.

والمرأة ليست خادماً ذلولاً مُسخَّراً لخدمة الرّجل، وليس الرّجل مُعفى من التّكاليف التي يُؤدِّي بها حقَّ أُسرته، ولكنَّهما في تعاون معاً على أداء رسالة الحياة، لكُلٍّ منهما نصيبه الذي وجَّهته إليه الطّبيعة. وواجبات الرّجل معروفة غير مجهولة، فما لم يتعلَّم كُلٌّ منهما ما يُنير ذهنه ويُوسِّع أُفُقه ويُبصِّره بواجبه، فكيف تسعد الأُسرة، ويستقيم المنزل، وتستقرُّ الحياة الزَّوجيَّة على ما يُريده الله سُبحانه؟!.

والمرأة هي الأمينة على المال، والمُحافظة عليه، وعلى عرض الزَّوج؛ ليستقيم البيت طُهراً وعفَّة وثقة في غبطة وبهجة بنيان اللّبنة الأُولى في تكوين البيت، وتأسيسه لرعاية أُسرة قادمة من جرَّاء الزَّواج في المُجتمع مُمثّل بالمُثُل العُليا، والمرأة رُكن من أركان البيت والأُسرة والمُجتمع في تربية الأبناء وحقّهم بالرّعاية والعناية، حتَّى يصبوا إلى واقع وحقيقة العلم لعُلُوّ الذّات ورفعة المُجتمع للسُّلُوك والجدّ في العلم لخدمة المُجتمع.

المرأة في المُجتمع المُسلم:

إنَّ الإسلام الحنيف يُريد مُجتمعاً نقيَّاً طاهراً، ليس فيه بغايا، ولا ساقطات، ولا يرضى لمُرُوءات رجاله أنْ تبتذَّل بالاستخفاء والتَّسلُّل من حين لآخر إلى بُؤر الفساد وأعشاش الفُسق والفُجُور بمرض زوجته مرضاً مُزمناً أو مُستعصياً، ولا أنْ يتَّخذ سبيله إلى ساقطات المُجتمع، وبغاياه؛ ليقضي بينهنَّ رغبته كُلَّما نشأت لديه رغبة في النّساء.

إنَّ كُلَّ زواج ثان يقع معناه استنقاذ امرأة من التَّسكُّع في الحانات وغير الحانات إلى كرامة البيت وشرف الزَّوجيَّة، وفي هذا ما فيه من حصانة الرّجل ووقار المُجتمع وحفظ الماء والجسد والعفَّة والحَدّ من سُهُولة بَذْل الأعراض في اتِّخاذ الخليلات وشُيُوع الكباريهات:

فأيُّ الطّريقَيْن أعفُّ للمرأة وأكرم للرّجل وأنزه للمُجتمع؟! وأيُّ المنهجَيْن أَولى بحملات التّنديد والاستنكار؟!

1 ـ بتعدُّد الزَّوجات والصَّون والعفَّة.

2 ـ أم الانزلاق في حانات الفُسق والفُجُور وحانات الرّذيلة.

والإسلام يسمو في حكمة الزَّواج حتَّى يجعله من أسباب التَّواصل والبرّ والرّحمة، فيقول سُبحانه: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ الآية[1].

ويترتَّب على عقد الزَّواج بين المرأة والرّجل الرّباط المُقدَّس في السّماوات والأرض، للمُجتمع حُقُوق، وواجبات لكُلّ منهما، فإذا راعى الزَّوجان هذه الحُقُوق والواجبات، وأحسنًا القيام بها قويت رابطة الزَّوجيَّة اجتماعياً، واستقرَّت حياة الأُسرة نُواة المُجتمع، واستقام أمرها، وارتفعت عُلُواً في إحاطة المُجتمع المثالي العالي الخالي من الشَّوائب الدّنسة في تقليد المُجتمع الفاسد ما يُسمّى بالغرب - الإفرنج في تحقير وعدم الصَّون والانسلاخ والانحطاط الخُلُقي في المرأة المُحرّرة والانقلاب على تقاليد العَرَب والإسلام، خير أُمَّة أُخرجت للنّاس في الصّفاء والنّقاء الذي هُو فطرة الله التي فطر النّاس الأسوياء الأصحّاء النُّفُوس والعُقُول عليها، ونبّه بروُح المنطق النّقي من مرضى النُّفُوس النّاطقة بفساد المرأة في حُرّيَّة كاذبة ضالَّة للانحلال من الخُلُق القويم لتكون صالحة للفساد في إعدام مُقوِّمات المُجتمع المُنبثق من نُواة الأُسرة لهَدْم مُقوِّماتنا الإسلاميَّة والعَرَبيَّة من قوميَّة وتاريخيَّة ودينيَّة لإباحة التَّحلُّل من أيّ رابط قويم منطقي عالي مثالي بنَّاء، وللانجراف والانحراف نحو الرّذيلة وتفكُّك الأُسرة أساس المُجتمع؛ ليُصبح المُجتمع مُهاناً خطراً، لا رادع عنده بسلب المرأة العفَّة والكرامة والفضيلة بما تُبدي من ميل إلى التَّحلُّل، والتّكشُّف، وإظهار ما حقُّه أنْ يكون مستوراً من بدنها وزينتها؛ ليفسد المُجتمع، وينحلّ، ويتفكَّك.

---

(1) سُورة الرُّوم، آية: 21.

ومن المرأة: البنيان والتّاريخ والسّيادة.

ومن المرأة: الانحلال والهَدْم والانهزام ودُخُول حُقُول الذُّلّ والاحتقار والهوى والانكسار وضياع الأُمم بتفكُّك مُجتمعاتها.

فالإسلام ومُجتمعه يرفضان كُلّ ما يُعرِّي المرأة، ويترفَّعان إلى الحفظ والمُحافظة على المرأة والأُسرة والمُجتمع والوطن.

والمرأة في المُجتمع المُسلم هي رباط الوُدّ والمحبَّة والإنجاب والمُصاهرة والتّربية والتّعليم والبناء وإعداد الشّعب الطّيِّب الأعراق، والمُحافظة على البيت والعرض والمال "في سداد وإحكام على نحو طبيعي جميل يُوفِّر للمُجتمع وَقَارَهُ وأُلْفَتَهُ، ويُجنِّبه أسباب الاضطراب والانحراف"[1].

وهكذا يعمل الإسلام على تحقيق روابط الأُسرة بالمرأة العاقلة المُحبَّة والخيِّرة والمُغيثة للزّوج اللّهفان، والمرأة للبيت والأُسرة حتَّى يُخلق مُجتمع من الأُسر مُتماسك وكيان قويّ يستطيع مُواجهة الأحداث وردّ عُدوان المُعتدين "وما أحوج المُسلمين في هذه الآونة إلى هذا التَّجمُّع؛ ليقضي على الآفات الاجتماعيَّة الخطيرة المُنحلَّة الخُلُق، كما لا يُمكن القضاء على هذه الآفات: إلاّ إذا عادت الأُمَّة مُوحَّدة الهدف، مُتراصَّة البنيان، مُجتمعة الكلمة كالبنيان المرصوص يشدُّ بعضه بعضاً"[2].

---

(1) المرأة بين البيت والمُجتمع، البهي الخُولي.

(2) فقه السُّنَّة، السيِّد سابق، ج2، ص610، النّاشر دار الكتاب العَرَبي.

الفصل الخامس عشر:

وضع المرأة المُسلمة عبر التّاريخ

وضع المرأة المسلمة في عُصُور الازدهار:

قضيَّة المرأة هي قضيَّة كُلّ أب وكُلّ ابن، ومادام في الدُّنيا آباء وأبناء، ففي الدُّنيا احترام عميق لكرامة النّساء، والذين لا يُفرِّقون بين الكرامة والابتذال هُم غارقون في الأوهام والأوحال[1].

على ضوء المبادئ الأُصُوليَّة السّماويَّة الإصلاحيَّة الجَذْريَّة التي أعلنها الإسلام "وقام في الدُّنيا لأوَّل مرَّة مُجتمع تُحترَم فيه المرأة كإنسان كامل الأهليَّة، وتُلاقي من المُجتمع الاحترام اللائق بها كزوجة وأُمّ صانعة للأبطال والعُظماء، وتُصان سُمعتها عن اللَّغَط وأقاويل السُّوء، بعدم اختلاطها المشبوه مع الرّجال، إلاَّ في أماكن العبادة، ومجالس العلم، ومعارك التّحرير.

وفي هذه الأماكن كانت لها مجالسها الخاصَّة بها، ولباسها المُحتشم، ووقارها المُتديِّن.

---

(1) هكذا علَّمَتْني الحياة، د. مُصطفى السّباعي.

فما كانت تتعلّق بها الأعين، ولا تتطلّع إليها النُّفُوس، بل إذا كانت مرّت تُغَضُّ الأبصار حياءً، وإذا جلستْ تنصرف الوُجُوه عنها احتراماً، وإذا حاربتْ تخفق لها القُلُوب إكباراً وتقديراً.

وتقرّرت مبادئ الإسلام نحوها في الفقه الإسلامي على اختلاف مذاهبه، وأصبحت مبادئ مُسلّماً بها في جميع العُصُور؛ لأنّها مبادئ صريحة واضحة في كتاب الله، وسُنَّة رسوله، وعمل الرّسول وصحابته والتّابعين من بعده"[1].

والإسلام جاء ليجمع القلب إلى القلب، ويضمّ الأُسرة إلى الأُسرة، مُستهدفاً إقامة مُجتمع مُوحّد، ومتّقياً عوامل الفُرْقة والضّعف وأسباب الفشل والهزيمة؛ ليكون لهذا الكيان المُوحّد القُدرة على تحقيق الغايات السّامية والمقاصد النّبيلة والأهداف الصّالحة التي جاءت بها رسالته العُظْمَى في تعزيز كرامة المرأة، صلة الوصل، ليصل الحقُّ لهذا المُجتمع.

وَضْعُ المرأة المُسلمة في عُصُور الانحطاط[2]:

أتى على المرأة عُصُور مُتباينة من حيثُ الرّعاية أو الإهمال، نتيجة لتطوُّر الحضارة الإسلاميَّة، وعادات البلاد الإسلاميَّة المُتباينة، حتّى انتهى الأمر بالمرأة في عُصُور الانحطاط إلى إهمالها إهمالاً تامّاً، والتّجاوز الواقعي على كثير من حُقُوقها ممّا جعلها مُعطّلة عن أداء رسالتها الاجتماعيَّة التي حمّلها إيّاها الإسلام.

---

(1) المرأة بين الفقه والقانون، د. مُصطفى السّباعي.
(2) المرأة بين الفقه والقانون، د. مُصطفى السّباعي.

ينبغي أنْ نُلاحظ أنَّه في هذه العُصُور المُظلمة بقيت حقيقتان قائمتان :

أولاهما :

أنَّ حُقُوق المرأة التي قرَّرها الإسلام ظلَّت مُقرَّرة في كُتُب الفُقهاء، برغم أنَّ المُجتمع لم يكن يُنفِّذ منها الكثير، وهذا عائد إلى أنَّ الحُقُوق التي اكتسبتها المرأة المُسلمة في الإسلام لم تكن حُقُوقاً أوحت بها ظُرُوف اجتماعيَّة طارئة، ثُمَّ زالت، وإنَّما كانت حُقُوقاً ثابتة جاء بها تشريع إلهي خالد، لا يستطيع أحد مهما علا شأنه في المُجتمع أنْ يناله بالتَّغيير والتَّبديل.

ثانياً :

إنَّ عفَّتها وسُمعتها العطرة وقيامها بواجبها الأُسروي ظلَّت مُستمرَّة خلال هذه العُصُور تقريباً، برغم جميع الاضطرابات والانحرافات التي أصابت المُجتمع الإسلامي في عُصُور الانحطاط، ممَّا جعل المرأة المُسلمة محلَّ غبطة شديدة لدى المُفكِّرين والكُتَّاب وأصحاب الدِّيانات غير المُسلمة، وأخذوا يتَّصلون بالمُسلمين، ويتحرَّون الحقائق عنهم.

نهضة نسائيَّة بيضاء[1] :

الدُّول الإسلاميَّة مُحتاجة إلى نهضة، ومنها: تتطلَّب:
نهضة نسائيَّة إسلاميَّة بيضاء.
لا نهضة سوداء على الطَّريقة الأُورُوبيَّة والغربيَّة بالمعنى.
بل نهضة لا تتدخَّل فيها الأيدي الدَّنسة لعُبَّاد الشَّهوات من الشُّبَّان.

---

(1) نظام حُقُوق المرأة في الإسلام، الشَّهيد آية الله مُرتضى المطهري.

إنَّما نهضة تنبع - فعلاً - من التّعاليم السّامية، ولا تُسخِّر القوانين الإسلاميَّة للأهواء والشّهوات باسم تغيير القانون المَدَني . .

بل نهضة تقوم أوَّلاً بالدّراسة المنطقيَّة والمُعمَّقة التي تهدف إلى معرفة مدى تطبيق التّعاليم الإسلاميَّة في المُجتمعات التي تُطلق على نفسها الإسلام.

إنَّ الإسلام قدَّم للإنسانيَّة في بدء رسالته السّامية :

نهضة نسائيَّة بيضاء على الظُّلم والاستعباد والاسترقاق، ومنح جنس المرأة الحُرِّيَّة، واستقلالها الفكريّ والشّخصي.

واعترف بحُقُوقها الطّبيعيَّة :

الاقتصاديَّة، والسِّياسيَّة، والاجتماعيَّة : أُمّاً، زوجةً، أُختاً، ابنةً.

ولم يدعهنَّ الإسلام إلى التَّمرُّد والعصيان والطُّغيان ضدَّ جنس الرّجال.

ولم يُزعزع في نُفُوسهنَّ التّشاؤم منهم.

ولم يُزعزع أُسُس بناء الأُسرة.

ولم يُفسد نظرة المرأة إلى الحياة الزَّوجيَّة والأُمُومة وتربية الأطفال.

ولم يجعل المرأة متاعاً للعُزَّاب الذين يبحثون عن صيد.

ولم ينتزع النّساء من أحضان أزواجهنَّ.

ولم ينتزع الفتيات من كَنَف أُمَّهاتهنَّ وآبائهنَّ، ويُسلِّمهنَّ إلى المُترفين من أصحاب المناصب العُليا والمال.

الإسلام جاء وقام بحَرَكَة انقلابيَّة سامية، أعاد النِّصاب لأُصُوله الأزلي، عادل بالميزان العادل للمرأة، وصانها عفَّة، ورفع مقامها، وأعزَّها، ومنحها حُقُوقاً مهضومة، وألزمها بواجبات للبناء السّليم في بحر الكون للبرزخَيْن الحياتي والأُخروي.

واليوم أُورُوبا هي مدرستنا شئنا أم أبينا، نتعلَّم منها، وعنها ننقل، ونستورد، والمُقارنة في هذه الأيَّام بين المرأة العَرَبيَّة والمرأة الأُورُوبيَّة بالأمس تصلح مدخلاً مُناسباً للحديث عن المرأة العَرَبيَّة، بالأمس البعيد عندما لم تكن كما كانت المرأة الأُورُوبيَّة بالأمس، أو المرأة العَرَبيَّة اليوم.

والواقع التّاريخي يُؤكِّد العناء العظيم والاسترقاق الفاحش الذي عانت منه المرأة في أُورُوبا قبل الكَنيسة وبعد الكَنيسة، وهذا التّاريخ يُؤكِّد الوضع المُميَّز الذي كان للمرأة العَرَبيَّة قبل الإسلام وبعد الإسلام، وإنْ عانت ألواناً من الإرهاق في أواخر العصر الجاهلي حرصاً وخوفاً على مصيرها، وهُو الذي أفسح الطّريق واسعاً أمام حُرِّيَّة المرأة وكرامتها إسلامياً.

وفي العُصُور الزّمنيَّة التي تَلَتْ ظُهُور الإسلام بكمال نُظُمه الحقيقيَّة المُشعَّة، وقبل أنْ يؤوب شبح الظّلام المُنحطّ، وتتدلَّى غُيُوم الجاهليَّة الأُولى ظهر رمز مُميَّز في القرن الخامس الهجري، سيِّدة اشتهرت بصفحات تاريخيَّة في حُكم تاركة فيه من آثار عظيمة بأرض اليمن الإسلاميَّة، ألا وهي أروى بنت أحمد الصّليحي، التي حكمت مُنذُ عام 473 إلى عام 532 هـ 1080 - 1138م. ويكاد يكون عهد حُكمها الجميل مثال الشّجاعة والذّكاء وحُبّ تُراب الوطن والإخلاص، وأثبتت تفوُّقها وسُمُوّ مقدرتها في إدارة نظام

الحُكْم على عشرات الحُكَّام الرّجال، الذين سبقوها في حُكْم بلاد اليمن، وظلّ اسمها في تاريخ اليمن نجوى وحُلماً بهيجاً، كما هُو بلقيس ملكة اليمن الأُولى في سُطُور التّاريخ؛ تاريخ الحُقُوق الاجتماعيَّة، والنّسائيَّة، والتُّراثيَّة، استجابة لتعاليم الإسلام الصّحيحة، ولرُوح العصر، في ظلّ قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾.

وأروى بنت الصّليحي (سيِّدة حُرَّة، سطَّرت الكثير من صفحات التّاريخ الإسلامي بصفة عامَّة، وتاريخ اليمن بصفة خاصَّة، ولقد كانت أروى ملكة لها سُلطانها السِّياسي، ولكنّ الأهمّ من ذلك أنَّ سُلطانها الدِّيني كان أوسع، فقد كانت المُشرفة على الدّعوة "الإسلاميَّة" الفاطميَّة، ليس في اليمن فقط، بل في الجزيرة العَرَبيَّة والهند، تُوجِّه الدُّعاة، ولها حقُّ تعيينهم، وكانت صلتها بالخلافة قويَّة، وولاؤها ثابتاً، في وقت خرج عن هذا الولاء الكثيرون من أتباع الخلافة، خاصَّة في المغرب، وهُو المهد الذي نشأت فيه الخلافة الفاطميَّة. . واستحقَّت أروى - بذلك - تأييد الخليفة، وصداقة أهل بيت الخلافة. وماتت أروى، وانتهت بموتها دولة من دُول اليمن القويَّة هي الدَّولة الصّليحيَّة)[1].

والمرأة اليمنيَّة الإسلاميَّة هذه تولّت الحُكْم قبل تطوُّر أُورُوبا وأمريكا بألف عام تقريباً في ارتقاء النّساء سُدَّة الحُكْم في ظلّ الخلافة الإسلاميَّة، وقبل تولِّي الحُكْم (أنديرا غاندي وبنازير علي بُوتُو و مارغريت تاتشر)، وفاقت تلك المرأة أروى الصّليحي بعظيم سُمُوِّ إدارة حُكْمها بإنصاف الدِّين الإسلامي المُساوي في العطاء من الرّجال والنّساء حتَّى في الحُكْم. .

---

(1) رسالة ماجيستير (حياة عبد القادر أحمد المرسي)، جامعة الملك عبد العزيز، جدَّة، ص1.

ويقول الشّاعر:

وما التّأنيثُ لاسم الشّمس عيبٌ ... ولا التّذكير فخر للهلال

ولو كان النّساء كَمَنْ عرفنا ... لفُضِّلَت النّساء على الرّجال

وبهذا؛ تساقطت أبراج التّقاليد بعد الصّراعات الفكريّة والتّعصُّب والأنانيّة والثّورات على الانحطاط.

خُلاصة واقع المرأة في الإسلام:

كانت المرأة متاعاً يُورَّث، ويُقسَّم تقسيم السّوائم بين الوارثين، فأصبحت بفَضْل الإسلام وسُموِّ شريعة السّماء الأبديَّة ونبيّ الرّحمة صاحبة حقٍّ مشروع، تَرِثُ، وتُورِثُ، ولا يمنعها الزَّواج أنْ تتصرَّف بمالها، وهي في عصمته كما تشاء.

وكانت وصمة تُدفَن في مهدها فراراً من عار وُجُودها، أو عبئاً تُدفَن في مهدها فراراً من نفقة طعامها، فأصبحت إنساناً مرعيّ الحياة، ينال العقاب مَنْ ينالها بمكروه، فماذا صنعت لمسات الإله في أحكامه القُرآنيَّة؟

وماذا صنعت رسالة النّبيّ المُرسَل رحمة للعالمين مُحمَّد صلوات الله عليه؟

حُكْم واحد من أحكام القُرآن الكريم: أعطى المرأة من الحُقُوق كفاء ما فرض عليها: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[1]. وحُكْم آخر من سُمُوِّ أحكامه العالية: أمر المُسلم بإحسان مُعاشرتها ولو مكروهة غير ذات

(1) سُورة البقرة، آية: 228.

حُظوة عند بعلها ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[1].

وأباح لها الدِّين الحنيف في الجهاد أنْ تكسب كما يكسب الرّجال: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ﴾[2].

وأوجب على الرّجل أنْ يتجمَّل لامرأته، ويبدو لها في المنظر الذي يروقها، فقال النّبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم في هذا المعنى، وهُو كثير: "اغسلوا ثيابكم، وأخذوا من شُعُوركم، واستاكوا، وتزيَّنوا، وتنظَّفوا، فإنَّ بني إسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك، فَزَنَتْ نساؤهم"، الحديث، أو كما قال.

وأوجب على الرّجل أنْ يُعلم خطيبته إذا كان يخضب شعره.

وأوجب على الرّجل العناية والرّعاية والمُحافظة والنّفقة والصّون.

هذا من عُلُوِّ كرم الأمَّة الإسلاميَّة إكرامهم بكَرَم أُمَّهاتهم أزواج النّبي البشير النّذير المُرسل رحمة للعالمين، وبآل بيته بالابنة فلذة الكبد، المدلات بحُبِّ الأب، وعطف الرّحمن، فاطمة الزّهراء، بنت الحبيبة المحبوبة، الزَّوجة والأُمّ.. أُولى المُؤمنات خديجة الكُبْرَى، جَدَّة الحَسَنَيْن، سيِّدَيْ شباب أهل الجنَّة، لشهادتهما، وطهارتهما بطهارة الأُبُوَّة من بضعة المُصطفى ونُطفة ربيب بيت النُّبُوَّة أوَّل المُؤمنين، المُكرَّم الوجه، والمَرْضي عنه، والسّلام له، وصاحب الفداء، وزوج فلذة الكبد فاطمة الزّهراء، سيِّدة النّساء، عليهم الصّلاة والسّلام.

---

(1) سُورة النّساء، آية: 19.

(2) سُورة النّساء، آية: 32.

والسَّيِّدة خديجة بنت خُويلد المرأة كانت قبل أنْ تُصبح أُمّ المُؤمنين، وبالأمس البعيد القريب قبل الإسلام وظُهُوره نموذجاً رائعاً مُميَّزاً مثاليّاً كماليّاً للمرأة العَرَبيَّة؛ إذْ كانت تمتلك من أُمُور نفسها ما لم يكن للرّجال أنفسهم ومن المال الذي تُتاجر به، وتختار ممَّنْ يستطيع القيام به في الصّيف والشّتاء من الأكفَّاء والأوفياء، وتتصدَّى بحزم وجُرأة وقُوَّة لكُلّ تخريب أو إهمال في تجارة مُؤسَّستها، حتَّى وقع سَمْعُهَا على مُحمَّد الأمين، فنظرت به، وأوفدته، وما إنْ عاد إليها حتَّى أُعجبت به، وتزوَّجته طالبةً. . ولم يشغلها عمَّا كانت تقوم به سوى ظُهُور دعوة زوجها الجديدة المُباركة من السّماء، بالنّاموس الذي أتى أُخوته الأنبياء قبله، وانقلبت حياتها وحياة مُعاصريها وحياة الجزيرة العَرَبيَّة، ومن ثمَّ؛ العالم بأثره رأساً على عقب، بالدّعوة السّماويَّة الجديدة، وتحوَّلت اهتمامات هذه المرأة صاحبة الشّأن إلى أُمٍّ حانية بعطف وعقل مُفكّر ترعى النُّور الذي سطع في زوجها الأمين، والذي سيمنح الإنسان إنسانيَّة الآدميَّة بوثيقة ينال بمُوجبها حُقُوقاً كاملة، دُون استغلال، ودُون أنْ يتصرَّف بحُرّيَّته وبتفكيره إنسان آخر، فالنّاس نساءً ورجالاً من آد، وآدم من تُراب، وهذه قمَّة المُساواة الكاملة في الدُّنيا، وليس في الآخرة كما يرى الكَفَرَةُ الطُّغاة أعداء إنسانيَّة الإنسان السّماويَّة، وهي مُساواة أعطتَ المرأة كُلّ ما للرّجل من حُقُوق في التّعليم وفي الجهاد العطائي، وفي الحُكْم والعمل في مُختلف نواحي الحياة كالرّجال تماماً؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ سُورة البقرة، آية 228.

انتهى.

وآخر دعوانا أن الحمدُ للّه ربِّ العالمين على ما فاض وأفاء عليَّ من بحر علُومه السّامي سُمُوّاً، وأعطاني ما في واقع وتاريخ المرأة مُنذُ بدء الخليقة حتَّى إتمام رسالة الرّحمن على لسان خير البشر، نُور النُّور، البشير العليم علُوم الرّحمن، المُلهم إليه بالوحي النّاموسي، سائلاً المَوْلَى أنْ ينفع بي عبيده لما يُحبُّه، ويرضاه، ويجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، ونافعاً لكُلِّ باحث وناظر ومُفكِّر وصاحب قلم مُتذوِّق.

وصَلِّي اللَّهُمَّ صلاة تُرضيك وتُرضي مَنْ أرسلته رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه والتّابعين إلى يوم الدِّين، واختمْ اللَّهُمَّ لي، وللمُؤمنين، ولِمَنْ له حقٌّ عليّ الغُفران على ما أخطأنا، وما تعمَّدنا، وما أسررنا، وما أعلنَّا، وما أنتَ أعلم به منَّا، أنت المُقدّم، وأنتَ المُؤخّر، لا إله إلاَّ أنتَ، يا ربَّ العالمين، آمين.

المراجع

- القُرآن الكريم.
- المُرشد في آيات القُرآن الكريم وكلماته، مُحمَّد فارس بركات.
- صحيح البُخاري.
- صحيح مُسلم.
- سُنن التّرمذي.
- سُنن ابن ماجه.
- الكتاب المُقدَّس.
- العهد القديم.
- العهد الجديد.
- الإنجيل.
- أسفار التّكوين.
- أساسيّات علم النّفس، توق وعدس.
- إسلام بلا مذاهب، د. مُصطفى الشّكعة.
- الأحكام الشّرْعيَّة للإسرائيليّين، ووكز.
- الأُسرة والمُجتمع، عبد الواحد وافي.
- الأعراف، بينو.
- الأغاني، للأصفهاني.
- الأمالي، لأبي علي القالي.
- الإسلام والنّصرانيّة، مُحمَّد عبدو.
- الاضطرابات والانحرافات الجنسيَّة عند النّساء، الدُكتُوران عماد نجم ونادر سعادة.

- البادية، عبد الجبَّار الرّاوي.
- البادية والبداوة، الدُّكتُور جبرائيل جبُّور.
- البغاء عبر العُصُور، مُحمَّد صادق صبُّور.
- البُلدان، اليعقوبي.
- البُوذيَّة، ريس دانس.
- البيان والتّبيين، الجاحظ.
- التّربية وطُرُق التّدريس، عبد العزيز صالح، عبد المجيد عبد العزيز.
- التّعقيب، ديب علي حسن.
- التّلمود، تفسير حاخامات.
- الجنس، سيجمند فرويد.
- الحضارة الصّينيَّة، غراينه.
- الخراج، لأبي يُوسُف.
- الخراج، للقرشي.
- الدّعوة إلى الإسلام، أرنولد.
- الدّيانات القديمة، مُحمَّد أبو زهرة.
- الزَّواج عند العَرَب في الجاهليَّة والإسلام، د. عبد السّلام التّرمنيني.
- السّيرة، لابن هشام.
- العَرَب قبل الإسلام، جُرجي زيدان.
- العَرَب والإمبراطُوريَّة العَرَبيَّة، بروكلمان.
- العقائد، عُمر عنايت، طبعة مصر، 1928.
- العُقد الفريد، أحمد بن عبد ربّه.
- الفصل، لابن حزم.
- الفكر الدِّيني اليهُودي أطواره ومذاهبه، د. حسن ظاظا، دار القلم، دمشق.

- القاموس السِّياسي، عطيَّة.
- القانون الرُّوماني.
- القراءة للصَّفِّ الثَّالث ثانوي، وزارة التَّربية المصريَّة.
- الكامل، ابن الأثير، أبو الحسن علي.
- المرأة اليهُوديَّة بين فضائح التَّـوراة وقبضـة الحاخامات، ديب علي حسن، دار الأوائل، دمشق.
- المرأة بين الفقه والقانون، الدُكتُور مُصطفى السِّباعي.
- المرأة عبر التَّاريخ، مُونيك بيير.
- المرأة عبر العُصُور، مُونيك بيير.
- المرأة عبر العُصُور، أحمد زكي.
- المرأة في الإسلام، للسيِّد أمير علي الهندي.
- المرأة في البيت والمُجتمع، البهي الخولي.
- المرأة في التَّاريخ والشَّرائع، مُحمَّد جميل بيهم، بيروت.
- المرأة في الشِّعر الجاهلي، الدكتُور أحمد مُحمَّد الجوني.
- المرأة في القاموس المسماري، كارداسوا.
- المرأة في تاريخ العَرَب قبل الإسلام، الدكتُورة ليلى صبَّاغ.
- المرأة في مُختلف العُصُور، أحمد خاكي، دار الكُتُب، 1947.
- المعارف، لابن قُتيبة.
- المنار، مجلَّة، مُحمَّد رشيد رضا.
- النُّظُم الاجتماعيَّة والسِّياسيَّة عند قُدماء العَرَب والأُمم السَّاميَّة، مُحمَّد جُمعة، مطبعة السَّعادة، القاهرة، 1949.
- النُّظُم الاجتماعيَّة والسِّياسيَّة عند قُدماء العَرَب والأُمم السَّاميَّة، فيليب حتِّي.
- النَّهضة اليابانيَّة.

- اليهُود في تاريخ الحضارة.
- برُوتُوكُولات حكماء صهيون، حسن خليفة.
- تاريخ الأدب الفرنسي، جُورج لانسون.
- تاريخ التّربية، أحمد فهمي القطّان.
- تاريخ الحضارات العامّ، الشّرق واليُونان.
- تاريخ الحضارات العامّ، القديمة، مصر، أندريه إيمار، جانين أو بوايه، مُجلّد 1.
- تاريخ الطّبري، ابن جرير الطّبري.
- التّاريخ العالمي للمرأة، غريمال، باريس، 1965.
- تاريخ العَرَب، جواد علي.
- تاريخ العَرَب، فيليب حتّي.
- تاريخ العُصُور الوُسْطَى، د. أحمد شلبي.
- تاريخ الفلسفة في الإسلام، دي بور.
- تاريخ وأنظمة رُوسيا الحمراء، مُوريس كروزيه.
- تحرير المرأة، قاسم أمين.
- تفسير القُرآن، مُحمَّد بن جرير الطّبري.
- حضارة العَرَب، غُوستاف لُوبُون.
- دراسات في التّربية وعلم النّفس، د. فاخر عاقل.
- رُجُوع الشّيخ إلى صباه، أحمد بن سلمان الشّهير بابن كمال باشا.
- رسالة أرميا إلى اليهُود المنفيّين إلى بابل.
- سُنن ابن ماجه.
- سيكيُولُوجيَّة المرأة، باسمة كيَّال.
- سيكيُولُوجيَّة النُّمُوّ، عيسوي.
- صُبح الأعشى، القلقشندي.

- صحيح البُخاري، الإمام البُخاري.
- طبقات الشُّعراء، مُحمَّد بن سلام الجمحي، دار المعارف، 1952.
- عشائر العراق، المُحامي عبَّاس العزَّاوي.
- عقائد المُفكِّرين في القرن العشرين، عبَّاس محمود العقَّاد.
- علم النّفس التّربوي، د. فاخر عاقل.
- علم النّفس التّربوي، عبد الرّحيم، فلّوح، بلان.
- علم نفس النُّمُوّ، زهران/ حامد عبد السّلام.
- علم نفس الطُّفولة والمُراهقة، الحُمصي أنطوان.
- عُيُون الأخبار، ابن قُتيبة النّيسابوري.
- فقه السُّنَّة، السَّيِّد سابق.
- فقه المذاهب الأربعة، الجزيري.
- فلسفة السُّلطة في رُوما.
- قبائل البدو في سُوريا، السُّلطة الإنكليزيَّة المُنتدبة أواخر الانتداب.
- قصَّة الحضارة، ول ديورانت.
- كُهَّان مصر.
- لسان العَرَب، ابن منظور.
- مُؤسَّسات العصر القديم، جُورج غودميه.
- مجلَّة العَرَبي، شهر آب، 1984، للمراغي.
- مجلَّة الفيصل، عدد 225، د. حسن ظاظا.
- مجلَّة المُقتطف، خُطبة البستاني أميل.
- مُرُوج الذّهب، المسعودي.
- مُعجم البُلدان، ياقوت الحموي.
- مُعجم قبائل العَرَب، عُمر رضا كحَّالة.

- مُقارنة الأديان، البُوذيَّة، د. شلبي.
- مُقارنة الأديان، المسيحيَّة، د. شلبي.
- مُقدّمة ابن خلدون، عبد الرّحمن بن خلدون المغربي.
- مُقدّمة الخزنوي، أحمد بن مُحمَّد الغزنوي، تحقيق الشّيخ خليـل الميـس، مُفتي البقاع اللُّبناني.
- مُقدّمة المرأة في التّاريخ العَرَبي، الدُّكتُورة ليلى صبَّاغ.
- مكانة المرأة، العميد الرُّكن محمود رضا هروش.
- نظام حُقُوق المرأة في الإسلام، الشّهيد آية الله مُرتضى المطهري.
- نقيب العامَّة، كاتون الأوَّل.
- النُّمُوّ التّربوي للطّفل والمُراهق، د. دسوقي.
- هكذا علَّمَتْني الحياة، الدُّكتُور مصطفى السّباعي.
- وصف علم الاجتماع، هربرت سبنسر.
- وضع المرأة في الإمبراطُوريَّة اليابانيَّة، يونتيه.
- وضع المرأة في الكَنيسة، هنري رُوليه.

1) خديعة مخطوطات البحر الميت - مايكل بيجنت - ترجمة وتعليق وسيم حسن عبده -2009م.

2) قواعد اللغة الأكدية - د.فوزي رشيد 2009م.

3) قواعد اللغة السومرية - د.فوزي رشيد 2009م.

4) الدولة العربية في صدر الإسلام- قبل الهجرة - 40 هـ/ 610 - 660م، د.عبد الحكيم الكعبي - 2009م.

5) التعددية الفكرية وشرعية الاختلاف - د.عبد الحكيم الكعبي - 2009م.

6) الجزيرة الفراتية شمال سورية والعراق -(دراسة في التاريخ الديني والاجتماعي والسياسي قبل الاسلام) - د.عبد الحكيم الكعبي - 2009م.

7) التخطيط للعلاج النفسي مع اختبار BTPI - عادل عبد الرحمن صديق الصالحي - 2009م.

8) خارقيه الإنسان الباراسيكولوجي من المنظور العلمي - د.صلاح الجابري ط2 - 2009م.

9) مسارات وحدة الوُجُود في التَّصوُّف الإسلامي الله الإنسان العَالَم ، مُحمَّد الرَّاشد ط2 -2009م .

10) الخديعة الكُبرى هل اليهُود - حقاً - شعب الله المُختار؟ د. مُحمَّد جمال طحَّان ط2 - 2009م.

11) الرَّحَّالة ك طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، عبد الرَّحمن الكواكبي، تحقيق : د. مُحمَّد جمال طحَّان ط5 -2009م.

12) شيفرة ناسترادamos الحرب العالمية الثالثة 2006-2012، مايكل راثفورد- ترجمة وتعليق محمد الواكد-2009م.

13) السحر والخرافة وموقف الإسلام - د.حسن الباش2009م.

14) سقوط الإمبراطورية العثمانية وتكوين الشرق الأوسط الحديث - سلام ينهي كل سلام ديفيد فرومكين - ترجمة: وسيم حسن عبده - تقديم د.منذر الحايك 2009م.

يمتاز الكتاب برؤيا شمولية لتكوين الشرق الأوسط، وهذا ما جعله عمل غير مسبوق، فقد جمع لأول مرة الإجابات الكاملة عن أسئلة كانت ولا تزال رمز الحيرة والتعمية والتضليل، منها: كيف شكلت بريطانيا، الكيانات الجغرافية والسياسية للشرق الأوسط؟ ولماذا كانت تلك الأشكال وتلك الشخصيات بالتحديد؟ وماذا كانت ترجو من وراء ذلك؟ ما هو مدى التناغم أو الخلاف في الإدارات البريطانية وهي تتخذ قرارات مصيرية لملايين الناس؟ من هم أولئك الرجال الذين صاغوا أخطر القرارات في أصعب الظروف؟ ويبقى الجزء الأهم الذي من الكتاب هو وضعه لحدود الواقع والخيال لما كنا نعرفه عن تلك المرحلة، مثلاً: الجمعيات العربية؟ ابن سعود؟ الشريف حسين؟ الملك فيصل والأمير عبد الله؟ وعد بلفور؟ وسيدرك القارئ معنى الصدفة في التاريخ، وسيعرف معنى التآمر لتمرير السياسات حتى ضمن الجهاز الواحد للدولة، وسيصعب عليه أن يصدق كثيراً مما احتواه الكتاب، ولذلك قد يخلق الكتاب أزمة ثقافية، فهو يقلب كل ما تعلمناه أو جله، ولكن الأخطر هو الأزمة الروحية التي سيخلفها بالتأكيد بعد قراءته.

كان تشرتشل، الذي يحتفظ بوش بتمثال نصفي له في مكتبه البيضاوي، قد قام بالدور الأكبر لتأسيس معظم دول الشرق الأوسط، فهل يتأتى لواحد من معجبيه، وهو من أنجب تلامذته في المدرسة الاستعمارية، أن يسعى لتقليده في إعادة تكوين شرق أوسط جديد؟ إن ما قامت به حكومة بوش، من مغامرات في الشرق الأوسط، قد جعلت من قدرة نظم دوله على الصمود والبقاء سؤالاً مفتوحاً بطريقة لم تكن موجودة قبل بضع سنوات فقط، بل الأكثر من ذلك قدرة هذه الأنظمة على تبرير شرعية وجودها، وهذا ما يسميه الرئيس بشار الأسد: "أزمة الشرعية لأنظمة الشرق الأوسط"، حيث أشار إلى ذلك معلقاً على ما ورد في كتاب فرومكين.

15) الإسلام وصراع الحضارات - محمد بن موسى بابا عمي- 2009م

يتضمن هذا الكتاب جملة من البحوث والملاحق أوحى بها مسار الفكر المنحرف لمن انساق وراء نظرية: (صراع الحضارات)، فكانت محاولة من المؤلف، اعتمدت القرآن الكريم منطلقاً ومنهجاً، والسنة النبوية مثالاً وأنموذجاً، للتأسيس لعصر جديد، بدأ يلوح فجره بعد إخفاق الهجمة التي قادتها أمريكا بزعامة المسيحيين المتهودين، وتبشيرهم بحرب صليبية جديدة ضد الإسلام الذي صوروه دين عنف وإرهاب، فانقلبت عليهم وأثبتت زيف ادعاءاتهم وإخفاق نظريتهم، والعصر الجديد، الذي ستكون قيادات أمريكا الحالية خارجه على نحو مؤكد يحتاج إلى حوار حضارات ينطلق من هذه البحوث التي تبني ثقة متبادلة، تؤدي إلى تكامل حضاري يهدف إلى خير الإنسانية وسعادتها.

16) فرسان الهيكل والمحفل الماسوني (بريطانيا منبت الباطنية الصهيونية العالمية) أسرار الماسونية مايكل بيجنت - ريتشارد لي - ترجمة محمد الواكد - مراجعة وتدقيق: د.حسن الباش، 2009م.

أفضل تحقيق ينشر حتى الآن في تسليط الضوء على تطور الماسونية.

في هذا الكتاب يتتبع المؤلفان هروب فرسان الهيكل بعد عام 1309م من أوروبا إلى اسكتلندا التي وضع فيها تراث فرسان الهيكل جذوره، وجرى الحفاظ عليه من شبكة العوائل النبيلة هناك، ذلك التراث نشأت منه الماسونية، وأصبحا مرتبطين بقضية (آل ستيوارت) التي حمت تراث فرسان الهيكل، وكانوا مرتبطين بعمق بالماسونية الناشئة آنذاك. الكتاب يظهر أن ولادة الماسونية حصلت خلال بقاء تقاليد فرسان الهيكل، ومن تيارات الفكر الأوروبي، ومن اللغز المحيط بمصلى روزلين، ومن مجموعة خاصة من الأرستقراطيين الملازمين كونهم حراساً شخصيين للملك الفرنسي.المؤلفان في مطاردتهم للماسونية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر يكشفان ماهو أكثر إثارة، تأثير الماسونية كونها عنصراً أساسياً في تشكيل الولايات المتحدة الأمريكية من خلال تغلغل الماسونية في المجتمع البريطاني، لتجسد «الجمهورية الماسونية المثالية».ومن هنا يستطيع أي قارئ لهذا الكتاب أن يكتشف سر التحالف العقدي بين اليهودية والبروتستانتية الأصولية في أمريكا وبعض بلدان أوروبا.يحاول المؤلفان أن يبعدا الحديث عن هذا التحالف بين الصهيونية البروتستانتية والصهيونية اليهودية، لكن التاريخ يثبت أن المهاجرين الأوائل إلى أمريكا كانوا في معظمهم من الماسونيين المتحالفين مع اليهودية قبل تبلور الحركة الصهيونية السياسية. وإذ نسلط الضوء على أكثر من خمسمئة سنة من التطورات الخاصة بفرسان الهيكل والماسونية الأمريكية ذات الجذور البريطانية فإننا نقدم للقارئ العربي هذا الكتاب، لأنه أكثر من تاريخ وأكبر من وثيقة، يدمغ الماسونية بدمغة الحركة الباطنية المدمّرة، والتي تسعى في النهاية لتحقيق حلمها بهدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل المزعوم على أنقاضه متحالفة مع الاحتلال الصهيوني الماسوني العالمي.

17) الإرث المسيحي - أدلة مذهلة على السيد المسيح وعلى جمعية سرية لا تزال مؤثرة حتى اليوم! ريتشارد لي - مايكل بيجنت - هنري لنكولن محمد الواكد مراجعة وتدقيق: د.حسن الباش، 2009م.

هذا هو الكتاب الذي يكشف فعلاً أجوبة الأسئلة المثيرة والمزلزلة،أربع سنوات من البحث والتمحيص كشفت المزيد من الأدلة المريعة والنتائج المزلزلة بعد كتابي " شيفرة دفنشي" و" الدمّ المقدّس والكأس المقدّسة" اللذين قوّضا تماماً أسس الديانة المسيحية، ما المعنى الاستثنائي الذي يكمن خلف لقب السيد المسيح "ملك اسرائيل"؟.هل كان هناك أكثر من مسيح واحد؟. من هم حقاً الذين كانوا أتباع السيد المسيح، وما الهويّة الحقيقية لسمعان بطرس ويهوذا الأسخريوطي؟. من يمتلك الآن الكنز القديم الذي كان في هيكل سليمان في أورشليم؟.ما المصدر الحقيقي "لأصول" الديانة المسيحية الراهنة؟. ما الذي يربط بين الفاتيكان ووكالة المخابرات الأمريكية المركزية (CIA) ومجلس أمن الدولة السوفيتي (KGB) والمافيا والماسونية وفرسان الهيكل؟. ما الهدف المذهل للجمعية الأوروبية السريّة التي تنسب جذورها إلى السيد المسيح وآل النبي داوود؟.

في هذا الكتاب أحضر المؤلفون رسالة تنوير للحقيقة وأهمية عاجلة لكل المسيحيين وغير المسيحيين في كل أنحاء العالم.

18) المكان المقدس الكاهن سونير وفك شيفرة اللغز العظيم لقرية رين لي شاتو. عاصمة أسرار التاريخ الفرنسي، هنري لنكولن ترجمة محمد الواكد مراجعة وتدقيق: د.حسن الباش، 2009م.

من المؤلف المشارك في الكتب التي أسست قاعدة انطلاق لكتاب شيفرة دافينتشي، يأتي الكتاب الذي يكشف عن تحفة فنية معمارية مسيحية واسعة ونادرة، إنه معبد هائل ذو أشكال هندسية معقدة في جنوب فرنسا، ويمكن ارتباطه بالكأس المقدّسة.هذا الكتاب يتحرّى عن رين لي شاتو، وهي بلدة صغيرة في جنوب غرب فرنسا، في هذه البلدة، وفي أواخر القرن التاسع عشر اكتشف كاهن القرية المدعو بيرينجر سونير سلسلة من المخطوطات الكتابية

التي قادت تباعاً إلى كنز عظيم ولكنه ملعون، إنه الكنز الذي تحدّى العديد من المعتقدات والتقاليد المسيحية، بما فيها إمكان استمرار سلالة السيد المسيح حتى الوقت الراهن، قصّة الكنز تعود في التاريخ لتتخلل الحملات الصليبية، وأصول فرسان الهيكل والولادة البتولية ذاتها كتاب دان براون الذي تربع على رأس قائمة الكتب الأكثر رواجاً دولياً في الوقت الراهن أوقد النار والفضول من جديد فيما يتعلق بهذا المكان القديم الحاسم، في المكان المقدّس يكشف لنكولن بالمزيد من الاستطلاعات والتفسيرات والتحليلات أنّ هذه المنطقة في جنوب غرب فرنسا هي موقع لمكان مسيحي مقدّس، يتميز بأهمية هائلة وحجم عظيم. يحتوي الكتاب على أكثر من مئة صورة وعلى مخططات توضيحية ومخططات لسونير ورين لي شاتو، إضافة إلى المخطوطات الكتابية التي كانت الحافز الأساسي لاكتشافات سونير، والأسس الهندسية التي استندت إليها تلك الاكتشافات. هنري لنكولن هو منتج أفلام وثائقية بارز، إضافة إلى كتاب الدم المقدّس والكأس المقدّسة، هو مؤلف مشارك في الكتب التالية: «الإرث المسيحي» و«دليل على النمط المقدّس» و«الجزيرة السريّة لفرسان الهيكل».

19) عصر حماس ـ شاؤول مشعال ـ أبراهام سيلع ـ قراءة وتعليق :علي بدوان2009م.

(عصر حماس) لكاتبين إسرائيليين، عملا منذ فترة طويلة ومازالا في حقل الكاتبة والإعلام في الصحف الإسرائيلية وأهمية الكتاب تنبع أولاً من كونها تقدم بصورة ما، رؤية إسرائيلية صهيونية لتنظيم فلسطيني بات يشكل قوة كبيرة ذات حضور سياسي وجماهيري في الشارع الفلسطيني، وطرفاً أساسياً في معادلة معقدة مازالت تحكم الصراع العربي والفلسطيني مع العدو الصهيوني.الكتاب يحتفظ بأهميته في سياق قراءة مقدمات الرؤية الصهيونية، كيف كانت وكيف أضحت مع سيل من الأحداث التي تكاثفت في ساحة الصراع الفلسطيني والعربي مع العدو الإسرائيلي، وهي تطورات فرضت نفسها أولاً داخل المجتمع اليهودي على أرض فلسطين التاريخية، ووضعته أمام نقاشات من نوع جديد، مع تصاعد الأسئلة المصيرية التي أصبحت أسئلة يومية تطرح نفسها على كافة مستويات وشرائح المجتمع الصهيوني، ومن بين الأسئلة التي كانت ومازالت الأكثر تواتراً، نجد منها الأسئلة المتعلقة بجدوى السياسة الإسرائيلية المتبعة تجاه حركة حماس بشكل خاص وعموم قوى المقاومة الفلسطينية بشكل عام.وهناك قناعة شبه راسخة باتت تشير للإسرائيليين بأن حركة حماس تتمتع بتأييد اجتماعي قوي وحضور مؤسساتي مؤثر، وتأثير سياسي غير متناه داخل الرأي العام الفلسطيني، وقدرة على التكيّف في الظروف الصعبة، وخاصية مميزة بصفتها حركة جماهيريةً تربطها المؤسسات بترابط متين لحاجات المجتمع، مما جعل منها قوة سياسية من الصعب تجاهلها من حيث حضورها ونشاطها المدني في المستقبل الواضح للعيان، وبأن أجيالاً جديدة من شبان ورجالات المقاومة مازالت تنبع وتتوالد في فلسطين، حيث لم تستطع آلة القتل والتدمير الإسرائيلية من اجتثاث المقاومة وفصائلها، أو من تحييدها ووضعها خارج دائرة الفعل والتأثير.

20) قراءة في مذكرات يعقوب بيري، رئيس جهاز الأمن العام الإسرائيلي (الشاباك) ـ القادم لقتلك . . . استبق واقتله ، تقديم: د. أمل يازجي، د. منذر الحايك. 2009م

عزيزي القارئ . . اقرأ هذا الكتاب، فقد قرأت مرة في مقدمة كتبها غسان كنفاني، عندما ترجم نصوصاً قصصية من العبرية إلى العربية: (إنه لا يمكنك أن تعرف أدب الآخر حتى تفهمه)، فهنا تجد مجموعة ذكريات لرجل صنع مع آخرين سجل دولة تعشق اللون الأحمر، وكان لديه دائماً ما يكفي من مسوغات أخلاقية وسياسية، تسمح له ولفريقه بالقتل، كما يقدم الكتاب صوراً كثيرة، تظهر كم السلم ممكن، وكم السلام مستحيل، وكم جاء قاطنو فلسطين الجدد بلا ذاكرة، وكم هي كبيرة مأساة هؤلاء ، لأن الوطن ذاكرة، ولا يمكن اغتصاب ذاكرة الآخرين وجعلها وطناً لأي كان.لقد سعى بيري لأن تكون مذكراته عرضاً للمشهد الختامي من المسلسل الصهيوني الطويل، مع تجاهل الممارسات التي أدت إلى هذا المشهد الذي ساهم فيه القتل والتهجير والاضطهاد الصهيوني بتحويل الفلسطيني إما إلى استشهادي مقتول بشرف، وإما إلى مقتول ذليل لا محالة. ولكن تواتر الانتفاضات والشهداء لن يسمح لمشهد (الآتي لقتلك) أن يكون، كما أراده بيري، مشهداً ختامياً للصراع العربي الإسرائيلي، لذلك أدعو كل عربي لقراءة هذا الكتاب، ليعرف حقيقة مشكلة الأمن في إسرائيل، والشعور بالخوف القاتل من المستقبل، وعلى ضوء ذلك يمكن أن يفسر العديد من مواقفها وردود أفعالها .

21) تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس (دراسة في التاريخ النقدي للكتاب المقدس في الغرب المسيحي) ـ د.يوسف الكلاّم 2009م

هذا العمل العلمي نقدمه للقارئ العربي جاء ليكسر الطوق على المعرفة الإسلامية الحديثة والمعاصرة التي «زهدت» لأسباب سياسية واجتماعية قديمة في تعرف أديان العالم وعقائد الآخر، بعد أن كانت تلك المعرفة سبّاقةً

إلى رصد الفرق والأهواء والملل والنحل، ثم إن هذا العمل دال من جهة أخرى على قدرة صاحبه على هضم علم مقارنة الأديان، وتتبع مسالكه داخل المجتمع الغربي، وانطلاقاً من مصادره الأولى وأدبياته الأصلية، ما مكنه من إعادة النظر إلى هذا العلم وتقييمه انطلاقاً من رؤية علمية استراتيجية قائمة على مفهومي التقنين والتقديس اللذين يحيلان في واقع الأمر إلى مشكلة المتغير والثابت أو المعياري والمطلق، وهي مشكلة لا تخص النصوص الدينية في الغرب فقط، بل إنها تعم كل مجالات الفكر الغربي، حتى أصبحت اليوم مشكلة المشكلات في هذا الفكر هي إضفاء المعيارية المطلقة على كل القيم والمفاهيم التي تصير حينئذ خاضعة لتقنينٍ وترسيمٍ متجددين، لن يلبثا أن يتغيرا بتقنين مخالف، فيصبح المقدس الماضي محدوداً في الحاضر، ليترك المجال لمقدس آخرٍ يُفرض فرضاً، ويقنن له تقنيناً بشرياً محضاً!، ومما لا شك فيه أن هذه المواقف الريبية من معنى الحقيقة لم تكن إلا انعكاساً لواقع تاريخي خاص، خاضه الغرب سياسياً واجتماعياً وفلسفياً ودينياً، بل تكاد مواقف الفكر الغربي من مشكلة الحقيقة أن تكون ردود فعل على ما عانته الكتب الدينية «المقدسة» عند المسيحيين من مشكلات صارخة مع الحقيقة، وما أثارته من مشكلات معرفية، وما خلفته من مواقف نقدية، وضعت تلك الكتب «المقدسة» ومعها ممارسات وسلوكيات الآباء والرهبان القائمين عليها موضع المساءلة، وكل هذا ينبئ عن جدلية العلاقة بين مشكلة الكتاب المقدس والتطور الفكري والفلسفي في الغرب الحديث والمعاصر، ولعل مصطلحي التقديس والتقنين يختزلان تلك الإشكالية ويشيران إلى تطورها إلى يومنا هذا، وأظن أن الدكتور يوسف الكلام قد وُفق جداً في استيعاب حركة نقد الكتاب المقدس في الغرب بعد أن ربطها بظرفيتها الفكرية والسياسية الداخلية، وشدّد على أسبابها الذاتية الكامنة في ذلك النص المقدس نفسه، وذكّر أيضاً ببعض أصول تلك الحركة ومنابعها داخل الفكر الإسلامي. ولقد سبق المؤرخ الهولندي الكبير آدم ميتز في كتابه الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أن أكّد أن «تسامح المسلمين في حياتهم مع اليهود والنصارى، ذلك التسامح الذي لم يسمح بمثله في القرون الوسطى كان سبباً في أن يُلحق بمبادئ علم الكلام شيئاً لم يكن من مظاهر القرون الوسطى، وهو علم مقارنة الأديان».

22) معجم مصطلحات ألفاظ الفقه الإسلامي - سائر بصمه جي - 2009م

يغطي هذا العمل أكثر من (5000) لفظ من ألفاظ الفقه الإسلامي في كل من الأقسام التالية: الصلاة، الصيام، الحج والعمرة، الزكاة، الطهارة، الأحوال الشخصية، المعاملات، المواريث، الجنايات و العقوبات، الجهاد، الأقضية و الأحكام، الأطعمة و الأشربة، اللباس و الزينة، وفيه الشرح اللفظي للمصطلح من الناحيتين اللغوية و الشرعية. العمل مرتب على حروف المعجم العربي تسهيلاً لعملية البحث عن المفردة. كما أننا نعرض رأي جميع المذاهب في هذا اللفظ.

23) الصلات الحضارية بين العراق والخليج العربي خلال الألف الثالث قبل الميلاد، (التاريخ السياسي والحضاري) - د.قصي منصور التُركي- 2008م

تمتد حضارة العراق في جذورها وأصولها إلى أقدم عصور قبل التاريخ، لتستمر في نضجها وازدهارها حتى أوائل العصر الميلادي، وانتشرت تأثيراتها وتراثها إلى عدة أقاليم حضارية، لاسيما المجاورة لها. دراستنا تساهم في الكشف عن صلات حضارية بين إقليمين متجاورين مثل العراق والخليج العربي ، واقتضت الضرورة الجغرافية المتعلقة بموقع العراق المطل على الخليج العربي جنوباً أن تقتصر الدراسة على منطقة حضارة جنوب العراق خلال فترة تاريخية محددة بالألف الثالث قبل الميلاد، بيد أنها لا يمكن أن تحدد من حيث التأثيرات الحضارية بين الشعوب في منطقة حضارية واحدة متجانسة .

إن الهدف من هذه الدراسة توضيح قدم الصلات الحضارية وأدلتها بين العراق والخليج العربي، وأهمية أحدهما على الآخر، بفعل ما يتصف به كل إقليم من قدرات، وربما تكون لهذه الدراسة أهمية خاصة في إظهار العلاقات الثقافية والبشرية وحاجة كل إقليم إلى الآخر قديماً وحديثاً في ظرف عسير تمر به المنطقة، والتي هي بأمس الحاجة إلى الحوار الحضاري والثقافي المتبادل بين الشعوب، لتتحقق بذلك الوحدة الحضارية والثقافية.

24) اللغة والمعرفة: رؤية جديدة - صابر الحباشة. 2008م

إنّ العلوم اللسانية قد عرفت منذ بداية القرن العشرين وطواله جملة من المدارس والاتجاهات اللسانية متعاقبة ومتداخلة وأحياناً متناقضة، ما جعل هذا العلم يتطور ويشهد منعرجات حاسمة، ويبدو أنّ كلّ دارس قد جلب معه عدة لسانية غربية وحاول بها أن يهوي على التراث، فيعيد تأليفه وفق النظرية التي درسها وتشبع بها هذا الدارس أو ذاك، فمن بنيوية دي سوسير إلى سلوكية بلومفيلد وغلوسيماتيك هيالمسلاف، ووظائفية مارتينيه وتحويلية هاريس، وتوليدية تشومسكي، وغيرهم كثير. في هذه الفصول ركزنا على مبحث الدلالة وما يلفّها من إشكاليات تتعلق باللغة والمعرفة والمعنى والتأويل. ويجد القارئ نصوصاً مترجمة عن هذه القضايا رأينا أن نُثبتها لتعينه على تدقيق النظر في

بعض المسائل الفكرية والمنهجية التي تتصل بمقاربات اللغة في النظريات الحديثة، ويعثر المتصفح لهذا الكتاب أيضاً على مقدمات وأشتات لمداخل بحثية في تعدد المعنى، ومن رصد لسبل نشوئه وتعليل طرائق انتشاره ومحاولة ضبطه ضبطاً لسانياً يتساوق ومحاولات علم الدلالة الحاسوبيّ الذي ذهب شوطاً في معالجة اللغة الطبيعية معالجة آلية.

25) التداوليّة والحجَاج ـ مدخل ونصوص ـ صابر الحباشة. 2008م

في هذا الكتاب جملة من الفصول تحتوي على تمهيد يعرض لمنزلة الحجَاج والخطاب الحجاجي في البلاغة والتداولية ومحاولة لكشف بعض السمات الحجاجية في بعض نصوص الشروح البلاغية القديمة، إضافة إلى تقديم بعض النصوص التي اجتهدنا في تعريبها عن اللغة الفرنسية، وتقدّم في مجملها تعريفاً للحجاج وأنماطه وبعض مباحثه التداوليّة ومفاهيمه الإجرائية، واندراج الحجَاج في المباحث التداوليّة أمر قد جرى في عرف الباحثين، وقد أشار إلى ذلك بعضهم إذ قال: «(ويوجد تيار ناتج) عن التقاء تيارين نابعين من أصلين مختلفين ومتداخلين في الآن نفسه: تيار ينبع من أطروحات فلسفية ومنطقية مختلفة، يمكن جمعها تحت العنوان (الفلسفة اللغوية)، ويجمع نظريات مختلفة ومتداخلة كالفلسفة التحليلية والنماذج المنطقية المختلفة، وتيار ينبع من اهتمام اللسانيين بالتخاطب وذاتية المتكلم وخصائص الخطاب، ويتجمع التياران في مجال عامّ مشترك بين اللغويين والفلاسفة والمناطقة وعلماء النفس نضعه تحت عنوان عامّ جداً، هو (الأطروحات البراغماتية)، ويُعدّ الحجَاج باباً رئيساً في المباحث التداوليّة، ونحاول في هذا العمل أن نقترب من نظريات الحجَاج من دون تكرار ما ورد في دراسات أكثر شمولاً واستيعاباً.

26) ديوان دمشق (من أجمل ما قيل في دمشق الشام) ديب علي حسن2008م.

كانت دمشق على الدوام أكثر العواصم العربية المسكونة بالشعر والشعراء، فقاسموها أفراحها وأتراحها، فمنهم من تغنى بها شوقاً أو غنى لها حباً، ومنهم من هزته النكبات التي تعرضت لها دمشق فجاشت نفسه بقصائد حزن ومواساة.ودمشق عاصمة الدنيا أيام الأمويين، وعاصمة سورية وزينة الدنيا اليوم، ربما كانت من أكثر المدن التي تغنى الشعراء العرب بها وبسكانها منذ العصر الجاهلي، ولا يزالون يفعلون حتى اليوم.

في هذا الكتاب بعض أجمل وأندر القصائد التي قيلت عن دمشق.

27) تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث ـ د.نعيم اليافي ـ2008م.

إن هذه الدراسة تلبي حاجة الشعر العربي بحيث تقترب إليه من داخله عبر ربطه بقاعدة فلسفية للعصر أولاً وبنظرية فنية ثانياً ثم تنطلق إلى دراسته دراسة بنائية، ضمن محور رئيسي تدور حوله وهو الوضع الغالب للصورة الذي يهدف إلى دراسة أنماطها المسيطرة في كل فترة على حدة وهي التقليدية والرومانسية المعاصرة.

28) النبوءة نص سينمائي (وصية النبي إبراهيم) ـ د.جمال البدري2008م

يتكون نص وسيناريو (النبوءة) من 215 مشهداً، ليشكل مع الموسيقى التصويرية.. بعد إنتاجه، فيلماً سينمائياً، لمده ثلاث ساعات على الشاشة.فكرة النص تعتمد الجمع بين المفترض. الواقع والحلم المنشود من خلال العثور في الصحراء السورية، على وثيقة تاريخية تُنسب إلى النبي إبراهيم، وتشير إلى استمرار الصراع بين المؤمنين وغير المؤمنين، وعلامات ذلك وعلاقة هذا الصراع على مستقبل الإنسانية، خصوصاً ضمن منطقة الشرق الأوسط وامتداداتها في عالم اليوم.يركز النص على فكرة الخير والشر وأدواتهما المتصارعة على مستوى الأفراد والجماعات، ويتبنى النص رؤية كتابة السيناريو في هوليوود بإطار من الموضوعية والحياد في استعراض الأحداث والأفكار والمواقف وأبعادها التاريخية والمعاصرة والمستقبلية، إنه نص عالمي وإنساني معاً.

29) صفحات من تاريخ الكفاح الفلسطيني (التكوينات السياسية والفدائية المعاصرة: النشأة والمصائر) ـ علي بدوان ـ2008م

يستعرض الكتاب بيبلوغرافيا العشرات من القوى (تنظيماً وحركة وحزباً وجبهة وتحالفاً وعصبة وكتيبة وسرية ...) ويعيد قراءة نهوض الحركة الإسلامية المقاتلة في فلسطين في انبثاقها الهائل الذي أسهم في توالد الجديد من التحولات في الخريطة السياسية والأيديولوجية في الساحة الفلسطينية.

30) اغتيال البيئة الفلسطينية (التطهير العرقي) الاستيطان-جدران الضم-المياه- مصطفى سعد الدين قاعود ـ 2008م

عملت سلطات الاحتلال الإسرائيلي، بشكل منهجي ومدروس على تدمير البيئة الفلسطينية، فتجسد الاحتلال في مصادرة جميع أوجه الحياة الفلسطينية، بهدف القضاء على كل مقوماتها وإرغام الفلسطينيين على الرحيل من تلقاء

أنفسهم، عندما تنعدم أسباب الحياة، و رغم الرهان الصهيوني البائس على رحيل الفلسطينيين، فقد أذهل الفلسطينيون العالم بصمودهم وتشبثهم بأرض الآباء والأجداد، رغم تضائل مقومات الحياة وانعدامها في العديد من القرى والبلدات وخاصة تلك التي أصبحت معزولة عن محيطها الفلسطيني بسبب جدران الضم والفصل العنصري.

31) صعود النازية (ألمانيا بين الحربين العالمتين سياسياً، اجتماعياً، اقتصادياً). نيرمين سعد الدين إبراهيم، مراجعة وتقديم : د.منذر الحايك2008م.

قد لايكون هناك تاريخ تنطبق عليه مقولة (التاريخ يكتبه المنتصرون)،كما تنطبق على ماكتب عن النازية،فمعظم ما لدينا من معلومات عنها هو ما سمح المنتصرون بتداوله، منقادين لغطرستهم وللضغط الصهيوني.ونحن عرباً لا مصلحة لنا في تسويغ ماقامت به النازية، ولكن لاشيء يمنعنا من استجلاء بعض الحقيقة بعيداً عن رقابة الفكر الصهيوني وإرهابه، بل لنا المصلحة كل المصلحة في فضح علاقة تسترت الصهيونية عليها، وكتمتها طويلاً عن العالم، ألا وهي التنسيق والدعم المتبادل بين النازية والمنظمة الصهيونية العالمية، وما قاما به معاً، وهو ليس اضهاداً فقط، بل قتل وتهجير بالقوة ليهود أوروبا، حتى ليبدو وكأن الصهيونية هي من سوّق كره اليهود، وهي التي لقنت النازية أفكارها العنصرية، يبرهن الكتاب بالمصادر الرسمية الموثقة على التعاون النازي الصهيوني، ويوضح الأبعاد التي بلغها والتي أخفيت طويلاً. وهو يحمل في طياته رسالة تكشف المضمون الحقيقي للحركة الصهيونية العالمية، وتثبيت أنها صنو للنازية ، كما يبحث في مرحلة حدثت فيها تطورات خطيرة في جميع مناحي حياة ألمانيا التي كانت بلداً مهزوماً، والمنتصرون يحتلون قسماً من أراضيه، وقد كبلته معاهدة فرساي عسكرياً وأرهقته اقتصادياً، هذا البلد بهذه الظروف تمكن من قلب المعادلة، وارتقى معتمداً على ذاته، ليتحول إلى القوة الأكبر في القارة، ويشن الحرب على أوروبا مجتمعة تقريباً، وإذا دفع العالم كله في الماضي ثمن التطرف النازي، فالعرب مازالوا حتى الآن يدفعون ثمن التطرف الصهيوني وإرهاب دولة (إسرائيل) المنظم.

32) استشهاديون أم انتحاريو إرهاب. وجهة نظر يهودية، شاؤول كمحي- شموئيل إيفن، مراجعة وتقديم : د.منذر الحايك2008م.

لم تمر مرحلة تاريخية، أثارت فيها مصطلحات الاستشهاد والجهاد مثل ما تثيره اليوم من جدل واهتمام، وضمن هذا السياق كان كتاب: استشهاديون أم انتحاريو إرهاب (وجهة نظر يهودية)، فهو يجيب عن تساؤلات تشغل بال المجتمعات الغربية عموماً، والمجتمع الإسرائيلي خصوصاً.استعرض المؤلفان المختصان في كتابهما هذا فلسفة الاستشهاد، وجذوره التاريخية، وأماكن انتشاره في العالم، والأسباب والدوافع التي تؤدي إليه، وقدّما ستين حالة من الاستشهاديين، جرى الاستقصاء عن تفاصيل عملياتهم وأسلوب حياتهم، وصنّفوهم في أربع مجموعات أساسية، تتفرع عنها حالات متعددة. ومن خلال الكتاب يستشف القارئ مدى رعب الإسرائيليين، واهتمامهم الأمني والعسكري لوقف تفشي ظاهرة الاستشهاد بين الفلسطينيين، التي أقضت دقائق حياتهم اليومية، وأعاقت الحركة الاقتصادية، عدا آثارها النفسية. وباعتراف الكاتبين: فإن العمليات الاستشهادية كشفت نقطة ضعف المجتمع الإسرائيلي الذي طالما عدها من ميزاته، وهي حبه للتمتع بالحياة.

33) وُجهة نظر مسيحيَّة، دفاعاً عن الجهاد (حقيقة الجهاد) ، آرشي أوغوستاين ـ ترجمة، مُحمَّد الواكد، مراجعة، د.منذر الحايك 2008م.

يعالج الكتاب قضايا في منتهى الحساسية والخطورة، وهي الآن على بساط البحث في العالم أجمع، مثل شرعية الجهاد، والدعم المسيحي للقضايا الإسلامية، قابلية نجاح الدولة الإسلامية. يقول مؤلف الكتاب أنا محام ومسيحي كاثوليكي ملتزم، وبعد اطلاعي على نسخة مترجمة من القرآن الكريم توصلت إلى استنتاج مفاده، أن غير المسلمين لاينبغي لهم أن يخافوا من ازدهار الإسلام، وأن مايجب أن نخاف منه هو جهلنا بذلك النوع من الإيمان، أملي أن البشر، من أتباع كل الديانات أن يقرؤوا ماكتبت جيداً وبلا تحفظات سابقة، وبالتأكيد لن أرجو كل شخص ليفعل ذلك لأن الحقيقة لاتنجلي دائماً للجميع مع أنها كالبذرة التي ربما تورق حتى في أكثر الأراضي قسوة.

34) وُجهة نظر مسيحيَّة، تفجيرات انتحارية أم استشهاد ، آرشي أوغوستاين . ترجمة، مُحمَّد الواكد، مراجعة، د.منذر الحايك 2008م. .

يشكل موضوع هذا الكتاب قضية في منتهى الأهمية للمسلمين ولغيرهم، وماأحوجنا الآن إلى سماع رأي آخر لايمكن أن يتهم بالتعصب، وقد يستغرب القارئ من تقارب يكاد يبلغ حد التطابق بين وجهة النظر المسيحية المتدينة ووجهة النظر الإسلامية . يقول مؤلف الكتاب: ماالذي أعلمتنا به أجهزة الإعلام الغربية فيما يتعلق بالاستشهاد لدى المسلمين؟، نحن لانقرأ عادة كلمة (شهيد)، بل كلمات مثل: (مخرب، وإرهابي)، نحن عُلمنا أن نرد بالخوف والرعب على الهجمات الانتحارية للأصوليين، وأنا هنا أنوي التعامل مع الاستشهاد في الإسلام وكشف طبيعته الحقيقية، وإني

أقوم بذلك كوني مسيحياً كاثوليكياً ومحامياً تحفزه الرغبة ليكون صادقاً بما فيه الكفاية لإصلاح الخطأ المستمر الذي تمارسه أجهزة الإعلام المعادية للإسلام، لذا سأحاول توضيح الحقيقة إلى الحد الذي ضلل عنده القارئ.

35) ملامح البنية الديموغرافية والسياسية والاقتصادية والعسكرية(لإسرائيل) حتى عام 2015م،نبيل محمود السهلي2008م.

يرصد الباحث كل لتطورات التي حصلت في الكيان الصهيوني على المستوى الاقتصادي والديموغرافي والعسكري ويبحث الكتاب في التطور الديموغرافي لليهود في فلسطين المحتلة،الأرض الفلسطينية وتشريع الاستيلاء الجائر،التركيب السكاني الراهن للدولة الإسرائيلية،تدهور الحالة الأمنية داخل إسرائيل، خصوصاً منذ اندلاع الانتفاضة،الأزمة الاقتصادية،شبكة أرقام ومعطيات داخل إسرائيل،التمييز بين الأشكناز والسفارديم،مؤتمرات هرتسليا والمناعة الهشة،ترسيخ الاستيطان بعد الانسحاب من غزة،فلسطينيو 1948م فوق أرضهم، والمتغير الواعد(صمود وثبات)،خصوصية حياة العرب داخل الخط الأخضر،التمييز العنصري خطوة ضرورية للتهميش والتهويد،الاقتصاد الإسرائيلي(أداء متطور بأعمدة خارجية)،آثار الانتفاضة الفلسطينية في الاقتصاد الإسرائيلي،مصادرة المياه العربية لتحسين أداء الاقتصاد الإسرائيلي،مؤسسة العسكرتاريا في إسرائيل،أبعاد الخيار النووي الإسرائيلي،الصناعة الأمنية في إسرائيل،الصناعة الأمنية في العالم. الكتاب مفيد لما احتواه من شبكة أرقام ومعطيات وحقائق عن الكيان الصهيوني في مجالات السياسة والاقتصاد والقوة العسكرية التقليدية وغير التقليدية ، والأهم من ذلك أن الباحث قام بعمليات إسقاطات لاستشراف أوضاع الكيان الصهيوني حتى عام 2015.

36) الفلسطينيون داخل الخط الأخضر...أشجار الصبار في مواجهة سياسة الاحتلال حقائق ديموغرافية واقتصادية وسياسية، نبيل محمود السهلي2008م.

مرت الأقلية العربية في أرضها في الجزء المحتل من فلسطين في عام 1948م، بمراحل عصيبة، وخاصة خلال الفترة التي امتدت منذ عام 1948م وحتى عام 1966م، حيث ساد الحكم العسكري في كل التجمعات الفلسطينية، و قد صمد في الجزء المحتل في عام 1948م نحو (156) ألف فلسطيني، بعد طرد (850) ألف فلسطيني خارج أرضهم على يد العصابات الصهيونية من الشتيرن والهاغانا والأرغون، وبفعل الزيادة الطبيعية العالية، والخصوبة المرتفعة بين النساء الفلسطينيات داخل الخط الأخضر، فإن الفلسطينيين هناك يتضاعفون كل عشرين عاماً ، وباتت الأقلية العربية في إسرائيل تشكل نحو (19) في المئة من إجمالي السكان اليهود والعرب ، فما حقيقة القوى السياسية العربية داخل الكيان الصهيوني، وما مقدار تمثيل الأقلية العربية في الكنيست، ومن ثم ما حجم حراكها السياسي، الطائفة الدرزية في إسرائيل وأهداف فرض الخدمة الإلزامية عليهم، فلسطينيو 1948م وانتفاضة الأقصى، وما التحولات الديموغرافية والتطورات الاقتصادية التي واكبت وجود الأقلية العربية في أرضها .

37) فعَّاليَّة القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النَّصِّ القُرآني ،أحمد بن محمد جهلان2008م.

يهتمُ البحث بتحليل فعاليَّة القراءة وعلاقتها بتجسيد دلالة النَّصّ، ويتَّخذ من القراءات والتَّأويلات المُمَارَسَة على النَّصّ القُرآني موضوعاً لاختبار آليَّات القراءة عند المُفسِّرين العَرَب القُدماء، ويفتح سُبُلاً لمُحاولة الاستفادة منها، وربطها بالآراء الحديثة في القراءة وتأويل النُصُوص. من أهمّ ما ورد في الكتاب:ما القراءة الاستهلاكيَّة؟ وما القراءة الفعَّالة المُنتجة؟وما مُستويات القراءة ومُحاورة النَّصّ؟ وما مراحل القراءة للقُرآن؟ وكيف نُحلِّل الآليَّة القُرآنيَّة؟ القراءة وإنتاج المعنى، آفاق نظريَّة القراءة، القارئ عند عُلماء القُرآن، المكِّي والمدني، والتَّفاعل بين النَّصّ القُرآني وواقع المُتلقِّين، النَّاسخ والمنسوخ، توسيع المعنى وتضييقه، المُطلق والمُقيَّد، المُحكم والمُتشابه، فَهْم النَّصّ القُرآني والقراءة، فَهْم القُرآن بين التَّفسير والتَّأويل، تيَّارات التَّأويل القُرآني، آليَّات التَّأويل القُرآني، وشُرُوطه، وأنواعه، بين المعقول والمنقول؛ نقد ما بعد الحداثة.

38) أصالة الوُجُود عند الشّيرازي من مركزية الفكر الماهوي إلى مركزية الفكر الوُجُودي، كمال عبد الكريم حُسين الشّلبي، تقديم : د صلاح الجابري 2008م.

قدَّمت نظرية (أصالة الوُجُود) بُعداً فلسفياً إسلامياً ابتكارياً، نمّ عن قدرة فكرية فذّة، ما أصالة الماهية عند الفلاسفة السابقين للشيرازي، ثم عند الفلاسفة المسلمين كالسّهروردي وابن عربي، ثم عند الشيرازي؟ وقد اعتمد الباحث ـ على نحو رئيس ـ على المنهج الوصفي التّحليلي، مع إدماج المنهج التاريخي المُقارن أحياناً .

39) تاريخ دمشق في العصر الفاطمي ، د. مُحمَّد حُسين محاسنة . مراجعة وتقديم : د.منذر الحايك2008م.

يعالج هذا الكتاب فترة غامضة ومحزنة وغريبة من تاريخ مدينة دمشق، فترة حكم البربر والبدو والقرامطة وتحكمهم بهذه الحاضرة العريقة، حيث خضعت لهجومهم ونهبهم وتدميرهم وإحراقهم لها، ولكن إرادة الحياة لدى سكان دمشق، في ذلك الوقت، هي الأغرب، وذلك خلال تمسكهم بمدينتهم، ودفاعهم المستميت عنها،وبحال غياب الزعامة الوطنية الرسمية نرى أنه من عمق الفقر والجهل، من صفوف طبقة العامة التي لا تعرف إلا دمشق ومحبة دمشق، تبرز شخصيات شعبية قادرة على قيادة الناس البسطاء، وبأقل قدر ممكن من التنظيم والتسليح تحقق انتصارات، وتظهر مواقف لا تنسى وبطولات، قد تبدو بلا جدوى، لأبطال مجهولين قتلوا على أسوار دمشق، أو في أزقتها، لم يطلبوا حكماً ولم يعرفوا السياسة قط، بل آمنوا بدمشق ودافعوا عنها بأرواحهم، وربما كان من دواعي اهتمامي بهذا الكتاب أنه التفت إلى الطبقة الشعبية في دمشق فدوّن ما تجاهله التاريخ طويلاً، إضافة إلى إجادته احتواء الحدث التاريخي ضمن زمانه وفي حيز مكانه، إضافة إلى تناوله الموفق لموقع دمشق ومناخها وسكانها ، واستعراضه لعمرانها بشقيه المدني والديني، وفي أثناء بحثه في ظروف الاحتلال الفاطمي لدمشق نراه يدخل عمق تاريخ هذه المدينة مع تناوله لتنظيم الأحداث فيها، ثم يفصل نواحي الإدارة الفاطمية بدمشق، ويتعرض للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فيها، وللأسواق التجارية والنقود المتداولة، ولفئات المجتمع وملابسها، وطعامها وأعيادها، كذلك يستعرض الثقافة والآداب والعلوم، وباختصار إنها دمشق، مرآة بلاد الشام، والبحث في تاريخ دمشق هو صورة معبرة عن الشام كلها .

40) الحقيقة بين النُّبُوءة والسِّياسة . التوراة الأناجيل القرآن الكريم نُوستراداموس ، مُحمَّد نضال الحافظ2008م. ط2

هل كان انهيار بُرجَيْ مركز التِّجارة العالمي نُبُوءة؟ ما مصير مَنْ دعا إلى ضرب مكَّة المُكرَّمة بقُنبلة نوويَّة؟ ما العلاقة بين العراق الآن وبابل زمن نبُوخذ نصَّر؟ ما قصَّة النُّبُوءات في آخر الزَّمان؟ ما هي تلك النُّبُوءات الإنجيليَّة والتَّوراتيَّة والقُرآنيَّة؟ وما علاقتها بالسِّياسة العالميَّة؟ ماذا يفعل اليهُود والمسيحيُّون والمُسلمون أمام نُبُوءاتهم؟ كيف تبدو نهاية اليهُود و(إسرائيل) خلال التَّوراة والتَّلمُود والأناجيل ونُوستراداموس والقُرآن الكريم؟ العراق وبابل واليهُود ونُوستراداموس، هل نسي اليهُود كيف أسرهم نبُوخذ نصَّر وسباهم إلى بابل؟ هل يُحاول اليهُود (أمريكا - بريطانيا) الانتقام من العراق؟ هل من المُمكن أنْ تكون هُناك ضربة نوويَّة للعراق؟ المسيحيَّة الصُّهْيَوْنيَّة - نشأتها ومشاهيرها، برُوتُوكُولات حُكماء صهْيَوْن، السِّياسيُّون الأمريكيُّون ونُبُوءات التَّوراة والأناجيل ونُوستراداموس، معركة هرمجدون والحرب العالميَّة النَّوويَّة الثَّالثة، المُؤامرات اليهُوديَّة الأمريكيَّة، فلسطين واليهُود والتَّوراة والتَّلمُود ونُوستراداموس، هل بدأ يوم القيامة؟! لنتعرَّف الحقيقة المُذهلة خلال كتاب الحقيقة بين النُّبُوءة والسِّياسة.

41) خفايا الاستغلال الجنسي في وسائل الإعلام ، ويلسون براين كي، ترجمة: مُحمَّد الواكد2008م.ط2 .

ما الهدف من الاستغلال الإعلامي الجنسي؟ هذا الكتاب غير العادي يكشف كُلَّ الطُّرُق التي تقوم بها كُلٌّ من المجلَّات والصُّحُف والأقنية التِّلفزيونيَّة والأفلام والمُوسيقى الشَّعبيَّة، والتي تقوم على مبدأ الاغتصاب والاستغلال الفكّري للشَّعب، بعد قراءته لابُدَّ أنَّكَ ستنظرُ، وتُنصتُ، وتُدركُ، ولكنْ بطريقة جديدة تماماً . - لا تدعهم يضعون السِّتار أمام عينَيْكَ وأُذنَيْكَ وفمكَ وأنفكَ وحواسِّكَ كُلِّها، أيُها المُشتري: كُنْ حريصاً! كُنْ حريصاً! أولاً من أنَّ الإعلان مُصممٌ من أجل أنْ يضعكَ في عالم الخيال، تلك هي رسالة الاستغلال الإعلامي الجنسي، ما الرُّمُوز المخفيَّة في وسائل الإعلام الأمريكيَّة؟ ما كيفيَّة قيام تلك الرُّمُوز ببَرْمَجَة وتكييف عقلنا الباطن؟ إنَّه كَشْفٌ مُثير لعواقب الإغواء اللاشُعُوري؛لأنَّ وسائل الإعلام تَعْلَمُ كُلَّ شيء عن مُخيِّلاتكَ، ومخاوفكَ، وعاداتكَ المُتأصِّلة والعميقة، فهي تعلم - إذاً - كيف تستغلُ مشاعركَ وسُلُوكَكَ الشِّرائي - كيفيَّة قيام إعلانات الحلوى بإزالة مخاوفكَ من زيادة الوزن - كَشْفُ أنَّ مجلَّات مثل (بلاي جيرل) و (فيفا) المُخصَّصة للنِّساء، هي - في الواقع - تستهدف الرِّجال - كيفيَّة قيام إعلانات السَّجائر بإزالة مخاوفكَ من الإصابة بالسَّرَطَان - كيفيَّة قيام الأفلام بابتكار طُرُق تعذيب جديدة من أجل إيلامكَ، ومن أجل زيادة أرباحها - كيفيَّة قيام إعلانات الأزياء بالتَّوجُه إلى السُحاقيَّة المُستَتِرَة - كيفيَّة نجاح مُوسيقى الرُوك الشَّعبيَّة السَّاحق في ترويج المُخدِّرات - كيفيَّة قيام صُوَر الأخبار بقَوْلَبَة وصياغة آرائكَ - كيفيَّة تَضمين كلمة من أربعة أحرف وإخفائها في صُوَر طعامكَ وفي صُوَر ملابسكَ من أجل إثارة الرَّغبة الجنسيَّة - كيفيَّة قيام كُلِّ ذلك - وأكثر من ذلك بكثير - بإثارتكَ، واستعبادكَ، ومن دُون أدنى علم حسِّيٍ بذلك! (صدمة مُدهشة!) (سحْرٌ شديدٌ!) (الأمرُ يتطلَّب أقصى درجات الحرْص!).

42) رحلة الرّصافي من المُغالطة إلى الإلحاد - دراسة تحليليَّة نقديَّة لكتابه الشّخصيَّة المحمّديّة د.أحمد موساوي،د.محمد صالح ناصر، د. مُحمّد بن مُوسى بابا عمي، إسماعيل عمر بيضون، طه إبراهيم كوزي،2008م،ط2.

(الشَّخصيَّة المُحَمَّديَّة) كتاب أَلّفَهُ الشّاعر معروف الرّصافي، مَنْ يتأمّله يتيقّن أنّ ما جاء فيه من ادّعاءات وافتراءات على الله تعالى، وعلى القُرآن الكريم، وعلى الرّسول الأمين ، أنّ نَشْرَ الكتاب في هذه المرحلة تحديداً، له أهداف، وأي أهداف!!..يأتي كتابنا هذا رَدّاً عَقْلياً منطقياً فلسفياً علمياً، يكاد يكون خالياً من العواطف والانفعالات ورُدُود الفعل الآنيّة التي تزخر بها الرُدُود على كُتُب ما تُنشَر وقد أقام الرّصافي فكرتَهُ كُلّها على أساس أنّ مُحَمّداً عظيم من عُظماء البَشَر، ولكنّه ليس نبياً، وليس مُوحىً من الله، وأنّ القُرآن من اختراعه، وأنّ الإسلام من بنات أفكاره!! اشترك في تأليف هذا الكتاب ثُلّة من الأساتذة الدكاترة، كُلّ حسب اختصاصه (دكتوراه فلسفة ومنطق، دكتوراه دولة في العقائد ومُقارنة الأديان، وفي اللّغة العَرَبيّة، وفي علم الفَلَك، وفي اللّغة والدّراسات القُرآنيّة).

43) السّيف الأخضر الأصُوليّة الإسلاميّة المُعاصرة ، د. جمال البدري2007م .

ما الأسُس العامّة للجماعات الأصُوليّة الإسلاميّة ؟ مرحلة التّأسيس والظّهُور، التّأثير والازدهار، السّبات والانتظار، الاستراتيجيّات والآليّات الحركيّة للجماعات الأصُوليّة ، الإخوان المُسلمون، الجهاد، آليّات بناء النّفُوذ السّياسي والاجتماعي، الحاضر والمُستقبل، الإخوان المُسلمون وخُطّة التّمكين، القيادات الجديدة للجماعات الأصُوليّة ، التّجربة والخطأ..نموذج تطبيقي.

44) اللغة السيكولوجية في العمارة المدخل في علم النفس المعماري، د. الحارث عبد الحميد حسن2007م.

يهدف علم النفس إلى دراسة الإنسان وسلوكه وطبيعته البشرية، فهو يدخل في حياة الإنسان اليومية وله مجالاته المختلفة وتطبيقاته في الحياة،ما مفهوم علم النفس وما مفهوم العمارة، ما المدارس في علم النفس (Schools in Psychology) وما التطورات الحديثة في علم النفس (Recent Developments in Psychology)،علم النفس المعرفي كيف ندرسه ؟ما بنية الدماغ والجهاز العصبي، وما خلاصة وظائف الدماغ المعرفية؟، وكيف يجري خزن المعلومات في الدماغ،العمليات المعرفية ، الإدراك الحسي (Perception) الإدراك اللوني (Color perception)، النظريات الإدراكية والعوامل التنظيمية للإدراك الإيهامات البصرية (Visual Illusions) العمليات المعرفية، الذاكرة والتذكر، كيف تُحسن ذاكرتك؟، انبثاق الأفكار (التفكير) (Thinking)، إيصال الأفكار (اللغة) (Language)، توظيف الأفكار (حل المشكلات) (Problem Solving)،الوعي وحالاتهُ المُتغيرة،سيكولوجية الشخصية المعمارية، سيكولوجية الإبداع في العمارة التفكير الإبداعي والخيال، الإبداع في العملية التصميمية وتنمية الإبداع والتدريب عليه، ما طرق تنمية الإبداع من خارج حقل العمارة وكيف يتم حل المشكلات إبداعياً (Problem Solving)، ماهي طرق التجسير الخيالي أو مَد جسور منَ الخيال وماطرق تنمية الإبداع من داخل حقل العمارة.

45) فن السيناريو في قَصَص القرآن (حوار فكري وحضاري جديد في النص)، د.جمال شاكر البدري2007م.

يتناول الكتاب (الإطار العام) لكتاب الله تعالى كقرآن ومصحف ومعالمه المتميزة، التي تشكل عموم شخصيته كما تناول (الإطار الخاص) للقصص القُرآني من بين محتوى النّصّ القُرآني العام..مع الإشارة إلى روح المسرح التي اتسمت بها لغة الخطاب القُرآني،ثم تناول نموذج تطبيقي من قَصَص القُرآن، وهي سورة وقصة سيدنا يوسف ﷺ، وفقاً لكتابة السّيناريو المعاصر في السّينما من خلال (44) مشهداً كاملاً للقصة، مع ملاحقة شخصياتها، من الرّجال والنساء برؤيّة جديدة، وكشف للأسرار،من ثم التّعليق والتّحليل الفني والإعجازي والعلمي والنفسي لقصة يوسف ﷺ، ولماذا قال الله تعالى فيها أنها أحسن القَصَص؟. مع مقارنتها بغيرها وخصوصاً مع السّيناريو في هوليوود،كما تم تناول فيزياء الصّوت والرّؤيّة والنور والضّياء، وعلاقة ذلك بالنصّ القُرآني عموماً والنصّ القصَصي خصوصاً مع تعليقات فكريّة مختلفة جريئة وجديدة.. وبعد ذلك تناول الجوانب البصريّة والسّينمائيّة والتّصويريّة والمونتاجيّة، مع نماذج تطبيقيّة لعدسة القُرآن وإيراد الآيات التي تشكل صوراً حقيقيّة التقطتها كاميرا القُرآن!وبعدها تناول الشّخصيّة البطلة في النّصّ القصَصي، من خلال عدّة قَصَص لعدد من الأنبياء مثل: نوح وإبراهيم وموسى وسليمان ومريم ابنة عمران عليهم السّلام..وتحليل مواقفهم بصفتهم أبطالاً في النّصّ والفعل والحركة،ثمّ تناول موضُوع الحوار كلغة وفكر وقضيّة أساسيّة في عموم القُرآن مع التّركيز على الحوار القصَصي

وتحليله، لرسم التّوظيف الحقيقي من ورائه في الحياة والسّياسة..وتناول أيضاً محاولة أبي حامد الغزالي في رسم خريطة طريق وسيناريو فلسفي وصوفي للوصول إلى أسرار القرآن، كجزء من حقيقة الوصول إلى معرفة ذات الله وصفاته وأفعاله، وبالمقابل تقديم نموذج وسيناريو جديد، أكثر واقعيّة،وبعدها تناول أسرار حكايات ألف ليلة وليلة، ومنْ كتبها والغاية من كتابتها؟. وعلاقة اليهود بكلّ ذلك، وهل ألف ليلة وليلة وضعت لتعارض القَصَص القُرآني.. مثل الإسرائيليّات في التّفسير والحديث؟.وفي الختامَ تناول حقيقة الغيب كما جاءت في القُرآن، والصّلة بين العالمين : عالم الغيب وعالم الشّهادة، والرّبط بينهما كجزء من رسم التّصورات الكبيرة في القُرآن (السّيناريو العظيم) وتجربة الإسراء والمعراج.. وعلاقتها بالكشوف الحديثة، وأشياء أخرى.. وفيها تمّ تناول عظمة الفن القُرآني في عدد من المجالات وحقيقة صلاحيته لكلّ زمان ومكان، وخشيَّة القوى الدّوليّة المعاصرة فعليّاً ومحاربتها لكتاب الله، من خلال سعيها لحذف الآيات والسّور التي تعتبرها مضادة لمصالحها وسياساتها .

46) أنماط العلاقات الاجتماعيّة في النّصّ القُرآني دراسة سُوسيُولُوجيّة لعمليات الاتّصال في القصّة القُرآنيّة(قصّة مُوسى تطبيقاً)، د.عبد العزيز خواجة2007م.

المُصطلح وحُدُود العلم، الوضعيّة وارتباطيّة النّصّ بالمُجتمع، الماركسيّة والانعكاسيّة، مدرسة فرانكفورت، الأمبريقيّة ودراسة الجُمهُور، من النّصّ الأدبي إلى النّصّ الدّيني، العلاقات الاجتماعيّة: التّحديد والقياس، والمُستويات، العمليّة الاتّصالية: المفهوم والأبعاد، الأنواع والأساليب، عناصر العمليّة الاتّصالية ونماذجها، المُرسل، الرّسالة، الوسيلة، المُستقبل، الأُطُر العامّة للاتّصال، البُعْد السّسيو. تاريخي للنّصّ القُرآني وقَصّصه، ما مفهوم النّصّ القُرآني؟ ما تاريخيّة النّصّ التّأسيسي؟ تقسيم النّصّ القُرآني، من القصّة إلى القصّة القُرآنيّة، تعدُد الأغراض، البُعْد الاجتماعي، عوائق التّحديد، مادّة القصّة في النّصّ القُرآني، نمط العلاقات الأسريّة، مادّة مُوسى في النّصّ القُرآني، الأسرة البيولوجيّة، الأُسرة البديلة، أُسرة الإنجاب، نمط العلاقات السّلطويّة وعلاقات السّائد، مَنْ هُو فرعون؟ مَنْ هي حاشيته؟ ما أجهزته القمعيّة؟ ما وسائلها القمعيّة؟ احتكاكيّة مُوسى بالسّلطة، نمط علاقات التّبعيّة وعلاقات التّعلُّم، وغيرها من الموضوعات التي تُطرح بشكل جديد وعلمي .

47) تدويل الإعلام العَرَبي الوعاء ووعي الهُويّة، د. جمال الزّرن2007م.

من إعلام الدّولة إلى تدويل الإعلام ، الحرب على العراق وسُؤال الهُويّة الإعلاميّة، ما هي الحرب الإعلاميّة؟ من التّدفُق الإعلامي إلى الاختراق الإعلامي، الإعلام المُقارن، دُرُوس الإعلام أم دُرُوس الحرب؟ الإصلاح ومُجتمع المعرفة..ما هي إيديولوجيا مُجتمع المعرفة؟ ما هي إيديولوجيا الإصلاح؟ ما هي إشكاليّة التّلقّي؟ الشّرق الأوسط الكبير وتدويل الإعلام العَرَبي..قانون إصلاح أجهزة الاستخبارات.. من الإعلام إلى الاتّصال..خيارات لإعادة هيكلة الإعلام والاتصال، إشكاليّة الهيكلة والحرب على العراق، تحرير الإعلام والاتصال، التّشاؤل الإعلامي، التّلفزيون وتلفزيون الواقع، تعدُد المناهج، أين يبدأ الواقع؟ وأين ينتهي الخيال؟ التّلفزيون وثقافة الفضاء المُختلط، خطاب المُؤامرة وتلفزيون الواقع، قمع الدّولة، قمع الصُورة، التّلفزيون فضاء اتّصالي وجُزء من الفضاء العامّ،ما هي ثُنائيّة الإعلام والدّيمقراطيّة؟ في تدويل الإعلام العَرَبي والحرب على الإرهاب..

48) اليد في ضوء القرآن والسنة والضمير الإنساني عجائب وأسرار، د. محمد عبد الباقي فهمــــي2007م.

يقول المؤلف لقد أدركت منذ زمن طويل أن القرآن الكريم قد حفل بكمٍ كبير من المعاني التي تبين صوراً مختلفة ومتباينة عن اليد ووظائفها ودلالاتها ومعانيها، فحزنت لغفلتنا عن كل هذه المعاني الخالدة في هذا الكتاب المعجزة، بعدها كتبت هذه الرسالة عن اليد من الناحية التشريحية ومعاني كلمة اليد ومدلولاتها في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف واللغة، مع شرح مبسط عن أكثر الأمراض شيوعاً التي تصيب اليد لعلها تكون ذات نفع .

49) فلسفة العبودية عند العارفين ، د. منى برهان غزال(الرفاعي)2007م.

هذا الكتاب يدحض كل دعوى ضد التصوف وأهله بمحاولة صادقة ، وأمانة بالغة لنقل آراء وحكم العلماء والعارفين من المتصوفة الكرام لدحض كل من دلس وخرب سمعتهم وقيمة عبادتهم وطهارة مسعاهم ونور طريقهم، لأن أصول التصوف كما حددها الإمام النووي إمام أهل الحديث خمسة : 1 ـ تقوى الله في السر والعلانية .2 ـ إتباع السنة في الأقوال والأفعال .3 ـ الإعراض عن الخلق في إقبال والإدبار.4 ـ الرضا عن الله في القليل والكثير .5 ـ الرجوع إلى الله في السراء والضراء .

50) سلطة الاستبداد والمجتمع المقهور، صاحب الربيعي2007م.

يهدف الكتاب إلى تسليط الضوء على المشكلات والأزمات التي تنخر في بنية المجتمعات المقهورة، نتيجة مواجهتها للعنف والاستبداد أمداً طويلاً. والدور الإيجابي وما يمكن أن يضطلع به علماء الاجتماع لمعالجة الأنماط السلوكية

غير السوية في المجتمعات المقهورة، بعيداً عن الحلول الجاهزة وما ينتهجه السياسي من أساليب غير علمية، تعقد سُبل المعالجات العلمية السليمة لإنقاذ المجتمعات المقهورة من أمراضها النفسية والاجتماعية التي تسببت بها السياسات غير المسؤولة للسلطات السياسية المستبدة.

51) رؤية الفلاسفة في الدولة والمجتمع، صاحب الربيعي2007م.

يتمحور الصراع القائم بين الفلاسفة والسلاطين عبر التاريخ حول ثنائية الخير والشر، حيث يجد الفلاسفة من مهامهم نشر مبادئ الخير الداعية إلى العدالة والمساواة بين البشر.ويبحث الكتاب في طياته الصراع بين الفلاسفة والسلاطين - صفات الحكم والحكومة عند الفلاسفة - رؤية الفلاسفة لنظام الحكم - المعرفة والإبداع - المنطق والحكمة - العلم والجهل - مراتب النفس الإنسانية - ثنائية الخير والشر - سلوك الفلاسفة ونوازعهم.

52) دور الفكر في السياسة والمجتمع، صاحب الربيعي2007م.

يتناول الكتاب الأبعاد الفكرية للنظريات السياسية والاجتماعية ، الفكر والتوجهات المعاصرة ،الفكر والسلطات السياسية والحزبية،المهام والأداء في العمل السياسي، دوافع العمل الحزبي، الآليات التنظيمية في الكيانات الحزبية، الاستبداد والتحرر في المجتمع، إرساء مبادئ النظام الديمقراطي،طغيان وتحديات المجتمع بشيء من التفصيل المصحوب باستشهادات العديد من المفكرين والفلاسفة والعلماء والسياسيين والمثقفين، وتبيان وجهات نظرهم في دور الفكر في السياسة والمجتمع في عالمنا المعاصر الذي يشهد تطورات متسارعة في العلوم التكنولوجية والمناهج الاقتصادية والسياسية وما تخلفه من سياسات ايجابية وسلبية على المجتمعات البشرية.

53) الفقه السّياسي عند شيخ الإسلام ابن تيمية ، د. خالد سُليمان الفهداوي2007م .

ما هي السّياسة الشّرعيّة عند ابن تيمية؟ وما أهميّة الدّولة في مشروعه الإصلاحي؟ وما المقصود بالفراغ الدُستوري؟ولماذا نشأ؟ وما أهميّة شاغل الفراغ الدّستُوري عند ابن تيمية؟ ما منهجيّة ابن تيمية في ملء الفراغ الدُستوري؟ ابن تيمية ومنهج المرحلة، هل استطاع ابن تيمية ملء الفراغ الدّستوري(تقييم وتقويم).

54) منهج التّعايش بين المُسلمين واستراتيجيّة التّقريب بين المذاهب الإسلاميّة ، د.خالد سُليمان الفهداوي2007م

الطّائفيّة..التّاريخ والواقع والمُخطّط، التّوجُهات الغربيّة تجاه أُمّتنا العَرَبيّة الإسلاميّة، في فقه عام الجماعة، الاختلاف المشروع والتّفرُق المذموم، لماذا ندعو إلى منهج التّعايش؟ نحو المُستقبل.

55) العلامة مُحمّد رشيد رضا عصره وتحدّياته ومنهجه الإصلاحي ، د.خالد سُليمان الفهداوي 2007م.

حياته، خُصُوصيّات المرحلة التّاريخيّة، الوحدة الإسلاميّة الغائبة والصّراع الدّاخلي، التّخلُف العلمي للأُمّة وعدم وُجُود برنامج واضح، إلغاء دور المرأة في البناء الاجتماعي، ما هي التّحدّيات التي واجهت الأُمّة في زمنه؟ التّكوين الفكري ومنهجه الإصلاحي.

56) التّشيُع والعولمة رُؤية في الماضي والمُستقبل، د. جمال البدري2007م .

ما هُو مفهوم التّشيُع و الشّيعة وتطوُرهما؟ ما أهمّ الأفكار والفرَق الشّيعيّة؟ الأئمّة والمذهب الشّيعي الاثنَيْ عشري، الغيبة والإمام الغائب، إرساء عقائد الشّيعة، تعداد الأئمّة بالتّفصيل، الأُسُس والأُصُول الشّيعيّة، العترة والعصمة والولاية والإمامة والعدل والتّقية ونفي البدعة والغيبة والشّفاعة والاجتهاد والدّعاء والتّقليد . ما هُو المُستقبل؟

57) اليهُود وألف ليلة وليلة ، د. جمال البدري2007م .

ما هي أهميّة ألف ليلة وليلة؟ اليهُود في العراق القديم، بابليّة التّوراة والتّلمود، الثّالوث الشّرقي المُشترك، النّتاج الفكري العبّاسي، يهود بغداد في العصر العباسي، عراقيّة ألف ليلة وليلة، ألف ليلة وليلة المصريّة، جَغرافيّة ألف ليلة وليلة، الإسرائيليّات في ألف ليلة وليلة، الإعلام والسّياسة، المال والتّجارة، الجنس والمرأة، السّحر والأُسطورة، الكلام غير المُباح، العهد الثّالث، ألف ليلة وليلة والماسونيّة، اللّيالي في أمريكا، النّبُوءة!!

58) خفايا الصّراع بين العَرَب واليهُودية الصّهيونية الإسرائيلية ، مُوفّق صادق العطّار2007م .

يبدأ الكتاب بتعريف كتاب العهد القديم، ثُمّ التّوراة، وأسفار مُوسى الخمسة، ثُمّ يُلقي أضواء على النّصّ التّوراتي (من ناحية المُعتقد والإله)، ثُمّ يتحدّث عن تشويه العقيدة (الخلفيّة الدّينيّة، النّصّ التّوراتي، الإطار العامّ للنّصّ المُقدّس، الإصرار على تحريف العقيدة، اليهُود والإسلام)، ثُمّ يُفصّل في الصّهيونيّة والصّراع العَرَبي الإسرائيلي (حقيقة النّصر، استغلال الحَدَث، أبعاد الموقف الإسرائيلي، الادّعاءات الباطلة)، ثُمّ القُرآن الكريم والتّوراة، الغرب والصّهيونيّة، اللُغة الإلهيّة، المسيح اليهُودي الصّهيوني، الولايات المُتّحدة واليهُود اللاّساميّة كسلاح يهُودي للتّشهير، مُعاداة السّاميّة، طُمُوح

نحو المزيد من السّيطرة، الجُمُوح إلى الهيمنة على صناعة السّينما، الولايات المُتّحدة والعلاقة الخاصّة مع (إسرائيل)، طبيعة التّحالف الأميركي مع الصّهيونيّة، حُدُود الصراع (البُعْد الدّيني للصّراع العَرَبي الإسرائيلي، العَرَب والصّهيونيّة، أضواء على طبيعة الصّراع) أسماء رُؤساء الولايات المُتّحدة، عدد اليهُود في دُول الاتّحاد الأورُوبي، وعددهم خارج دُول الاتّحاد الأورُوبي، وعددهم في دُول أورُوبا الشّرقيّة، التّوزيع الجُغرافي لليهُود في العالم، عدد أتباع أبرز الدّيانات في العالم، الأحزاب الإسرائيليّة المُتمثّلة في الكنيست واتّجاهاتها.

59) الماسُونيّة والمُنظّمات السّرِّيّة ماذا فَعَلَتْ؟ ومَنْ خَدَمَتْ؟ عبد المجيد همّو 2007م . ط2 2009م

الكَهَنُوت الأعلى في طيبة، القُوّة الخفيّة اليهُوديّة، جماعة الآلهة ميترا وعبادتها، الغنُوصيّة العرفانيّة، الحشّاشُون، النُّورانيُون، البابيّة، البهائيّة، فُرسان الهيكل، الغاردُونا جماعة الصّليب الورديّ، الفحّامون، أحباب الملاك الحارس، الخصّاؤن، الماسُونيّة:أصلها، نُشُوءها، تعريفها، من أين اسمها؟، محافلها، وأسماء ماسُونيّة عالميّة وعَرَبيّة، اليمين التي يُقسمها المُنتسب للماسُونيّة، ما الامتحانات؟ وما الاختبارات التي يخضع لها؟ الماسُونيّة والسّياسة، التّجنيد لصالح اليهُود، علاقة الماسُونيّة بالقَبّالة وبالتّلمُود، مُحاربة الأديان، التّوراة ولا شيء غيرها، مُحاربة الأُمم، كيف سقطت الإمبراطُوريّة الرُوسيّة، كيف تفجّرت الثّورة الفرنسيّة، إعادة اليهُود إلى فلسطين، بناء الهيكل، الماسُونيّة والتّنظيم، الماسُونيّة الرّمزيّة، كيف أُقيم أوّل محفل، محافل أورُوبية، محافل أمريكا، محافل البلاد العَرَبيّة، مشاهير الماسونيّين من الشّرق والغرب اللُوثريّة، البيُوريتانيّة، أحبّاء صهيُوْن، شُهُود يَهْوَه، الرُوتاريّة، بَنَاي بْريث، الدُونمة، الاتّحاد والتّرقّي، العلْمانيّة، الاشتراكيّة العلميّة، الاتّحاد اليهُوديّ العامّ، الرّيفُورم بلُوتُو، أنوشيت، ثرُويد رست.كتاب يجمع مُعظم المُنظّمات السّرِّيّة العالميّة، ويشرح كيف يتمّ الانتساب لهذه الجمعيّات. كتاب يسدُّ فجوة في المكتبة العَرَبيّة، ويُعرّي ويفضح اليهُود الذين كانوا السّبب الأهمّ وراء تأسيس مثل هذه المُنظّمات السّرّيّة.

60) المرأة اليهُوديّة بين فضائح التّوراة وقبضة الحاخامات ، ديب علي حسن2007م.

المرأة في التّوراة (إبراهيم وسارة وهاجر، يعقوب وراحيل والزّواج من أُختَيْن، يهوذا يزني بكنّته ثامر، أمنون يغتصب أخته ثامار) سالومي ورأس يُوحنّا المعمدان، المرأة اليهُوديّة في الحياة الدّينيّة المُعاصرة.المرأة في الجيش الإسرائيلي، حاخامات يهُود يُديرون شبكات الدّعارة و المُخدّرات في العالم.كيف حاولت (إسرائيل) تصدير عبادة الشّيطان إلى مصر؟ تفاصيل العمليّة القذرة لاتّهام سفير مصر في (إسرائيل) بمُحاولة اغتصاب راقصة إسرائيليّة.الكتاب دراسة موثُوقة تُبَيّن وتفضح وتُعرّي كيف لعب حاخامات يهُود بالنّساء اليهُوديّات وعن طيب خاطرهنّ مُنذُ وُجد اليهُود إلى الآن.

61) تاريخ دمشق وعُلماؤها خلال الحُكْم المصري ، خالد بني هاني ،المراجعة د.منذر الحايك 2007م.

يبدأ الكتاب بشرح المناصب الدينية والدنيوية في دمشق، ويعرفنا بشكل مشوق على دور كل منها في الحياة العامة، مع تركيزه على العلماء والأعيان الذين كانوا يشكلون طبقة الخواص، ومن خلال هذه الطبقة ودورها الاجتماعي والسياسي بنى المؤلف دراسته لواقع دمشق وقام المؤلف، من خلال الوثائق المصرية والسورية، بتقديم جرداً شامل للعلماء ورجال الدين والوجهاء وكبار الموظفين الحكوميين في دمشق ، ومن أسماء أسر هؤلاء تظهر واضحة الأسس الدينية التي قامت عليها التركيبة الاجتماعية لبعض الأسر الدمشقية، التي أخذ قسم كبير منها بتكوين مركزه الاجتماعي، منذ تلك الفترة أو قبلها ، انطلاقاً من منصب ديني أو حكومي.ومما يلفت النظر في هذا الكتاب ما أورده المؤلف من معلومات حول حجم التواجد الأوروبي في دمشق، واستخدام القناصل وموظفيهم لرجال الأحياء، كما لايسع المرء إلا أن يتوقف طويلاً أمام وثيقة أوردها المؤلف تتضمن أمراً من إبراهيم باشا إلى متسلم صفد بالسماح لمائتين من اليهود الروس بالإقامة فيها . وربما نستطيع القول بأن هذا الكتاب قد انفرد بتفصيل فيه الكثير من الشفافية والحيادية للعوامل التي أدت إلى نهاية الحكم المصري لبلاد الشام، دون أن يهمل آثاره التي تركها هناك، معدداً كثير من آراء الشوام في ذلك الحكم سلبية كانت أم إيجابية.

62) أمْرَكَة العولمة في الشّرق الأوسط وآسيا الوُسطى مُثلّث الخيرات ، مُحمّد سرحان2007م .

ما هي خُطّة الدّفاع الاستراتيجي الأمريكيّة لإعادة إحياء الحرب الباردة؟ قراءة في الإخفاقات المُتكرّرة لسياسة الولايات المُتّحدة..وهل ستنتهج الإدارة الأمريكيّة سياسة مُتوازنة؟ وما هي سياسة واشنطن ورياح التّغيير في المنطقة العَرَبيّة؟ وهل الحرب مرآة لعصر التّكنولوجيا أم لسباق الهيمنة؟ وكيف اجتاحت العولمة الأمريكيّة أسوار الصّين؟ ولماذا تتخوّف أمريكا من الصّين وكُوريا الشّماليّة؟ العَرَب والمصلحة القوميّة في آسيا الوُسطَى.. ما هي الخريطة

الجديدة للصّراع الحلف الأذري الإسرائيلي؟ أوراسيا والمُخطَّط الجيواستراتيجي..آسيا الوُسطَى والشّرق الأوسط بين مخالب الدّول الكُبْرَى ..الأمم المُتَّحدة والحُكُومة الخفيَّة العالميَة..العولمة الأمريكيَة وأولويَّات العلاقات العَرَبيَّة التّركيَة.. التّغلغل الإسرائيلي في آسيا الوُسطَى ورُوسيا ودُول البلطيق..

63) ناستراداموس الألفيَّة الجديدة ، جُون هُوغ ، ترجمة ، مُحمَّد الواكد2007م ط2 ـ 2008م.

مَنْ هُو ناستراداموس؟ كيف جمع بين الطِّبِّ والتّنبُّؤ؟ نماذج من نُبُوءاته..كيف تنبَّأ بـ: مقتل هنري الثّاني؟ بحروب الدّين في أوروبا؟ باغتيال هنري الثّالث؟ بحرب ضدّ إمبراطُوريّتَيْن عَرَبيَّتَيْن؟ بولادة الإمبراطُوريّات الجُمهُوريّة؟ بنابليون بونابرت؟ بالثّورة الفرنسيَّة؟ بأعمال وحشيّة إرهابيّة؟ بمنطاد مُونت غاليفير؟ بسُقُوط رُوبيسبيري؟ بأنَّ نابليون هُو عدوُّ المسيح الأوَّل؟ بالحرب الفرنسيَّة الرُوسيَّة؟ بنابليون الثّالث والرّابع الثّاني؟ بانحطاط ما بعد الإمبراطُوريّة؟ بهتلر، وبمُوسُوليني، وبالشّخص الأحمر العظيم، وبراسبُوتين، وبلُغز قَتْل رُومانُوف، وبتنازل إدوارد الثّامن عن العرش، وبهيفتر عدوّ المسيح الثّاني، وبسُقُوط فرنسا، وبمعركة بريطانيا، وبباربارُوسا، وبهرمجدون، وبموت مُوسُوليني، وبموت عدوّ المسيح الثّاني، وبإلقاء القنبلة الذّرّيَّة على هيروشيما، وبإسرائيل وفلسطين، وبالثّورة الهنغاريَّة، وبتشارل دي غُول، وبالثّورات الثّقافيّة الصّينيَة، وبمقتل الأخوة كينيدي الثّلاثة، وبنُزُول أبولو على القمر، وبكارثة تشيرنُوبل، وبنهاية الشُّيُوعيَّة، وبكارثة تشالينجير، وبإطلاق النّار على رُوي ريب (رُونالد ريغن)، وبنكسة سُوق الأسهم الماليَّة، وبمعاهدات تخفيض الأسلحة الاستراتيجيَّة، وبمُذنّب هالي، وبالطّاعون، وبالبابا جُون الثّالث والعشرين، وبالبابا بُول السّادس، وبالاغتيال البابوي، وبالفضائح الماليَّة في الفاتيكان، وبانتشار الإيدز، وبأنَّ ثُلثي العالم سينتهيان ويضمحلان، وبمابوس عدوّ المسيح الأخير(صدّام حُسين، وجورج دبليو بوش، وأسامة بن لادن)، وبالعقيد مُعمَّر القذّافي، وبياسر عرفات، وبتفجيرات 11أيلول (سبتمبر)2001 (الهُجُوم على الجبال المُجوَّفة)، وبعمليَّة عاصفة الصّحراء، وبحرب أمريكا المُفجعة ضدَّ الإرهاب، وبسلام في الأرض لوقت طويل، وبالحرب المنغوليَّة العظيمة، وبالحرب العرْقيَّة العالميَّة العظيمة، وبإيحاء تأثير البيئة على المناخ، وبالجفاف العظيم النّاجم عن ارتفاع درجة حرارة الأرض، وبأنَّ ملك الإرهاب الحقيقي هُو ارتفاع درجة حرارة الأرض، وبالكُسُوف العظيم في 11أغسطس/آب 1999، وبرجال الرُؤيا الجُدُد؛ مثل سُون ما يُونج، والحلاج، وبدي لاما، وبماهيش يُوغي، وبمهير بابا، وبالسّوامي باراماهانسا يُوغانادا، وبما بعد الألفَيْن، وبألفيَّة من السّلام، وبكيف سينتهي العالم عام 3797بعد الميلاد!!

64) (إسرائيل) الرّؤساء ،رُؤساء الكنيست ،رُؤساء الحُكُومات مُنْذُ الإنشاء حتَّى 2006 م ،د. أسامة الأشقر ـ حسن عادل الرّفاعي2007م.

الصّهيونيَّة وقادة المشروع الصّهيوني، اتّجاهات وتيَّارات الفكر الصّهيوني، الموجات الاستيطانيَّة، التّحالف الاستراتيجي بين الصّهاينة والاستعمار، وعد بلفور، نصّ إعلان قيام إسرائيل، أبرز زُعماء الحركة الصّهيونيَّة، النّظام السّياسي الإسرائيلي، رُؤساء الكنيست الإسرائيلي، رُؤساء إسرائيل، رُؤساء الحُكُومات الإسرائيليَّة. مع لمحة كافية لكُلِّ رئيس من هؤلاء، مُنْذُ قيام إسرائيل إلى بداية 2006.

65) العجيب والغريب في كُتُب تفسير القُرآن تفسير ابن كثير أنمُوذجاً، وحيد السّعفي2007م.

أنّه ـ بكُلّ تأكيد ـ ليس كتاباً في التّفسير يُضاف إلى التّفاسير التي يضعها عُلماء الدّين. هُو كتاب يستعصي على التّصنيف بحسب المعايير المَدْرسيَّة، ولعلّنا لا نتعسَّف عليه تعسُّفاً كبيراً إنْ اعتبرنا أنّه أقرب ما يكون إلى الإناسة التّاريخيَّة. وهُو ـ إلى جانب ذلك ـ مكتوب بلُغة أنيقة راقية مُمتعة تشدُّ القارئ شداً، وتُحلّق به ـ برفق وأناة ـ في دُنيا الظّنّ والأسطُورة مثلما تجول به في قضايا الفكْر والمُجتمع ومجالات العقائد والمشاعر، وتنتقل به ـ من حيثُ لا يتوقَّع ـ في الزّمان والمكان، من فترة البدايات إلى عصر المُفسِّرين، وبين بيئات العَرَب، واليهُود، واليُونان، والهُنُود، وغيرهم، ثُمَّ هُو كتابٌ طريفٌ من حيثُ رَبْطُه بين عناصر مُستقلّ في الظاهر بعضها عن بعض؛ حيثُ يطلّع عليها قارئ التّفسير الغُرّ، والذي ليست له هواجس وحيد السّعفي المعرفيَّة وسَعَة اطّلاعه على تُراث الشُّعُوب، وعلى اتّجاهات البحث المُعاصر ومنهاجه.

66) أصُول البرمجة الزّمنيَّة في الفكر الإسلامي دراسة مُقارنة في الفكر الغربي، د. مُحمَّد بن مُوسى بابا عمي 2007م.

مُحاولة أصيلة لإبراز نُقطة الالتقاء بين عناصر الحضارة الثّلاثة(الدّين أو القيَم، والزّمن، والإنسان). بدأ المُؤلّف بالمُصطلح والعُلوم الزّمنيَّة والدّراسات الإسلاميَّة، واهتمَّ بالأُصُول العقيديَّة والتّقنيَّة والغايات والأهداف، ثُمَّ اقترح أُصُولاً

تقنيَّة من خلال فقه الأولويَّات والعقيدة وأُصُول الفقه، ثُمَّ اهتمَّ بالبرنامج اليومي من خلال القُرآن والسُّنَّة النَّبويَّة، وحلَّل إشكاليَّة المُصطلح العَرَبي في الفكر الإسلامي وفي الدّراسات الإسلاميَّة الزّمنيَّة خُصُوصاً، ثُمَّ أحصى جُملة العُلُوم التي لها علاقة عُضويَّة بالبرمجة الزّمنيَّة، ثُمّ حلَّل الدّراسات الإسلاميَّة في الزّمن والوقت و.. و..البحث - في مُجمله - لا يخرج عن كونه عملاً تأصيلياً أوَّليّاً، سعى جهده إلى التّدليل على أنَّ للبرمجة الزّمنيَّة أُصُولاً وجُذُوراً دينيَّة، وثقافيَّة، وحضاريَّة، وليست مُجرَّد عادات شكليَّة، أو تصرُّفات ظاهريَّة، وهذه بعينها هي الأطروحة التي يهدف الباحث إلى إظهارها، والدّفاع عنها.

67) المرأة عبر التَّاريخ البشري الحضارات القديمة العبرانيُون، التّوراة، الفراعنة، الشّرق الأقصى، البُوذيُون، الصّينيُون، اليُونانيُون، رُوما القديمة، المسيحيُون الجاهليُون، الإسلام . د. عبد المُنعم جبري 2007م ط2 -2009م.

لعلَّ هذا الكتاب هُو الأشمل والأدقّ في بحث مُهمّ كبحث المرأة ... استعرض فيه مُؤلِّفه تطوُّر حُقُوق المرأة عبر التَّاريخ البشري، بدءاً من الحضارات القديمة، مُرُوراً بالعُصُور الوُسطى في أوروبا والجاهليَّة والإسلام، ثُمَّ تحدَّث عن أنَّ المرأة، هل هي الَّتي تُحدِّد مصير العالم؟ ومَنْ هي المرأة في أنوثتها الأُولى والمُراهقة، وسنّ النُّمُوّ العقلي والجسدي؟ ثُمَّ عرَّج إلى المرأة في حضارات الشَّرق الأوسط (بابل، التَّوراة، الفراعنة، الكَهَنُوت) ثُمَّ المرأة في حضارات الشَّرق الأقصى (اليابان، الصِّين)، (اليُونان، رُوما القديمة..) المسيحيَّة والمرأة، عداء الكَهَنَة للمرأة، تحرير المرأة في نظام العائلة البَلْشفي الشُّيُوعي الرُّوسي، المرأة الفارسيَّة، المرأة في عصر النَّهضة، الطَّبيعة والتَّاريخ في حقّ المرأة، واقع المرأة عبر العُصُور، المرأة العربيَّة، (البداوة والإسلام وعصر النَّهضة)... البغاء ودوافعه، اللُّواط، السُّحاق، المرأة المُسلمة عبر التَّاريخ، المُساواة بين المرأة والرَّجل (قانونياً)... وغيرها من الموضوعات المُهمَّة جداً جداً.

68) التَّوراة اليهُوديَّة مكشوفةً على حقيقتها رُؤية جديدة لإسرائيل القديمة وأُصُول نُصُوصها المُقدَّسة على ضوء اكتشاف علم الآثار، أ. د إسرائيل فنْكلْشْتَايْن، فيل أشر سيلبرمان ، ترجمة : سعد رُستُم 2007م.

الكتاب إقرار على لسان مُحقِّقَيْن يهُوديَّيْن؛ إسرائيلي وأمريكي، صاحبَيْ خبرة طويلة في التّنقيبات الآثاريَّة، وعلم الآثار، بأنَّ التّوراة الحاليَّة ليست كُلُّها كلمة الله، فجاء كتابهما هذا مُثيراً جداً، واستفزازياً جداً لليهُود؛ حيثُ أثبتا أنَّ التّوراة الحاليَّة قد كَتَبَهَا كَهَنَةُ يهُود في عهد الملك المُستقيم (يوشيا) ملك يهُوذا في القرن السابع ق.م، فيبدأ كُلُّ فصل من فُصُول الكتاب بعرض الرّواية التّوراتيَّة، ثُمَّ يُعقِّب بذكْر ما تقترحه المُكتشفات الآثاريَّة، فكانت النَّتائج التي وصل إليها المُؤلِّفان العلمانيَّان طعنة نجلاء في صميم المُعتقدات اليهُوديَّة التّقليديَّة، وتحطيماً للرُّمُوز الدّينيَّة التّقليديَّة لليهُود. ولعلَّ أهمَّ نُقاط الكتاب:1ـ لا تُؤيِّد الأدلَّة الآثاريَّة رواية الخُرُوج الجماعي من مصر بالشّكل والأعداد والطَّريقة التي تذكرها التَّوراة العبريَّة.2ـ لم يقم يشوع بن نُون بحملة غزوات مُوحَّدة لفتح أرض كنعان.3ـ داود سُليمان وُجِدا تاريخيًّا، لكنْ؛ كانا أقرب إلى رئيسَيْ عشيرة منهما إلى مَلِكَيْن، كما أنَّ سُليمان لم يبن أيَّ هيكل (معبد) هائل.4ـ لم يكن هُناك دينٌ يهُودي مُوحَّد في أغلب تاريخ يهُوذا (إسرائيل القديمة).5ـ ليس هُناك دليل علمي على الوُجُود الحقيقي لشخصيَّات مثل إبراهيم أو إسحق أو يعقوب. إنَّ قُوَّة وإفادة هذا الكتاب هُو بُطلان الدّعاوى الصّهيونيَّة في أرض فلسطين استناداً لتواجدهم القديم فيها، أو أنَّها أرض الميعاد، على لسان اثنَيْن من كبار عُلمائهم أنفسهم، اللّذَيْن أكَّدا أنَّ فلسطين كانت - وظلَّت دائماً - مسكونة من عدَّة شُعُوب تتالوا عليها كاليبوسيّيْن والكنعانيِّيْن، والفلسطينيِّيْن، والعماليق، والعَرَب، وأنَّ الإسرائيليِّيْن لم يكونوا إلاَّ مجموعة هامشيَّة فوضويَّة نَمَتْ وسيطرت لفترة قصيرة على منطقة محدودة من المُرتفعات والتّلال المركزيَّة في فلسطين، في حين كانت بقيَّة فلسطين مسكونة من الكنعانيِّيْن والفلسطينيِّيْن وغيرهم.

69) كيف صَنَعَ اليهُود الهُولُوكُوست؟ نُورمان فنكلشتاين ، ترجمة : د. ماري شهرستان 2007م.

قال الحاخام آرنولد جاكوب فُولف مُدير جامعة دي يال«يبدو لي أنَّهم يبيعون الهُولُوكُوست عوضاً عن أنْ يُعلِّموه». إنَّ هذا الكتاب هُو في - آن واحد - تشريح واتِّهام لصناعة الهُولُوكُوست. إنَّه يُؤكِّد أنَّ الهُولُوكُوست هُو تقدمة إيديُولُوجيَّة للهُولُوكُوست النَّازيّ. إنَّ إحدى أكبر القُوَّات العسكريَّة وأعظمها في العالم؛ وحيثُ إنَّ فيها انتقاصات حُقُوق الإنسان هائلة قدَّمت نفسها كبلد ضحيَّة. وقد جنت أرباحاً وفوائد هائلة عن هذا الوضع - الضّحيَّة الذي لا مُبرِّر له.وخُصُوصاً الحصانة في مواجهة النَّقْد حتَّى الأكثر ثُبُوتاً وسناداً. يقول فنلكشتاين: كان أهلي يندهشون - غالباً - عندما يجدون أنَّني مُستنكر - إلى حدٍّ كبير - تزوير واستغلال الإبادة النَّازيَّة - الجواب الوحيد والأبسط هُو التُّهَم التي يستعملونها لتبرير السِّياسة الإجراميَّة لدولة (إسرائيل) ودَعْم الولايات المُتَّحدة لهذه السِّياسة. هُناك - أيضاً - دافع شخصيّ؛ إنَّه الحملة الحاليَّة لصناعة الهُولُوكُوست الهادفة إلى ابتزاز المال من أُورُوبة على حساب

الضّحايا المُحتاجين للهُولُوكُوست، وضعت استشهادهم في مُستوى أخلاقي لكازينو مُوناكو. نُورمان ج.فنكلشتاين يهُوديّ يفضح كيف صنَعَ اليهُود الهُولُوكُوست، وكيف يستثمرونه، وكيف يخدعون به الدُنيا وأُوروبة وأمريكا.

70) لُصُوص في مناصب مرموقة لقد سَرَقُوا بلدَنَا وعلينا أنْ نستعيدَهُ، هاي تاوير، ترجمة: مُحمَّد الواكد 2007م.

يتحدَّث الصُحُفي الأمريكي الشّهير في كتابه هذا، الذي أحْدَثَ ضجَّة كبيرة في الولايات المُتَّحدة عن أُمّة الكليبتُوقراطيَّة (كُتلة من الشّعب مُدارة من قبَل لُصوص).. ويُدلِّل على أنّ حُكُومة أمريكا هي حُكُومة تتَّسم بعمليَّة نَقْل وتحويل الأموال والسُلطة من الأغلبيَّة إلى الأقليَّة، وأنّ نُخبة من المُشرِعين المُرْتَشين تغتصب الحُرِّيَّة والعدالة والاستقلال، وحُقُوق أُخرى من الشّعب، ويدعو - بكُلّ قُوَّة - لإصلاح أمريكا، ويتحدَّث عن شركات بُوش في نَزْع السّلاح، ويُدلِّل أنّ الحادي عشر من أيلول وصدَّام حُسَيْن كانا قد أضْفَيَا تغطيةً مُسهبة وتبريراً للتَّكتُل العديم الشّفقة لرجال بُوش في سُلطة الحُكُومة، ويُثبت أنْ بُوش - رجل النّفط - أعطي صفقة حميدة في هاركين إنيرجي، وأنّ الذين أعطوه شراكة جوهريَّة في تكساس رانجيرز لم يُحضروه إلى المجلس لقُدراته العقليَّة أو لفطنته القياديَّة، بل لأنَّهم اشتروا رئيساً صُوريَّاً ذا اسم مقبول على مُستوى البُنُوك.. ما هي حقيقة الضرائب في أمريكا؟ كيف يتمُ التّلاعب بالقوانين في أمريكا؟ ما هي حقيقة إمبراطُوريَّة المعايير المُزدَوَجَة للملك جُورج دبليُو بُوش؟! ما هي تعاليم بُوش؟ لقد أكلتْ إدارة بُوش كُلّ شيء.. ما هي الويليقراطيَّة (سياسة التّذبذب)؟ أمريكا المُحتمَلَة.. حُرُوب النّفط.. أمريكا الجميلة.. كيف نهزم الشّيطان؟

71) المسيح عند اليهُود والنّصارى والمُسلمين وحقيقة الثّالوث، د.عبد المُنعم جبري 2007م.

الكتاب بحث مُوسَّع للتّعريف بعقائد النّصارى واليهُود من خلال العهد القديم والأناجيل المُعتمَدَة لدى المرجعيَّات الكَنَسيَّة، اعتمد فيه الباحث على التّلمود والأسفار والأناجيل، فعرَّف بكُلّ طائفة من طوائفهم ومرجعيَّاتهم وأناجيلهم، قديماً وحديثاً، مُبيِّناً معنى المسيح في القواميس اللُغويَّة: العبريَّة والعَرَبيَّة والمعاجم اللاهُوتيَّة، ومُعرِّفاً بالمذاهب النّصرانيَّة القديمة كالبيلاجُوسيَّة والنّسطوريَّة والمَلَكيَّة واليعقوبيَّة والكاثُوليكيَّة، مُرُوراً بالمارونيَّة والأرثُوذكسيَّة، ثُمّ البرُوتستانتيَّة وشُهُود يَهْوَه، وحاول أنْ يُثبت أنَّه - ومُنذُ غياب المسيح - أخذ اليهُود يخترعون الآلهة لأمم المسيح، ثُمّ استعرض المسيح في قَصَص الأنبياء وعند المُسلمين، كما تحدَّث عن المسيح الدَّجّال. الكتاب بانوراما تفصيليَّة تحليليَّة لما يعنيه المسيح عند اليهُود، وعند النّصارى، وعند المُسلمين..

72) العبادات في الأديان السّماويَّة (اليهُوديَّة، المسيحيَّة، الإسلام، والمصريَّة والعراقيَّة واليُونانيَّة والرُومانيَّة والهندُوسيَّة والبُوذيَّة والزّرادشتيَّة والصّابئيَّة)، عبد الرَّزَّاق رحيم صلال المُوحي 2007م.

هذا الكتاب هامٌ جداً جداً، فكم من النّاس والمُثقَّفين يعرف كيف يُصلِّي اليهُود؟ وكيف يُزكُّون؟ وكيف يتطهَّرون؟ وإلى أين يحجُّون؟ وكيف يصومون؟ وكيف يتوضَّؤون؟ وما هي أعيادهم؟ وكذلك الأمر بالنّسبة للمسيحيِّين و... هذه الدّراسة دراسة مُقارنة هامَّة تُبيِّن - وبالنُصُوص المُوثَّقة من التّوراة والأناجيل والقُرآن الكريم والسُنَّة النّبويَّة - ما أصاب بعض الدّيانات السّماويَّة من تحريف وابتعاد عمَّا نزل أصلاً في كُتُبها السّماويَّة، حتَّى وصل بعضهم إلى تحليل ما حُرِّمَ في كُتُبهم، وتحريم ما أُحلّ؟ وتبديل ما ليس يُبدَّل.

73) العبادات في الدّيانات القديمة، المصريَّة، العراقيَّة، الرُومانيَّة، الهندُوسيَّة، البُوذيَّة، الزرادشتيَّة، الصّابئيَّة، عبد الرزاق المُوحي.

74) العبادات في الدّيانة المسيحيَّة، عبد الرَّزَّاق المُوحي.

75) العبادات في الدّيانة اليهُوديَّة، عبد الرَّزَّاق المُوحي.

76) عودة الكواكبي حياة المفكر الثائر وأعمال، د.محمد جمال طحان 2007م.

77) القضيَّة الكُرديَّة والحلّ المنشود التّاريخ الواقع المُستقبل، د. خالد سُليمان الفهداوي.

78) الإنسان ولُغته من الأصوات إلى اللُغة (الكلام)، مارسيل لُوكان - ترجمة: د. ماري شهرستان.

79) عالية الهاشميَّة ملكة العراق سيرة وأحداث 1934 - 1950، د. مُحَمَّد حمدي صالح الجَعْفري.

80) الفكر والسّياسة لدى الجمعيَّات والمُنتديات والأحزاب العَرَبيَّة حتَّى نهاية الحرب العالميَّة الأولى، زُهير عبد الجبار الدُوري.

81) نساء في قُصُور الحُكّام (ومن الجنس ما قَتَلَ)، مازن النّقيب.

82) لماذا الاغتيالات السياسيّة؟! مازن النّقيب .
83) تشنيف السّمع في انسكاب الدّمع (من جميل تراثنا) ، صلاح الدّين خليل بن أيبك الصّفدي ، تحقيق ، مُحمّد عايش .
84) الاستبداد والمرجعيّة في الخطاب الإسلاميّ دراسة الحالة المعاصرة، أ. د. خالد مدحت أبو الفضل، تقديم ، أنور إيمان.
85) لورنس والقضيّة العَرَبيّة 1888 ـ1935 ، حسام علي مُحسن المدامغة .
86) السّيف الأحمر الأصُوليّة اليهُوديّة المُعاصرة ، د. جمال البدري .
87) التّمييز ضدّ غير اليهُود في (إسرائيل) مسيحيّيْن كانوا أم مُسلمين ، د. سامي الذّيب ، ترجمة ، د . ماري شهرستان.
88) تحوُّلات الذّات الثّقافي العَرَبيّ مُقاربات معرفيّة ، د. إسماعيل الرُّبيعي .
89) امنحوني فُرصة للكلام ، د. مُحمّد جمال طحّان .
90) أمُ القُرى مُؤتمر النّهضة الإسلاميّة الأوّل ، عبد الرّحمن الكواكبي ، تحقيق : د. مُحمّد جمال طحّان 2008م.
91) التّوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القدّيسَيْن بُولُس ويُوحنّا ، سعد رُستُم .
92) مُثلّث الدّم شارُون أمس ، اليوم ، غداً ، د. جمال البدري .
93) المرأة في حياة وشعر الجواهريّ ، ديب علي حسن .
94) نَقْدُ الدّين اليهُودي ، جميل خرطبيل .
95) مُخيّم جنين من النّكبة إلى الانتفاضة ، علي بدوان .
96) المسيحيّة وأساطير التّجسُّد في الشّرق الأدنى القديم اليُونان سُوريّة مصر، دانييل إ باسُوك، ترجمة، سعد رُستُم.
97) المُثقّف وديمقراطيّة العبيد ، د. مُحمّد جمال طحّان .
98) القصر المسحور (سيّد الباب السّابع) ، إيفلين بريزو بيللين ، ترجمة : فاطمة عابدين .
99) الوصايا المغدورة (التّرجمة الكاملة) ، ميلان كُونديرا ، ترجمة : معن عاقل .
100) المحاورة ، ميلان كُونديرا ، ترجمة : معن عاقل .
101) وحدة الوُجُود من الغزالي إلى ابن عَرَبي ، مُحمّد الرّاشد .
102) نظريّة الحُبّ و الاتّحاد في التّصوّف الإسلاميّ من الحُبّ الإلهيّ إلى دوامات الأتّحاد المُستحيل ، مُحمّد الرّاشد .
103) القُرآن وتحدّيات العصر رحلة الشّكّ والإيمان ، مُحمّد الرّاشد .
104) إشكاليّة وحدة الوُجُود في الفكر العَرَبيّ الإسلاميّ (الله والإنسان والعالم في الحضارات الإنسانيّة) دراسة تحليليّة رُؤيويّة، مُحمّد الرّاشد .
105) العبور إلى المستقبل (محطات في الدين والحياة والحب) د.محمد الراشد.
106) المسؤوليّة في القانون الجنائيّ الاقتصاديّ دراسة مُقارنة بين القوانين العَرَبيّة والقانون الفرنسيّ ، محمُود داوود يعقوب.

لعل هذا الكتاب هو الأشمل والأدق في بحث مهم كبحث المرأة ... استعرض فيه مؤلفه تطور حقوق المرأة عبر التاريخ البشري، بدءاً من الحضارات القديمة، مروراً بالعصور الوسطى في أوروبا والجاهلية والإسلام، ثم تحدث عن المرأة، هل هي التي تحدد مصير العالم؟.... ومن هي المرأة في أنوثتها الأولى والمراهقة، وسن النمو العقلي والجسدي؟ ثم عرج إلى المرأة في حضارات الشرق الأوسط (بابل - التوراة - الفراعنة - الكهنوت..) ثم المرأة في حضارات الشرق الأقصى (اليابان - الصين) (اليونان - روما القديمة ..) المسيحية والمرأة - عداء الكهنة للمرأة - تحرير المرأة في نظام العائلة البلشفي الشيوعي الروسي - المرأة الفارسية - المرأ
النهضة - الطبيعة والتاريخ في حق المرأة - و
عبر العصور - المرأة العربية - (البداوة
وعصر النهضة)... البغاء ودوافعه - اللواط -
المرأة المسلمة عبر التاريخ - المساواة بين المر
(قانونياً) ... وغيرها من الموضوعات المهمة جـ


ISBN 978-9933-402-14-3

www.darsafahat.com